بسم الله الرحمن الرحيم

الوحدة الإسلامية

عناصرها وموانعها

مجموعة من المقالات والمحاضرات

لسماحة الأستاذ آية الله محمد واعظ زاده الخراساني

الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

إعداد

سيد جلال الدين ميرآقائي

كتابخانه
مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى
شماره ثبت: ٥٩٧٦٦
تاريخ ثبت:

اسم الكتاب: الوحدة الإسلامية ـ عناصرها وموانعها

الناشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

بقلم: الأستاذ محمد واعظ زاده الخراساني

إعداد: سيد جلال الدين ميرآقائي

تنضيد الحروف و الإخراج الفني: رغدان الإمارة ـ علي الكتبي

تقويم النص و المراجعة: سيد علي الهاشمي

تاريخ الطبع: ١٤٢١هـ ق ـ ١٣٧٩ هـ ش ـ الطبعة الأولى

عدد المطبوع: ٢٠٠٠ نسخة

السعر: ١٢٠٠٠ ريال

ISBN: 964 - 350 - 475 - 1

التوزيع: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية – طهران – ص.ب١١٣٦– ١٣١٨٥

رقم الهاتف: ٨١٥٣٢٦٣ – ٨٨٤٨٩٧٥ ٠٩٨ رقم الفاكس: ٨٨٤٨٩٧٤ ٠٩٨

الفهرس

المقدمة ١١

سيّد جلال الدين ميرآقائي

القسم الاول.. الوحدة الإسلامية :

١ ـ الوحدة الإسلامية .. عناصرها وموانعها ٢١

٢ ـ الوحدة الإسلامية .. معالمها واعلامها ٥٥

٣ ـ مستقبل العالم الإسلامي .. البشائر والتحديات والمسؤوليات ٩١

٤ ـ الإهتمام بأمور المسلمين فريضة إسلامية ١١٣

٥ ـ رسالة الى مؤتمر الوحدة والتفتيت المنعقد بلبنان ١٢١

القسم الثاني .. التقريب بين المذاهب الإسلامية :

٦ ـ أسس التقريب وسبله ١٣١

٧ ـ وحدة الأمة في حقل الدراسات الفقهية المقارنة ١٥١

٨ ـ التنسيق في العمل الإسلامي المشترك ١٦٩

٩ ـ الإمام البروجردي والتقريب بين المذاهب ١٧٩

١٠ ـ من مشاهد التقريب بين المذاهب الإسلامية ١٨٧
١١ ـ بين المؤتلف والمختلف ١٩٩

القسم الثالث .. الحج والتقريب :

١٢ ـ الخطاب الهام في الحج والتقريب ٢٠٩
١٣ ـ الحج والتقريب بين المذاهب الإسلامية ٢٢٣
١٤ ـ الحج والتقريب بين المذاهب الإسلامية في الأحاديث ٢٣١

القسم الرابع .. السلام في الإسلام :

١٥ ـ الإسلام هو السلام ٢٣٩
١٦ ـ الإسلام والأقوام والملل ٢٥٣

الترجمة العربية

لنص مرسوم سماحة السيد القائد الإمام الخامنئي

بتعيين سماحة الأستاذ محمد واعظ زاده الخراساني

أميناً عاماً للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله الطاهرين

سماحة الأستاذ العالم والمفكر العزيز الشيخ محمد واعظ زاده الخراساني دام بقاؤه

الآن حيث تمهّدت أرضية تأسيس مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية والحمد لله، وحيث الترحيب الكبير بفكرة التقريب بين الفرق الإسلامية من لدن علماء المسلمين ومفكّريهم في أرجاء العالم الإسلامي، وهو يبعث على آمال جديدة، لذلك أُعيّن سماحتكم أميناً عاماً لمجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية، لما تمتازون به من درجة عالية في العلوم الإسلامية، وتجربة مشكورة في حقل التقريب بين المسلمين.

نرجو منكم أن تبذلوا جهوداً شاملة في شتّى المجالات العلمية والثقافية، وذلك من خلال تحرّك منطقي متواصل، توجّهونه نحو الأهداف المتوخّاة للمجمع بوعي تام.

إنّ توقّعنا لردود الفعل التي يبديها اللاهثون وراء تفرقة المسلمين تحتّم علينا أن نضع عظمة أهداف التقريب السامية وأهميتها نصب أعيننا، ولا نبخل بأي جهد بعد التوكل على الله العلي القدير.

أسأل الله التوفيق لسماحتكم.

والله المستعان ـ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

علي الحسيني الخامنئي

٢٠ ربيع الاوّل ١٤١١هـ

المقـــدمـــة

✍ سيد جلال الدين ميرآقاني
معاون المجمع العالمي للتقريب
بين المذاهب الاسلامية للشؤون الدولية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين واصحابه المنتجبين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد أيها القارىء الكريم!

هناك مصطلحات واسئلة:

الوحدة الإسلامية:

ماهي الوحدة الإسلامية؟ وماهي مواصفاتها وعناصرها وأسبابها ومتطلباتها وجذورها الفكرية والعقيدية والقرآنية؟

ماهي الوحدة الإسلامية؟ وماهي مقوماتها السياسية والاجتماعية والثقافية؟ وماهي موانعها والعقبات في طريقها والعراقيل دونها والتحديات التي تواجهها، والحلول لمعالجة مشاكلها والتغلب على صعوباتها؟

مـاهي الوحـدة الإسلامية؟ وماهو الطريق للوصول إليها والأطروحات العلمية والعملية لتطبيقها؟

الأمة الإسلامية:

ماهي الأمة في مفهومها القرآني؟

ومـاهي مقـوماتهـا التربوية والـروحية، ومعالمهـا السياسية، وملامحها الثقافية، وأسسها الفكرية؟

ومـاهي همـومهـا وواقعهـا وآلامهـا وآمـالهـا وطمـوحاتهـا، وماضيها ومستقبلها؟

ومـاهي مبـادىء التعايش بينهـا، والطريق إلى وحدتهـا وتجديـد عزها ومجدها وكرامتها؟

وماهي واجباتنا تجاهها لتقرير مصيرها والذود عن كيانها.

الأخوة الإسلامية:

يا لها من جمال!

هل إليها سبيل؟

في تعاطف المسلمين وتراحمهم وتزاورهم والتعامل فيما بينهم وهل لها مثيل؟

في تاريخ الأمم السالفة.. والراقية؟

وهل لها بديل ونظير؟

في المـدارس الفكرية والفلسفـات السياسية والأخـلاقية والمشـاعـر الدينية؟

أهي مبدأ واقعي.. أم رمز خيالي ومثالي؟

التقريب بين المذاهب الإسلامية:

ماهو...؟

في إطـار معنـاه اللغوي ومفهومه الاصطلاحي وتاريخه الفكري ومغزاه العلمي وأساسه الفقهي والكلامي؟

ومـاهـو تراثنـا العلمي على مستـوى العـالم السني والشيعي في تحقيقه والسير إليه؟

وماهي انجازاته الناجحة ونتائجه المثمرة؟

ومن هم روّاد هذه الفكرة وطلائع هذا المنهج؟

الخلاف والأختلاف:

ماهو الخلاف والأختلاف والتشتت والتفتيت والتنازع والتفرق؟

وماهي بذورها في نفس الإنسان ونفسانيته؟

وعـواملهـا في المجتمع الإنساني وتـاريخـه وأسبابهـا في سيـاسـات الطواغيت ومؤامرات المستعمرين؟

وجذورها في أحوال الناس من جهلم وتخلفهم؟ وخلفياتها بين الأمة من القومية والعصبية والعنصرية والطائفية.

وماهي رواسبها في الأفكار والأذهان والقلوب من الحقد والتباعد والتباغض والفتنة فيما بين الأمة الإسلامية.

وماهو الطريق للتغلب على جميع هذه المآسي والمشكلات وماهو السبيل للخروج من هذه المآزق؟

تلك المصطلحات والأسئلة وأسئلة أخرى أمامنا وتسيطر على أفكارنا وواقعنا...

دفعتنا للبحث والفحص حولها ودراستها دراسة علمية موضوعية وتثير في نفوسنا حرصا لكي نستمع إلى كل خبير وبصير يجيبنا عنها بعلمه وإخلاصه. والأستاذ الكبير آية الله الشيخ محمد واعظ زاده الخراساني رجل العلم والعمل والرأي والنظر، أحد روّاد فكرة الوحدة والتقريب في العالم الإسلامي والذي فكّر وعمل وعاش منذ شبابه لأكثر من أربعين سنة في توحيد صفوف المسلمين وتقريب مذاهبهم وشارك في الندوات والمؤتمرات العالمية وزار المراكز العلمية والجامعات الدينية في البلدان الإسلامية وغير الإسلامية والتقى بعلمائها ورؤسائها وطلابها وأساتذتها وله تجارب قيمة في هذا الميدان ـ والذي اختاره قائد الثورة الإسلامية الإمام السيد علي الحسيني الخامنئي حفظه الله اميناً عاماً للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ـ يجيب عن هذه الأسئلة ويلقي الضوء

على تلك المفاهيم والمصطلحات.

يجيبنا بخبرته وبصيرته وتجاربه، إجابة علمية موضوعية، عن إخلاصه وشعوره بالمسؤولية ومعرفته بالواقع الذي تعيش فيه الأمة الإسلامية.

والكتاب الذي بين يديك أيها القارىء الكريم يحتوي على هذه الأجوبة وهو مجموعة من مقالاته في المجلات العلمية ومحاضراته في المؤتمرات العالمية والندوات الثقافية اخترناها للطبع والنشر ونقدمها إلى شباب الأمة الإسلامية ومثقفيها وعلمائها ومفكريها ونأمل أن يكون عملنا هذا إثراءً لثقافة الوحدة والتقريب وتزويدا للقراء في التعرف على المفاهيم الإسلامية والمبادىء الوحدوية راجين المولى ـ عزّ اسمه ـ أن يتقبل منا ويهدينا سواء السبيل ويمدنا في تأليف القلوب ورص الصفوف إنه قريب مجيب.

سيد جلال الدين مير آقائي
معاون المجمع العالمي للتقريب بين
المذاهب الإسلامية للشؤون الدولية

القسم الأول:
الوحدة الإسلامية

١ - الوحدة الإسلامية ، عناصرها وموانعها.
٢ - الوحدة الإسلامية معالمها وأعلامها.
٣ - وحدة الأمة الإسلامية ومستقبلها.
٤ - الاهتمام بأمور المسلمين فريضة إسلامية .
٥ - رسالة إلى مؤتمر الوحدة والتفتيت .

الوحـــــدة الإسلامية

عناصرها وموانعها

القسم الأول والثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الأوّل

وحدة المسلمين كلمة تهفو إليها كل قلوب المؤمنين المخلصين لدينهم وربهم، هدف سعى إلىٰ تحقيقه جميع الدعاة والمصلحين على مرّ التاريخ، ولا يشك بعظمة هذا الهدف وأهميته العقلية والتشريعية، فكل ما دعا إليه الإسلام من عزة ورفعة ومنعة وشوكة للمسلمين يتحقق في ظل الوحدة. ولا يشك أحد أيضاً ان المسلمين يعيشون منذ قرون حالة تجزئة وتمزق وتشتت أذهبت ريحهم وسلطت عليهم أعداءهم، حتى أضحت مسألة العودة إلىٰ المجتمع الإسلامي الموحد هدفا بعيد المنال في أنظار بعض ومستحيلا في أنظار اخرين.

واليوم وقد توفرت في الساحة الإسلامية ظروف جديدة هي مزيجة من الوعي والتحدي والتجارب، تبشر بغد إسلامي مشرق، فلابد ان نفتح باب الحوار الجاد الهادف لدراسة مفهوم الوحدة، وسبل تحققها، والعوائق التي تقف بوجهها، وفي هذا

الحديث نتناول عناصر الوحدة، كي ننأىٰ بهذا الهدف الكبير عن الجموح في عالم الخيال، ونقربه من واقعه العقلي والتشريعي والاجتماعي والعملي.

ما هي الوحدة؟

ما المقصود بالوحدة الإسلامية، قد يتصور أحد أنها اتفاق المسلمين في كل شؤونهم العقائدية والعبادية وفي كل العادات والتقاليد.. أي أن ينضوي المسلمون مشارق الارض ومغاربها تحت لواء حكومة واحدة، وقانون واحد، وسياسة واحدة، ونظام سياسي واقتصادي واحد. أو انصهار القوميات والعناصر والشعوب في مجموعة بشرية واحدة خالية من كل هذه الاختلافات. مثل هذه التصورات الخيالية تجعل مفهوم الوحدة مستحيلا لأنه يتعارض مع سنن الله والفطرة والطبيعة البشرية.

لنعد إلىٰ الإسلام وننظر إلىٰ تحديده لمفهوم الوحدة ومراده منها، ولاستكشاف الامر يمكن تحرّيه في ثلاثة مجالات.

الاول ـ الإسم الذي أطلقه الإسلام على المجموعة الإسلامية الموحّدة.

الثاني ـ ماذكره الإسلام من صفات وواجبات لهذه المجموعة.

الثالث ـ أهداف هذه المجموعة ومقاصدها.

يطلق القرآن الكريم على هذه المجموعة البشرية المقصودة اسم المؤمنين المسلمين لما يتحلى به أفراد هذه المجموعة من إيمان وإسلام. وهذه التسمية تقابل المجموعات البشرية الأخرىٰ من اليهود والنصارىٰ والمجوس والصابئين المشركين.

وثم لفظ آخر يطلقه القرآن هو «الأمّة»، ويظهر أنه أكثر تبيينا لمفهوم الوحدة بين

الجماعة الإسلامية:

(إن هذه أمتكم أمّة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)[١].

(وكذلك جعلناكم أمّة وسطا)[٢].

(ولكل أمّة رسول)[٣].

(ولقد بعثنا في كل أمّة رسولا)[٤].

وهذه الآيات الكريمات وأمثالها تطلق على أتباع كل دين الهي اسم «الأمّة»، فما الذي تنطوي عليه هذه الكلمة من معان؟.

الأمّة من «أمم» وتتضمن معاني الاقتداء والإتّباع، والقصد والهدف، والقيادة والزعامة، وفي القرآن بمعنى المجموعة البشرية المنضوية تحت لواء دين واحد، وعلى هذا المعنى فسرت الآية الكريمة: (ان هذه أمتكم أمّة واحدة)[٥]، كما وردت بمعنى المقتدىٰ والمحتذىٰ وعليه فسرت الاية: (ان إبراهيم كان أمّة قانتا لله حنيفا)[٦].

إنطلاقا من المعاني اللغوية لكلمة «أمّة» واستعمالها في القرآن الكريم نفهم ان «الأمّة» جماعة بشرية ذات مسلك واحد وطريقة واحدة وهدف واحد وقيادة واحدة، إنها تتضمن مفهوم الحركة تجاه قبلة واحدة وجهة واحدة.

١- الأنبياء/٩٢.

٢- البقرة/١٤٣.

٣- يونس/٤٧.

٤- النحل/٣٦.

٥- الأنبياء/٩٢.

٦- النحل/١٢٠.

مثل هذه المجموعة، بهذه الخصائص، لابد ان تتوفر فيها مشتركات أخلاقية وروحية وثقافية. وهنا نقف عند العناصر التي تشكل أساس وحدة الأمّة.. العناصر التي توحّد دون أن تتعارض مع الأصول الطبيعية والاجتماعية ومع السنن الإلهية الحاكمة في المجتمعات البشرية.

عناصر الوحدة

الأول ـ وحدة العقيدة

لابد للامة الواحدة ان تكون لها أصول اعتقادية واحدة، وهذه الأصول لدىٰالإسلامية ـ بإجماع كل علماء المذاهب ـ التوحيد والنبوة والمعاد. إنكار واحد من هذه الأصول أو عدم الإيمان به يخرج الفرد من دائرة الإسلام بإجماع العلماء وبنص القرآن والسنّة. وإذا كانت ثمة أصول أخرىٰ فهي أصول المذهب، لا أصول الدين، كالإمامة لدىٰ الشيعة والعدل لدىٰ الشيعة والمعتزلة. الاعتقاد بهذه الأصول الثلاثة كاف لإيجاد وحدة عقائدية بين أبناء الأمّة الإسلامية، وهنا نشير إلىٰ ثلاث ملاحظات.

الملاحظة الاولى

من المؤكد ان المعرفة الاجمالية بأصول الدين هذه والايمان بها على حدّ المفهوم المشترك العام هو المقدار المطلوب، وليست المفاهيم التفصيلية لهذه الاصول. العلماء تعمّقوا فيها وفرّعوها وأدخلوها في دراسات كلامية وفلسفية، ولذلك حدثت مذاهب في الاصول. لكن هذه التفاصيل المذهبية لا إرتباط لها في إيمان المسلم بأصول دينه. هذه التفاصيل لا تتجاوز عادة جدران قاعات الدرس وبطون الكتب، ولا تخرج عامّة

الأمّة المسلمة التي تنتمي إسميا إلىٰ هذا المذهب أو ذاك.

وهل ان الدخول في هذه البحوث أمر لازم، أو جائز؟ هل هذه الدراسات تستطيع أن تصل إلىٰ نتائج قطعية؟ هل معرفة هذه التفاصيل له دخل في الفوز الاخروي؟ لا نريد هنا ان نجيب على هذه الاسئلة. بل الذي نريد ان نقرره هنا هو ان الملاك في دخول الفرد دائرة الإسلام وشرط تحقق الوحدة الإسلامية، الإيمان بهذه الأصول على المستوىٰ البسيط المفهوم لدىٰ عامة الناس، لا بالفروع المعقدة الكلامية والفلسفية التي نشأت في قرون متأخرة بين الفلاسفة وعلماء الكلام. وبدون ذلك لا تتحقق وحدة العقيدة، لان الجدل الكلامي خلال القرون المتوالية أدىٰ إلىٰ مزيد من الاختلاف العلمي ولم يحقق أي اتفاق. التفاصيل الكلامية ليست إذن ملاك اتفاق المسلمين، والاختلاف فيها لا يضر بوحدة العقيدة بين المسلمين.

الملاحظة الثانية

لاشك أن أي مذهب إسلامي ملتزم بالايمان بهذه الاصول، وإنكار أي واحد منها يخرج المذهب من دائرة الإسلام، ولا نعتقد ان بين المذاهب الإسلامية اليوم مذهبا ينكر صراحة أحد هذه الاصول. نعم، في بعض المذاهب النادرة غير المعروفة عقائد يلزمها إنكار واحد من هذه الاصول. لكن أتباع هذه المذاهب غير ملتزمين بهذه الملازمة. ولا يعتقدون ان عقائد مذهبهم الخاصة تستلزم إنكار أحد هذه الاصول.

ملاك الكفر والخروج من الإسلام هو الإنكار الصريح، لا الإنكار بالملازمة. والخلط بين العقيدة الصريحة والعقيدة الملازمة للعقيدة الصريحة من آفات المذاهب ومن عوامل تراشق التهم بينها.

الملاحظة الثالثة

المذاهب المستحدثة التي تنكر خاتمية محمد(ص)، وتدعي وحيا جديدا وكتابا جديدا، وإن ادّعت الإيمان بالإسلام وبأنها من الفرق الإسلامية، هي خارجة عن الإسلام قطعا، لانها لا تلتزم بنهج الإسلام، بل لها نهج آخر ونبي آخر وكتاب آخر، وكل ذلك يجعلها في جهة متعارضة مع الأصول الإسلامية.

الثاني ـ وحدة العمل والاتّباع

قلنا أن كلمة «الأمّة» تنطوي على معنى الاتباع، والاتباع يكون في الأصول والفروع. ولقد بيّنا المقدار الضروري من الإيمان بالأصول مما يستلزمه والوحدة الإسلامية. وهنا نذكر أيضاً لزوم اتباع المنهج الإسلامي في الفروع بمقدار ما اتفقت عليه جميع المذاهب الإسلامية وفرضه الكتاب وأوجبته السنّة بوضوح ودون أي إبهام.

ولا يوجد مذهب من المذاهب الإسلامية المعروفة ينكر الصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد. ونقل صاحب «دعائم الإسلام» بطرق مختلفة ما يقرر ان هذه الأعمال من أسس الإسلام. ولو أنكر فرد وجوب واحد من هذه الاعمال صراحة (لا بالملازمة) فانه يخرج من ربقة الإسلام.

وكما ذكرنا في حديثنا عن العقيدة، نُصرّح هنا أيضاً أن الحد اللازم لدخول الفرد في دائرة المسلمين ولتحقق وحدة الأمّة المسلمة هو الالتزام بالحد المتفق عليه هذه الفروع. كأن يؤدي الصلوات الخمس بعدد ركعاتها المنصوصة، ويحج بأداء المتفق عليه من المناسك، أما شروط وآداب هذه الأعمال المختلف عليها بين المذاهب فلا

دخل لها في الحد اللازم المذكور، لانها ناشئة من اختلاف اجتهاد المجتهدين. والاختلاف فيها لا يضر بإسلام الفرد ولا بوحدة المسلمين.

العنصر الثالث ـ وحدة القيادة

ذكرنا أن كلمة «أمّة» تتضمن معنى القيادة. والاتباع الذي تحدثنا عنه يستلزم القيادة. وللقيادة في الإسلام مصداقان: أحدهما صامت وخالد، والاخر حي ومتغيّر.

القيادة الصامتة هي بإجماع المسلمين كتاب الله وسنّة رسوله، ولا يوجد بين المذاهب الإسلامية من ينكر قيادتهما. وهما دعامتان هامتان لوحدة المسلمين. والقرآن يطلق على كتاب الله المنزل إسم الإمام يقول:

(وكل شيء أحصيناه في امام مبين)[1].

(ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة)[2].

والرسول(ص) امام الائمة، وإطاعته لا تنفك عن إطاعة الله سبحانه.

وقيادة القرآن والسنة بمعنى الهداية والإرشاد والتعليم والتربية.

ودين الفطرة إذ يؤكد على ضرورة إجماع المسلمين على القرآن والسنة يجيز الاختلاف فيهما في حدود خاصة، والاختلاف فيهما له مجالان:

الاول ـ إختلاف المجتهدين في مفهوم ومنطوق الكتاب والسنة وفي حدود وشروط حجيتهما، وأمثال ذلك من البحوث المطروحة في المذاهب الكلامية والفقهية. وهذا الإختلاف لا يتعارض مع أصل اتفاق المسلمين على حجية الكتاب والسنة.

١- يس/١٢.

٢- احقاف/١٢.

الثاني ـ الإختلاف في الصدور ويرتبط بالسنة فقط، لأن صدور جميع المروية غير قطعي وربّ رواية صحت في نظر عالم ولا تصح في رأي عالم آخر. ولا يصدق ذلك على الكتاب لتواتر جميع ألفاظه وآياته. نعم، في القرآن اختلاف طفيف يرتبط بالناسخ والمنسوخ ودلالة الالفاظ، ويشمل هذا الإختلاف السنة أيضا.

والاختلاف بين السنة والشيعة في سنّة رسول الله إنما هو اختلاف في المقدمة الصغرىٰ لا الكبرىٰ ـ على حدّ تعبير المنطقيين ـ فالفريقان متفقان على حجية السنة وأنها واجبة الاتباع كالقرآن. والاختلاف في أن هذا القول من السنة أم لا.

أما القيادة الحية المتحركة فتتمثل أول ما تتمثل في شخص القائد الأول رسول الله(ص). فهو اضافة إلىٰ إمامته الدينية قائد المجتمع الإسلامي وزعيمه السياسي. وكل المسلمين يؤمنون بذلك. وظهر الإختلاف بعد وفاة رسول الله(ص). قال قوم من أهل السنة أن الإمامة بعد الرسول أمر سياسي لا ديني. وقال أكثرهم إنها منصب ديني، لكنهم لم يجعلوها ضمن أصول الإسلام. والشيعة على العكس من ذلك آمنوا أنّ القيادة بعد رسول الله(ص) يجب أن يتوأصل فيها ماكان موجودا في شخص القائد الاول من الجمع بين السمة الدينية والسياسية. واعتبروا الإيمان بها أصلا من أصول المذهب. فهي في رأيهم تتوأصل عبر الائمة الاثني عشر ثم الفقهاء الذين تتوفر فيهم شروط التقوىٰ.

يظهر أن الإنفصال بين القيادة السياسية والدينية في الفكر السني ظهر بعد تسلّط الخلفاء الظلمة على مقدرات المسلمين، فاضطر بعض الفقهاء أن يفتي بوجوب طاعتهم، رغم أن المبدأ الإسلامي يصرح بأنه «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**». وهذا الانفصال جرّ على العالم الإسلامي مآسي فظيعة وظهرت مجابهات حادّة على مرّ التاريخ بين القيادة الدينية في المجتمع والقيادة السياسية المتحكمة مقدرات المسلمة.

وهنا لا نريد أن نتخذ موقفا مذهبيا من هذه المسألة، بل الذي، لا يستطيع ان يشك فيه مسلم أن أولي الأمر في الآية الكريمة: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)[1] هم الذين يقعون في امتداد إطاعة الله والرسول. فلابد أن تكون مسألة ولاية الأمر بين المسلمين دينية أيضاً لا سياسية فحسب. يجب أن يكون ولي الأمر على الأقل ـ ذا شبه برسول الله(ص) في علمه وعمله. وهذا الأمر الواضح جعل بعض علماء السنة يصرحون بضرورة أن تتوفر في ولي الأمر صفات تقترب كثيرا من الصفات التي يقررها الشيعة لولي الأمر.

على العموم، القيادة في المفهوم الإسلامي تجمع بين السياسة والدين، ومن أركان الدين، ولها الدور الهام في استمرار الدعوة الإسلامية واستتباب حاكمية الدين وفي وحدة الأمّة الإسلامية، خاصة لو عرفنا ان «الأمّة» و«الإمامة» من جذر لغوي واحد. المرحوم الدكتور شريعتي في كتابه «الأمّة والامامة» ـ وهو إسم مقتبس من كتاب «الأمّة والامامة» للمرحوم السيد هبة الله الشهرستاني ـ يقدم شرحا رائعا للتلازم بين «الامامة» وتكوين «الأمّة» في الإسلام.

العنصر الرابع ـ وحدة الهدف

ذكرنا أن مفهوم الأمّة يتضمن الحركة نحو هدف واحد، ووحدة الهدف مثل وحدة العقيدة ووحدة العمل ووحدة القيادة تشكل أصلا إسلاميا هاما، غير أنها وردت في النصوص الإسلامية بلغة التوجيهات الأخلاقية، ولغة الحث على إكتساب المكارم والفضائل، لكنّها لغة فيها تأكيد على أهمية الهدف وعلى عدم افتراق الهدف

---

١ ـ النساء / ٥٩.

عن المسؤولية المشتركة. يقول سبحانه: (كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)[١] فامتياز هذه الأمّة وأهم خصائصها مسؤولية الدعوة والايمان بالله، ولأهمية هذه المسؤولية قدّمها على الإيمان بالله سبحانه.

يمكن تلخيص أهداف الإسلام والمسؤوليات المشتركة التي يحملها المسلمون لبلوغ هذه الأهداف فيما يلي:

١ ـ الفلاح والفوز في الدارين وكسب رضا الله سبحانه. وعبارة (لعلكم تفلحون) تتكرر في القرآن بعدكثير من الأوامر والتعاليم.

٢ ـ استتباب حاكمية الدين في الارض: (ويكون الدين لله)[٢]، (ليظهره على الدين كلّه)[٣].

٣ ـ استتباب حاكمية عباد الله الصالحين في الارض: (.. أن الارض يرثها عبادي الصالحون)[٤]، (ونجعلهم أئمّة ونجعلهم الوارثين)[٥].

٤ ـ السعي لإشاعة الخير والمعروف وإزالة المنكر والشر والفساد. وآيات بالمعروف والنهي عن المنكر تنحو هذا الاتجاه.

٥ ـ انقاذ المستضعفين والمحرومين: (ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان)...

١ـ آل عمران/ ١١٠.

٢ـ البقرة/ ١٩٣.

٣ـ الفتح/ ٢٨.

٤ـ الانبياء/ ١٠٥.

٥ـ القصص/ ٥.

٦ ـ فتح مغاليق أسرار الخلقة، للتعمق في فهم عظمة الخالق، وهذا الهدف يذكره القرآن لدىٰ حديثه عن عظمة الكون وعجائب الطبيعة.

٧ ـ إزالة الفتنة من الارض: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله).

٨ ـ تنمية الإحساس بالمسؤولية المشتركة الإسلامية، والاهتمام بأمر المسلمين، والمواساة بينهم، واتحادهم مقابل الأعداء، «من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم»، «المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه»، «.. وهم يد واحدة على من سواهم».. وأمثالها من الروايات المشهورة تخلق هذه المشاعر الانسانية.

٩ ـ احلال روح الأخوة الإسلامية بين المسلمين، حتى أن الفرد المسلم يتمنى لغيره ما يتمناه لنفسه، وأن المؤمنين بمثابة نفس واحدة: (إنّما المؤمنون إخوة).

الخامس ـ عنصر الوحدة في الخصال ومكارم الأخلاق

من الطبيعي أن المجموعة البشرية المشتركة في عقائدها وأعمالها وأهدافها وقيادتها تشترك أيضاً في الخصال والملكات النفسية. وكثير من النصوص تبين هذه الوحدة الأخلاقية والاشتراك الروحي بين المسلمين حين تتحدث هذه النصوص عن صفات المؤمنين مثل الصدق والأمانة والوفاء بالعهد وعفة البطن والفرج وأمثالها. لا يمكن أن نتوقع بلوغ المسلمين جميعا مستوىٰ واحداً في هذه الخصال، كما أنهم لا يرتفعون إلىٰ مستوىٰ واحد من العقيدة، ولكن ثمة طابعا مشتركا يسود كل المسلمين في هذا الإطار.

السادس ـ عنصر الوحدة الثقافية

الاشتراك في العناصر السابقة المذكورة يستتبعه إشتراك في ثقافة توحّد بين أبناء

العالم الإسلامي. لو نظرنا إلىٰ البلدان الإسلامية لرأينا ـ رغم اختلاف تقاليدها ولغاتها وعاداتها، ورغم الهجوم الثقافي على ربوعها ـ سيادة ثقافة مشتركة بين أبنائها.

وهذه الثقافة المشتركة تشكل أكبر رصيد للتفاهم والتلاحم والتعاضد والإحساس بالأخوة والانتماء الواحد. من هنا يسعى أعداء الأمّة إلىٰ إزالة هذا المشترك الهام بين المسلمين عن طريق المسخ والغزو. وفي الروايات الإسلامية حث على عدم تقليد الكفار في الزيّ ومظاهر المعيشة: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»، من أجل بقاء طابع الثقافة الإسلامية سائدا بين المسلمين.

وقفة مع آراء العلماء

يعتقد العلامة الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله تعالى، وكان من روّاد التقريب المصريين، أن الوحدة الإسلامية تتكون من عناصر ثلاثة لابد من تحققها لتتحقق أقل صورها. وتلك العناصر ـ في رأي الشيخ ـ التوحيد الفكري والنفسي، ومنع التنازع بين الأقاليم الإسلامية اقتصادياً أو سياسيا أو حربيا، والعنصر الثالث إيجاد أسباب التعارف المستمر بين المسلمين آحادا بعد التعارف الجماعي.

ويعتقد(رض) أن التوحيد الفكري والثقافي والنفسي لا يحتاج إلىٰ انشاء، ولكنه يحتاج إلىٰ توجيه وجمع، فإن الأصل قائم ثابت، وحيثما اتجهت إلىٰ بلد إسلامي، فانك تحس بأنس الاتفاق النفسي والفكري، وتجد الفكرة الجامعة قائمة، والامر الجامع لأساليب الفكر الإسلامي ثابتا، ولايوجد بين أهل دين، أو أهل مذهب اقتصادي أو اجتماعي، من تتلاقى أفكارهم حول اتجاه معيّن لا يحول ولا يزول، كما تجده بين المسلمين.

ويتحدث المرحوم أبو زهرة عن ذكرياته في هذا المجال وما رآه في ندوة إسلامية

من اجتماع المسلمين سنّة وشيعة، وإنعزال بعض الشواذ عن إجماع كل فرق المسلمين، ويقول:

«لقد قدر لي في الندوة الإسلامية الكبرىٰ التي عقدت بلاهور أن ألتقي بالوفود التي نزحت من البلاد الإسلامية على اختلاف الطوائف فيها، فما وجدت نفرة فكرية بيني وبينهم، لا فرق في ذلك بين سني وشيعي، ولا بين صيني وروسي وتركي، وإن كانت نفرة بيننا وبين أحد، فما كانت إلاّ بيننا وبين زنادقة هذا العصر الذين يتسمون أسماء إسلامية كهذا الذي ينكر أحكام آيات المواريث، ويدّعي إنها وقتية، أو كهذا الذي ينكر النبوة، وغيرهما ممن نبذ المسلمون في المؤتمر كلامهم[1].

ويدعو(رض) إلىٰ كومنولث اسلامي، ويجب قبل كل شيء على «كل أقليم من أقاليم الإسلام ان يتضافر مع غيره لإخراج الظالمين من أي أرض من أراضي الإسلام، إذ إنهم يسومون أهلها الخسف والذل والهوان، ويفرضون عليهم الطغيان، وإنّا إن لم نفعل ذلك لا نكون آخذين بمبادىء الإسلام، ولا نكون أمة واحدة، ولا مطيعين للقرآن».

رحم الله الشيخ محمد أبو زهرة، لقد كان يحمل هموم وحدة المسلمين مثل كل جماعة التقريب في القاهرة ومثل كل دعاة التقريب في العالم الإسلامي، ويفكر بشكل جاد في عناصر هذه الوحدة وسبل تحقيقها.

---

١ - انظر مقال: الوحدة الإسلامية، للشيخ محمد ابو زهرة، مجلة «رسالة الإسلام» السنة العاشرة الأعداد ٣٧ ـ ٤٠.

القسم الثاني

ذكرنا في القسم الأول من هذا الحديث عناصر وحدة المسلمين، ولا يكتمل الحديث عن العناصر دون ذكر الموانع التي تقف بوجه تحقق وحدة لها كل مستلزمات الوجود وكل مقومات الحياة.

عوامل تفرقة المسلمين منها ما هو أصلي، أي أن وجودها بالذات يتنافى مع الوحدة ومنها ما هو فرعي، أي أنه لوحده لا يشكل عامل تفرقة إلاّ إذا إنضم العوامل الأصلية. وهذه العوامل الثانوية أكثر ظهوراً وبروزاً، بل إن العوامل الأصلية لا يمكن ان يظهر مفعولها إلا من خلال هذه الفرعيات ثم إن هذه العوامل الثانوية ترتبط غالبا بطبيعة البشر ولايمكن ازالتها بل الذي يجب اقتلاع جذوره هو العوامل الأصلية للتفرقة، ونبدأ بالحديث عن العوامل الفرعية.

العوامل الثانوية للتفرقة

١ـ إختلاف المذاهب

حين يدور الحديث عن وحدة المسلمين تطرح قضية الإختلاف المذهبي بين المسلمين نفسها باعتبارها أهم موانع الوحدة. والمسلمون في الواقع اختلفوا منذ القرن الاول الهجري في الأصول والفروع. وعلى مرّ التاريخ ظهرت مدارس فقهية وعقائدية وسلوكية عديدة.

والمسلمون اليوم ينقسمون إلىٰ سنة وشيعة على أربعة مذاهب مشهورة في الفروع

وعلى مذهبين مشهورين في الأصول هما مذهب الأشاعرة ومذهب المعتزلة. ويوجد أيضا «الإباضية» ولهم مذهبهم الخاص في الفقه والكلام.

أمّا الشيعة فأشهرهم الإمامية الإثنا عشرية ويوجد أيضاً الزيدية، والإسماعيلية. منهم من هو على هدىٰ القرآن والسنة، ومنهم من تسربت إليه عقائد باطلة.

ثم هناك بين أهل السنة والشيعة فرق صوفية لكل منها طريقتها الخاصة في تهذيب النفس والسلوك، وتلتزم هذه الفرق غالبا بما تلتزم به المذاهب الإسلامية في الفقه والعقيدة وإن تسرب إلىٰ بعضها شيء من الإنحراف.

الهاجس الذي يقلق دعاة الوحدة من التعددية المذهبية هو التاريخ الطويل للنزاعات المذهبية الدامية بين أتباع الفرق الإسلامية وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها لكن الذي يجب أن نتعمق فيه هو سبب هذه النزاعات الدامية. هل هو مجردالفكري أو الفقهي؟ إننا نجد في مقاطع تاريخية كثيرة بل وفي عصرنا الراهن اجمل ألوان التعايش والتعاون والتعاضد بين الجماعات ذات التوجهات الفكرية والاجتهادية المتباينة.. وهذا يعني أنّ الإختلاف ذاته ليس سبب الخلاف والنزاع. وبنظرة أدق نفهم أنّ السبب يعود إلىٰ «الجهل» أو إلىٰ «الأغراض الدنيوية» فالجهل هو الذي دفع الخوارج لأن يشهروا السيف بوجه المسلمين، ودفع بخوارج عصرنا لأن يكفروا المسلمين ويستحلوا دماءهم وهذا اللون من التعامل مرفوض كل الرفض في نظر الإسلام. والأغراض الدنيوية هي التي أجّجت نار الحروب الطائفية في مقاطع كثيرة من التاريخ ولا تزال مصالح الحكم والسلطة تلعب دورها في إثارة النزاعات الدينية والدين منها براء، ولا تزال يد القوىٰ المتجبرة واضحة كل الوضوح في النزاع بين أهل السنّة والشيعة، بل وفي إثارة النزاعات بين أبناء المذهب الواحد.

متى ماكانت الحالة بعيدة عن الجهل وعن الأغراض الدنيوية فلا تجد ثمة سوىٰ

التفاهم والحوار والبحث العلمي على أساس الدليل والبرهان والاحترام المتبادل.

ولنستدل فيما نقول بأقوال العلماء.

يقول المرحوم **الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء** في مقال تحت عنوان «بيان للمسلمين».[١]

«المسلمون بعد إتفاقهم كلمة واحدة على أن القرآن العزيز وحي من الله جل شأنه وأنّ العمل به واجب، ومنكر كونه وحيا كافر، والقرآن صريح في لزوم الاتفاق والإخاء والنهي عن التفرّق والعداء، وقد جعل المسلمين إخوة فقال عز شأنه:(**إنما المؤمنون اخوة**). (**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**).(**إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء**)[٢] إلىٰ كثير من امثالها، فبعد اتفاقهم على وجوب الأخذ بنصوص الكتاب الكريم لهم مهما بلغ الخلاف بينهم في غيره، فإن رابطة القرآن تجمعهم في كثير من الأصول والفروع، تجمعهم في أشد الروابط من التوحيد والنبوة والقبلة وأمثالها من الأركان والدعائم وإختلاف الرأي فيما يستنبط أو يفهم من القرآن في بعض النواحي، اختلاف اجتهادي لا يوجب التباغض والتعادي.

نعم أعظم فرق جوهري، بل لعله الفارق الوحيد بين الطائفتين: السنة والشيعة، هو قضية الإمامة حيث وقع الفرقتان منها على طرفي الخط فالشيعة ترىٰ أن الإمامة أصل من أصول الدين وهي رديفة التوحيد والنبوة وأنها منوطة بالنص من الله ورسوله، وليس للأمة فيها من الرأي والاختيار شيء، كما لا اختيار لهم في النبوة بخلاف إخواننا من أهل السنة، فهم متفقون على عدم كونها من أصول الدين، ومختلفون بين

١- مجلة رسالة الإسلام السنة الثانية ـ العدد الثالث.

٢- الأنعام/١٥٩.

قائل بوجوب نصب الإمام على الرعية بالإجماع ونحوه، وبين قائل بأنها قضية سياسية ليست من الدين في شيء لا من أصوله ولا من فروعه، ولكن مع هذا التباعد الشاسع بين الفريقين في هذه القضية هل تجد الشيعة تقول أن من لا يقول بالإمامة غير مسلم (كلا ومعاذ الله) أو تجد السنة تقول أن القائل بالإمامة خارج عن الإسلام لا وكلا ـ إذن فالقول بالإمامة وعدمه لا علاقة له بالجامعة الإسلامية وأحكامها من حرمة دم المسلم وعرضه وماله ووجوب أخوّته وحفظ حرمته، وعدم جواز غيبته، إلىٰ كثير من أمثال ذلك من حقوق المسلم على اخيه».

ويقول العلامة محمد جواد مغنية في مقال تحت عنوان «ضرورات الدين والمذهب»[1]:

«المسلم من صدّق مقتنعا بكل ما اعتبره الإسلام من الأصول والفروع، والأصول ثلاثة: التوحيد، والنبوة والمعاد فمن شكّ في أصل منها أو ذهل عنه قاصرا أو مقصّرا فليس بمسلم ومن آمن بها جميعا جازماً فهو مسلم، سواء كان ايمانهن عن نظر واجتهاد أم عن التقليد والعدوى، على شريطة أن يكون وفق الحق والواقع.

أما ما ذكره العلامة الحلي والشهيد الثاني وغيرهما من وجوب الاستدلال والنظر في الأمور والعقائد وعدم كفاية التقليد فيهما فأن المقصود منه التقليد الذي لا يوصل الى الواقع، أما إذا كان سبيلا للتصديق بالحق فلا ريب في إجزائه وكفايته وإلاّ لم يبق من المسلمين سوىٰ واحد من كل مائة ولذا قال العلامة الانصاري في كتاب الفوائد: (والاقوىٰ كفاية الجزم الحأصل من التقليد).

ويكفي من التوحيد الإيمان بوحدة الله تعالى، وقدرته وعلمه وحكمته ولا تجب

١- مجلة رسالة الإسلام السنة الثانية العدد الرابع.

معرفة صفاته الثبوتية والسلبية بالتفصيل ولا أنها عين ذاته أو غيرها ويكفي من النبوة والايمان بأن محمدا «ص» رسول من الله صادق فيما أخبر به معصوم في تبليغ الأحكام فان الرسول قد يخبر عن الشيء بصفته الدينية المحضة أي كونه رسولا مبلغا عن الله تعالى وقد يخبر عنه بصفته الشخصية أي كونه إنسانا من البشر فما كان من النوع الأول يجب التعبد به وما كان من النوع الثاني فلا يجب.

أمّا التصديق والايمان بأن النبي كان يسمع ويرىٰ وهو نائم كما يسمع ويرىٰ وهو مستيقظ وأنّه يرىٰ من خلفه كما يرىٰ من امامه وانه عالم بجميع اللغات، وأنه اول من تنمشق عنه الارض، فليس من ضرورات الدين ولا المذهب.

ويكفي من المعاد الاعتقاد بأن كل مكلف يحاسب بعد الموت على ما اكتسبه حياته، وأنه ملاق جزاء عمله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، أما أنه كيف يحاسب العبد؟ وعلى اية صورة بالتحديد يكون ثواب المحسن، وبأي لون يعاقب المسيء؟ فلا يجب التدين بشيء من ذلك، فالتوحيد، والنبوة، والمعاد دعائم ضرورية لدين الإسلام، فمن أنكر واحدا منها، أو جهله فلا يعد مسلما شيعيا، ولا سنّيا.

أما الفروع التي هي من ضرورات الدين، فهي كل حكم إتفقت عليه المذاهب الإسلامية كافة من غيرفرق بين مذهب ومذهب، كوجوب الصلاة، والصوم، والحج، والزكاة، وحرمة زوج الأم والأخت، وما إلىٰ ذلك مما لا يختلف فيه رجلان من المسلمين، فضلا عن طائفتين منهم، فإنكار حكم من هذه الأحكام إنكار للنبوة، وتكذيب لما ثبت في دين الإسلام بالضرورة.

والفرق بين الأصول والفروع الضرورية، أن الذي لا يدين بأحد الأصول يكون خارجا عن الإسلام جاهلا كان أم غير جاهل، أما الذي لا يدين بفرع ضروري كالصلاة والزكاة، فإن كان ذلك مع العلم بصدوره عن الرسول(ص)، فهو غير مسلم،

لأنه إنكار للنبوة نفسها، وإن كان جاهلا بصدوره عن الرسالة، كما لو نشأ في بيئة بعيدة عن الإسلام والمسلمين، فلا يضر ذلك بإسلاميته إذا كان ملتزما بكل ماجاء به الرسول، ولو على سبيل الإجمال، فالتدين بالأصول أمر لابد منه للمسلم، ولا يعذر فيها الجاهل، أما إنكار الأحكام الفرعية الضرورية فضلا عن الجهل بها، فلا يضر بإسلامية المسلم إلاّ مع العلم بأنها من الدين، فالإمامة ليست أصلا من أصول دين الإسلام، وانما هي أصل لمذهب التشيع، فمنكرها مسلم إذا اعتقد بالتوحيد، والنبوة، والمعاد، ولكنه ليس شيعيا».

والمرحوم العلامة السيد شرف الدين العاملي يعقد في كتابه: «الفصول المهمة في تأليف الامة» فصولا يتحدث فيها بالتفصيل عن العلاقة الطبيعية التي تربط أهل السنة والشيعة باعتبارهم جميعا مسلمين، يعترف كل منهما بما له وعليه من حقوق وواجبات تجاه المسلم الاخر.

والعلامة الفقيد الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الأزهر السابق يقول في مقال تحت عنوان «بيان للمسلمين»[1]:

إنّ الدين الإسلامي قائم على نوعين من الأحكام:

أحدهما: أحكام ثابتة، يجب الإيمان بها، ولا يسوغ الإختلاف فيها وليس من شأنها ان تتغير بتغير الزمان والمكان، ولا أن تخضع لبحث الباحثين، واجتهاد المجتهدين. ذلك بانها ثابتة عن الله تعالى بطريق يقيني لا يحتمل الشك، واضحة في معانيها، ليس فيها شيء من الإبهام أو الغموض.

والثاني: أحكام اجتهادية نظرية مرتبطة بالمصالح التي تختلف باختلاف ظروفها

---

١ - مجلة رسالة الإسلام السنة الأولى ـ العدد الاول.

وأحوالها، أو راجعة إلىٰ الفهم والاستنباط اللذين يختلفان باختلاف العقول والأفهام، او واردة بطريق لا يرقى إلىٰ درجة العلم واليقين، ولا يتجاوز مرتبة الظن والرجحان.

والنوع الأول من الأحكام ـ وهو القطعي في روايته ودلالته ـ هو الأساس الذي أوجب الله على المسلمين أن يبنوا على صرح وحدتهم غير متنازعين، وربط به عزّهم وقوتهم وهيبتهم في أعين خصومهم والمتربصين بهم. والمسلمون كلهم مؤمنون به إيمانا ثابتا لا يتزعزع، لا فرق في ذلك بين طائفة منهم وطائفة.

وأن جميع الآيات التي جاءت في النهي عن التفرق، وذم الاختلاف، والتحذير منه، وضرب الأمثال بما كان من الأمم السابقة حين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات؛ إنما تعني الإختلاف والتفرق في هذا النوع من الأحكام، ومن ذلك قوله تعالى: «**إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء...**»[1]. «**ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات**»[2]. «**فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها. لا تبديل لخلق الله. ذلك الدين القيّم. ولكن أكثر الناس لا يعلمون. منيبين إليه واتقوه واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين. من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون**».

فهذا هو الإختلاف المذموم المنهي عنه في كتاب الله تعالى.

أما النوع الثاني من الأحكام، فإن الإختلاف فيه أمر طبيعي، لأن العقول تتفاوت، والمصالح تختلف، والروايات تتعارض، ولا يعقل، في مثل هذا النوع أن يخلو

١- الانعام /١٥٩.

٢- آل عمران /١٠٥.

مجتمع من الاختلاف، ويكون جميع أفراده على رأي واحد في جميع شؤونه، وهذا النوع من الإختلاف غير مذموم في الإسلام، مادام المختلفون مخلصين في بحثهم، باذلين وسعهم في تعرّف الحق واستبانته، بل إنه ليترتب عليه كثير من المصالح، وتتسع به دائرة الفكر، ويندفع به كثير من الحرج والعسر، وليس من شأنه أن يفضي، ولا ينبغي أن يفضي بالمسلمين إلىٰ التنازع والتفرق، ويدفع بهم إلىٰ التقاطع والتنابز.

ولقد كان أصحاب رسول الله(ص)، والتابعون لهم بإحسان، والائمة عليهم الرضوان، يختلفون، ويدفع بعضهم حجة بعض، ويجادلون عن آرائهم بالتي هي أحسن، ويدعون إلىٰ سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة، ولم نسمع أن أحدا منهم رمى غيره بسوء، أو قذفه ببهتان، ولا أن هذا الإختلاف بينهم كان ذريعة للعداوة والبغضاء، ولا أن آراءهم فيما اختلفوا فيه. قد اتخذت من قواعد الإيمان وأصول الشريعة التي يعد مخالفها كافرا أو عاصيا لله تعالى، وقد كانوا يتحامون الخوض النظريات، وفتح باب الآراء في العقائد وأصول الدين، ويحتمون فيها بالمأثور، سداً لذريعة الفتنة، وحرصا على وحدة الأمة، وتفرغا لما فيه عزهم وسعادتهم وارتفاع شأنهم، ولذلك كانوا أقوياء ذوي عزة ومهابة: «**أشداء على الكفار رحماء بينهم**»[1]..»

مما تقدم نفهم أن الإختلاف المذهبي نفسه ليس مدعاة للنزاع، اللهم إلاّ إذا اقترن بحالة الجهل أو استغلته الأطماع الدنيوية، حينئذ تثور النزاعات وتسفك الدماء، باسم الدين، وليس للدين في الواقع دور فيها، بل إنها تتعارض مع روح الدين وشريعته السمحاء.

---

١ ـ الفتح / ٢٩.

٢ ـ تعدد الحكومات

حالة التجزئة القائمة في عالمنا الإسلامي جرّت إلىٰ حروب ونزاعات حدودية وغير حدودية كثيرة.. لا نريد أن نتحدث عن الصورة المثالية المطلوبة لعالمنا الإسلامي حيث تتوحد الأمّة تحت قيادة واحدة، بل حديثنا عن هذه الحالة الموجودة التي تتعدد فيها الحكومات. هل هذا التعدد بطبيعته يؤدي إلىٰ الإختلاف والنزاع؟! لو نظرنا إلىٰ الساحة العالمية لوجدنا أن البلدان التي تملك زمام أمورها تتعاون مع بعضها تعاونا يكاد يلغي الحدود بينها. هذه الأسواق المشتركة والأحلاف المشتركة والاتفاقيات المشتركة بين بعض بلدان العالم تثبت إمكان توحد جهود بلدان العالم رغم تعدد حكوماتها. التعددية إذن في الأجهزة الحاكمة لا يؤدي بذاته إلىٰ نزاع، بل إن النزاعات تنشب بسبب طغيان حاكم من الحكام واستفحال روح التسلط والعدوان فيه. أو بسبب تدخل القوىٰ الكبرىٰ ودفعها لعملائها كي يحققوا عن طريق العدوان أطماعها.

الإسلام يرفض العدوان والطغيان، ويرفض الخضوع لإرادة المستكبرين، ويضع كل الضمانات للحيلولة دون هذه الحالة، وليس وراء النزاعات بين بلدان العالم الإسلامي سوىٰ غياب الروح الدينية والالتزام الديني.

بين بلدان المسلمين كل الداعي للتعاون السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي والأمني العسكري، لكن ضعف الدوافع الدينية، وفقدان الإرادة المستقلة عند بعض حكّام هذه البلدان يحول دون الوحدة المنشودة، بل ان الطغيان أحيانا أو العمالة أحيانا أخرىٰ يؤدي إلىٰ هذه النزاعات المشهودة في عالمنا الإسلامي.

٣ـ الإختلافات القومية

الاختلافات القومية حقيقة قررها القرآن الكريم وعبّر عنها بالشعوب والقبائل حيث قال سبحانه: «**يا أيّها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا انّ أكرمكم عند الله أتقاكم**»[1].

والآية الكريمة تبين الحقائق التالية:

١ ـ كما أن البشر مخلوقون بطبيعتهم من ذكر وأنثى، كذلك مخلوقون بطبيعتهم من شعوب وقبائل، وهذه حقيقة ثابتة في الخلقة البشرية.

٢ ـ أن الهدف من هذا الإختلاف هو «التعارف». وكما أن تعارف الذكر والأنثى يخلق النماء والخصب البشري واستمرار الحياة الانسانية، كذلك تعارف الشعوب والقبائل المختلفة يؤدي إلى تلاقح الثقافات والافكار والكفاءات لينتج الخصب الحضاري في حياة البشر.

٣ ـ أن معيار التفاضل بين الأفراد والجماعات هو الرقي في سلّم التكامل الذي عبّر عنه القرآن بالتقوى.

واستطاع الإسلام أن يسجل أفضل صور التفاعل بين الشعوب المسلمة، وأجمل ألوان التعايش بين القوميات المختلفة، ولعل اجتماع سلمان الفارسي وصهيب الرومي، وبلال الحبشي بين صحابة رسول الله(ص) كان مقدرا له أن يكون رمزا للإمتزاج الحضاري بين آسيا واوروبا وافريقيا في بودقة الإسلام.

غير أن النعرات الجاهلية القائمة على أساس غياب الروح الدينية واستفحال الذاتيات الضيقة لعبت دورها على مر التاريخ في إثارة النزاعات القومية بين المسلمين،

---

١ ـ الحجرات /١٣.

وكان لحكّام بني امية وولاتهم دور مخجل في إثارة التمييز العنصري، وفي عصرنا الحديث لعبت السياسة الاستعمارية دورا بغيضا في إثارة العنصريات القومية بين شعوب بلدان العالم الإسلامي، بل بين قوميات البلد الواحد، ونشأت في العالم الإسلامي أحزاب تتبنى التعصب القومي تقليدا للغرب أو عمالة له، جاهلة أو متجاهلة أن التعصب القومي أحرق الغرب وأدخله في حربين عالميتين إضافة إلىٰ حروب طاحنة محلية، حتى صحا على نفسه، وألغى التعصب القومي وأحل مكانه التعاون والتفاهم.

الاختلاف القومي ـ إذن ليس مدعاة بنفسه للخلاف والنزاع، بل هو عامل إثراء وإنماء إن كان في ظل التعارف والتعاون، وهذا ما دعا إليه دين الفطرة.

إختلاف اللغة

لم يلغ الإسلام لغات الشعوب المفتوحة، وإن شجّع على تعلم اللغة العربية، ولا أدّل على ذلك من تعايش العربية مع لغات العالم الإسلامي، ومن تحدث الاجيال العربية المهاجرة بلغات المهجر، منذ القرن الهجري الاول، كثير من العلوم دونت باللغات الإسلامية إضافة إلىٰ اللغة العربية، غير أن إقبال المسلمين على تعلم العربية ظاهرة مشهودة على مر التاريخ، يغذيها حب المسلمين لفهم القرآن والحديث ونصوص الدين المبين.

والواقع أن اللغة تسهم إلىٰ حد كبير في إحلال التفاهم بين أبناء الامة. ولا يمكن أن تكتمل وحدة الأمّة إلاّ إذا أقترنت بوحدة لغوية بينها. واللغة العربية باعتبارها لغة القرآن قادرة على ان تكون لغة التفاهم بين المسلمين، شرط أن تبذل الجهود لإحيائها في البلدان غير العربية، بل وحتى في البلدان العربية التي غلبتها اللهجات العامية

وسيطرت على ألسنة العرب بدل العربية الفصحى.

وحين كان مجلس الخبراء عاكفا على تدوين الدستور الإسلامي بعثت إليه مذكرة فيها بعض الاقتراحات، منها ضرورة الاهتمام باللغة العربية باعتبارها من مقومات إنشداد أجزاء الأمّة الإسلامية. وصدر الدستور الإسلامي وهو يؤكد على ضرورة تدريس اللغة العربية في جميع مراحل التدريس وفي كل الفروع الدراسية.

أليس من المؤسف أن تتحدث الدول المسلمة في اجتماعاتها باللغة الإنجليزيةالفرنسية ولا تتحدث بلغة دينها وقرآنها وتراثها وهي اللغة العربية؟!.

العوامل الأصلية للتفرق

١ ـ الجهل:

كان الجهل بالدين عامة، والجهل بالمذاهب خاصة، وراء أكثر ما حدث من نزاعات في التاريخ باسم الدين.

الجهل بحقيقة الدين خلق ألوانا من التعصب المقيت، وألوانا من البدع والالتقاط، وأدىٰ إلىٰ تفرق صفوف المسلمين وظهور الإفراط والتفريط في المجتمعات الإسلامية.

كما أن جهل أصحاب مذهب بمتبنيات أصحاب المذهب الآخر خلق حساسيات وعقدا، وادىٰ إلىٰ تبادل التهم والافتراءات.

وليس الجهل مقتصرا على القرون الغابرة، بل هو لا يزال يعشعش في مجتمعاتنا ويفرخ، ويولد أحيانا صورا مؤلمة من التعصب والتحجر، أو ينتج استخفافا بشريعة الله وتهاونا في الالتزام بأحكامه. كما أنه يظهر على شكل حزازات طائفية وتهم

وافتراءات.

والغريب أن هذا الجهل المذهبي نجده حتى في أوساط علمية مرموقة.. فكم قابلت من العلماء من يجهل أبسط الحقائق بشأن المذاهب الاخرىٰ! وكم وجدت من يحمل منهم مفاهيم غير صحيحة عن الآخرين.

وصدق السيد شرف الدين اذ قال: المسلمون إذا تعارفوا تآلفوا.

يحضرني الآن اني قابلت المرحوم الشيخ محمد الفحام شيخ الازهر الاسبق، وما أن رآني حتى قال: سمعت من الإخوة الشيعة أنهم يحورون الحديث النبوي الشريف: «اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وسنتي» ويقولون «... كتاب الله وعترتي».... ويبدو أن تخصص الرجل كان في قواعد اللغة العربية، ولم يكن له الاطلاع اللازم على الحديث. وكان إلىٰ جانبه مساعده الشيخ عبد العزيز عيسى (وهو من مؤسسي دار التقريب في القاهرة)، فبادر قائلا: هذه المسألة اثيرت أيام المرحوم الشيخ محمود شلتوت، ودفع ذلك إلىٰ أن يبحث أحد الإخوان في أسانيد «كتاب الله وعترتي» ويذكرها جميعا من مصادر أهل السنة، ثم عمدت دار التقريب إلىٰ نشر هذا البحث. والبحث الذي أشير إليه هو رسالة دوّنها الشيخ قوام الدين الوشنوي من علماء قم[1].

ويبدو أن علاج هذه الظاهرة يمكن أن يتم عن طريق مجمع يضم ممثلي المذاهب الإسلامية، وتتشكل في هذا المجمع لجان لدراسة المشتركات الموجودة بين المسلمين، ثم تذكر الخصائص الثابتة المقبولة لكل مذهب. وبذلك تتضح الفوارق

١- أُعيد طبعه في المجمع مع تذييل منّا يبين قصة تأليفه في إيران على عهد الإمام البروجردي، وقصة اعادة طبعه في القاهرة. ونشرت رسالة التقريب هذا التذييل.

بدقة، وتزول التهم والافتراءات[١].

٢ ـ عدم التثبت قبل الحكم:

وهي حالة شائعة مع الأسف في جميع مجالات حياتنا، وخاصة المذهبية.. حالة الاكتفاء بالشائعات والحكم على أساسها ظاهرة ناتجة عن غياب الروح العلمية وغياب اهمية كرامة الإنسان، وغياب التربية الإسلامية التي تعلمنا كيف نتعامل مع المسموعات. يقول **المرحوم العلامة كاشف الغطاء** في مقال تحت عنوان: «التثبت قبل الحكم»[٢]:

«ما زال أهل العلم والنظر والدراسات الصحيحة يعنون أكبر العناية بالمصادر التي يعتمدون عليها في بحثوهم، ويستندون اليها في أحكامهم، ومن المعهود أن رجال الفرق، وأهل العصبية للمذاهب، ينقلون عن مخالفيهم آراء قد لا يعرفها هؤلاء المخالفون، وقد يعرفونها على صورة اخرىٰ تختلف اختلافا قريبا أو بعيدا عن الصورة المنقولة، وأنهم قد يأتون باستدلالات لمذهب مخالفيهم يروجون لها، في ظاهر الامر، ويوغلون في تفصيلها والعناية بدقائقها، ليوهموا الناس إنها لمخالفيهم، ثم يكرون عليها بالابطال والتزييف والطعن والتجريح فلا تلبث أن تنهار».

لذلك كان شيوخ العلم، وحذاق النقد، يوصون تلاميذهم بأن يعنوا بمصادرهم، وألاّ يقلدوا في بحوثهم وأفكارهم تقليداً أعمى، فيقعوا في الخطأ، لمذهب ما، أو

---

١ - إتّفق المجتمعون في احدىٰ مؤتمرات الوحدة الإسلامية على صياغة المشتركات الإسلامية وصدر على اثر ذلك «منشور التقريب» غير أن المشروع بحاجة إلىٰ إعادة صياغته باشتراك عدد أكبر من علماء المذاهب الإسلامية.

٢ - مجلة رسالة الإسلام العدد الأول السنة الاولى.

فكرة ما، إذا ارادوا أن يصلوا إلىٰ الحقيقة في هذا المذهب، وان يعرفوا الواقع الفعلي، لا التخيلي، لهذه الفكرة.

أقول هذا لأنني تتبعت كثيرا مما يكتبه الكاتبون عن الشيعة إلىٰ عهد قريب، فوجدته مأخوذا عن ابن خلدون الذي كان يكتب وهو في افريقيا وأقصى المغرب عن الشيعة في العراق وأقصى المشرق، أو عن أحمد بن عبد ربه الاندلسي، أو أمثالهما، وقد يريد الكاتبون التوسع، ويقصدون إلىٰ الدراسة والتحليل، فيرجعون إلىٰ كتب الغربيين المعروفين «بالمستشرقين»، وحينئذ يظنون أنهم قد أتوا بفصل الخطاب، واعتمدوا على المصدر الوثيق، وجاؤوا بالحجة الدامغة، مع أن أمر الشيعةأفكارهم وآرائهم ميسّر لمن أراد معرفته، فهذه كتبهم ومؤلفاتهم ومكتباتهم ـ ومن بينها مكتبتنا التي تشتمل على أكثر من خمسة الآف مجلد ـ تشهد بأن الشيعة ما هم إلا طائفة من طوائف المسلمين، ومذهب من مذاهب الإسلام، يتفقون مع سائر المسلمينالإصول، وإن اختلفوا معهم في بعض الفروع.

٣ ـ لغة الطعن والتنابز بالألقاب:

شاعت بين أصحاب المذاهب الإسلامية منذ القدم لغة بعيدة عن الموضوعية والروح الإسلامية، وهي لغة الطعن، ولصق التهم، ونسبة الألقاب السيئة إلىٰ الخصوم، مما كان يزيد في الطين بلة، ويؤجج نيران العصبيات، ويبعد الحالة الإسلامية عن الحوار العلمي الهادىء الرصين.

ولا تزال ألقاب «العامة» و«الخاصة» في كتبنا عند الحديث عن الشيعة والسنة، ولا يزال هناك من يطلق كلمة «النصيرية» على العلويين، ولا يزال هناك من يسمي أتباع هذا المذهب أو ذاك بأسماء لا يرضونها كالرافضة والوهابية وأمثالها.

هذه الالقاب لا تغير من الحقيقة شيئا، ولعلها تكون مشمولة بالنهي الوارد في الكريمة: «ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب»[١].

وثمة كتب ألّفت لتضم بين دفتيها ألوان الطعون مثل «الوشيعة»، و«فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة» و«إلزام النواصب» و... امثالها. وهي تجانب روح التقارب والتوحيد وتجافي الاخوّة الإسلامية، على العكس من كتب اخرىٰ ذكرت الاختلافات بروح علمية موضوعية مثل «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» لابي الحسن الاشعري، و«الفصول المهمة في تأليف الامة» للسيد شرف الدين.. وأمثالهما.

٤ ـ إسلوب إستثارة الإختلافات:

بعض الناس صِداميّون بالذات.. في كل أمورهم يريدون أن يبحثوا عن خصم ليتناطحوا معه، يعيشون حياتهم وكأنهم في ساحة حرب ينادون: «هل من مبارز». هؤلاء يلجون في الخصام دائما، ولا يعرفون سوىٰ الخصوم... يفتشون دائما عن العيوب والثغرات والاختلافات، فيجدون فيها ما ينّفسون عن روحهم التواقة للاصطدام.

وحين يدخل مثل هؤلاء الساحة المذهبية يخلقون المآسي... يفسرون حتى اختلافات النحويين اختلافا مذهبيا. لا تجد في بحوثهم سوىٰ الإثارات الطائفية.

بينما تجد على العكس من هؤلاء علماء يعشقون مسائل الوفاق والاشتراك، ويجهدون أنفسهم لدراسة المشتركات، وما يقرّب بين المسلمين، منهم على سبيل المثال: الشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي، وأمين الإسلام الطبرسي، والسيد محسن الامين، والسيد شرف الدين، وكتب السيد المرتضى

---

١ ـ الحجرات/١١.

كتاب «الانتصار» ليجد له شريكا في مسائله الفقهية من سائر المذاهب.

هذه هي الروح التي تتحرىٰ الحقيقة، وتطلب رضا الله سبحانه وتعالى، لاتلك الروح الصدامية التي تطلب الشهرة وإرضاء الرغبات السطحية.

٥ ـ الإستناد إلىٰ أقوال العوام وأفعالهم:

لاشك أن هناك عادات وتقاليد سائدة بين المسلمين لا يمت بعضها إلىٰ بصلة، ظهرت على مر الأيام والسنين بسبب الجهل أو بسب خطط سياسية ماكرة، وهذه يجب ألا تكون ملاكا للحكم على أصحاب هذا المذهب أو ذاك. بعض المسلمين يضفون على أعمالهم المنحرفة صبغة دينية، فيسيئون إلىٰ الإسلام والى مذهبهم، والى هذا أشار الإمام جعفر بن محمد الصادق(ع) إذ قال: «كونوا لنا زينا ولا تكونوا علينا شينا».

يبدو أن المفارقة بين العمل والمعتقد لا تختص بالعوام. بل تشمل حتى بعض العلماء الذين يسيرون وراء العامّة وينقادون لما تقوله العامة، تاركين علمهم محدودا بقاعة الدرس والكتاب.

ولابد أن نذكر هنا وجود طوائف من المسلمين لا يمكن أن نحكم عليهم إلا من خلال أعمال أفرادهم لعدم توفر المصادر الكافية لدراسة عقائدهم وتشريعهم مثل بعض الطرق الصوفية، والعلويين، والبهرة. وأعمال أفرادهم مدعاة للطعن في مذهبهم، فالأحرىٰ بعلمائهم ومفكريهم أن يكتبوا بوضوح كلما يبين انتماءهم الإسلامي.

٦ ـ إساءة فهم بعض المصطلحات:

بعض الألفاظ المشتركة تفسّر أحيانا تفسيرا خاطئا يجعل منهم وسيلة للتنافر والحزازة. «الولاية» تعني الإمامة والقيادة، وتعني الحب. وولاية أئمة أهل البيت

بالمعنى الأول خاصة بالشيعة، والثانية تشمل كل المسلمين، حتى الذين يسمون اليوم بالإباضية وينتسبون إسميا للخوارج. إذن من ينكر ولاية أئمة أهل البيت لا يعني بغضهم لآل البيت ـ والعياذ بالله ـ كما يتصور البعض، بل أن الولاء لآل بيت رسول الله محور يجمع كل المسلمين ولا يختلف عنه أحد.

و«التقية» مثلا من المفاهيم الهامة التي تصون أرواح المسلمين أمام الأعداء، وتصون وحدة المسلمين في الداخل ولكن لفظها المشترك حمل بما يسيء إلى الشيعة ويعتبرهم ممن عنده عقائد باطنية لا يظهرها.

٧ـ مصالح الحكم والسلطة:

وهذه لعبت دورها السيء على مر التاريخ، فاستغلت الاختلافات، وأثارت الخلافات، ومارست السياسة المعروفة: «فرّق تسد»، ولاتزال هذه الظاهرة يمارسها الحكّام المستهترون بمصالح شعوبهم، البعيدون عن رضا الله القريبون من سخطه. لا يهمهم ما تسفك من دماء وما تثور من نزاعات، يقدّمون كل شيء قربانا على مذبح حكمهم وتسلطهم وشهواتهم.. هداهم الله أو أزال عن المسلمين شرورهم.

وأفظع من هؤلاء الحكام أسيادهم من الطغاة المستكبرين وأسياد أسيادهم من اليهود الصهاينة. هؤلاء يعملون ضمن خطة دقيقة مدروسة لاثارة النزاعات الطائفية، بل والحروب الطاحنة الإقليمية والمحلية.

ولا سبيل للنجاة من هذه الشرور إلاّ بإتحاد المسلمين، وصيانة مقدراتهم وحرماتهم وسيادتهم من الانتهاك. والله الموفق. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الوحدة الإسلامية

معالمها و أعلامها

بحث مقدّم إلى

مجمع الفقه الإسلامي

الدورة الحادية عشرة المنعقدة في المنامة ـ البحرين

٢٥ – ٣٠ رجب ١٤١٩ الموافق ١٤–١٩ نوفمبر ١٩٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيّنا رسول الله سيّد المرسلين، و على آله الطاهرين وصحبه الميامين.

أيها الحفل الكريم

السلام عليكم ورحمة الله و بركاته وبعد:

أحييكم أطيب التحيات وأقدّم لكم بحثا متواضعاً عنوانه «الوحدة الإسلامية معالمها و أعلامها» و قبل أن أدخل في صميم الموضوع يطيب لي - تمهيدا للبحث و تركيزاً على النقاط المهمة فيه - للإتيان بمقدمة حاوية لشرح كلمات تدور على الألسن - كمصطلحات - في مجال الوحدة الإسلامية ثم اتبعها بمعالم الوحدة وأعلامها.

تمهيد

شاعت بين المصلحين و دعاة الوحدة كلمات مثل: الوحدة الإسلامية أو الإتحاد الإسلامي والأمة الواحدة الإسلامية أو الجماعة الإسلامية، والأخوّة الإسلامية أو التآلف بين المسلمين والتقريب بين المذاهب الإسلامية. وهذه الكلمات والتعابير ـ مع الاعتراف باشتراكها في المغزى والهدف ـ وهو تقارب المسلمين و تآلفهم ـ إذا تأملنا فيها، و أعطيناها حقها من الدقة والاعتبار فلكل منها مفهوم خاص يختلف عن غيره بقليل أو كثير.

فالوحدة الإسلامية ، أو الإتحاد الإسلامي عبارة عن وحدة كلمة الأمة تجاه قضاياها الأساسية و أهدافها المشتركة ووقوفها صفا واحداً أمام الأعداء، وهي الغاية القصوى والغرض الأقصى من كل المحاولات الجارية ، والجهود الجبارة، والدعايات الوحدوية من قبل المصلحين في العالم الإسلامي و سنتداولها بالبحث بتشعّب أقسامها واختلاف صورها.

وأما الأمة الواحدة ـ أو الجماعة الإسلامية ـ فتحمل في جوهرها علاوة على وحدة الكلمة والصمود إمام الأعداء وحدة جماعية إلى جانب الأمم الأخرى يحسن التعبير عنها بالقومية الإسلامية. فالمسلمون لهم جنسية إسلامية ، قوامها الإيمان بالله ورسوله والتسليم لهما، ولهم وطن واحد، وسلطان قائم بذاته تحت قيادة واحدة، ولهم ثقافة ملموسة، و تقاليد مرسومة، مصدرها الكتاب والسنّة. وسيتلى عليكم الآيات ونحدّثكم بما جاء في السنة الشريفة من الشواهد على هذه القومية الإسلامية.

وأما الأخوّة الإسلامية، فهي في بدو النظر تعبير عن الجانب العاطفي والتعاطف الروحي بين المسلمين باعتباره تشديداً للعلاقة بينهم و تبادلا للمحبة بين قلوبهم محبة الأخ للأخ.

وقد قام النبي في بداية الهجرة بعد أن أعلن أن المسلمين أمة واحدة ـ كما يأتي ـ بعقد الأخوة بين المهاجرين والأنصار، قال ابن إسحاق: و آخى رسول الله صلى الله عليه و سلّم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فقال لهم: **«تأخوا في الله أخوين أخوين، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب. فقال: هذا أخي»** ثم ذكر ابن إسحاق مؤاخاة الآخرين بعضها بين مهاجري و أنصاري، وبعضها بين مهاجري و مهاجري[١]

وينبغي أن لاننسى تلك البشارة التي بشر بها النبي أصحابه قبيل الهجرة قائلا: **«إن الله قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها»**[٢] فهاجروا إلى يثرب أرسالاً، واثقين بأن الله سوف يحقق لهم هذه البشارة، هؤلاء الإخوة وتلك الدار.

وهؤلاء الإخوة كانوا يتوارثون فيما بينهم بهذه الأخوّة، حتى نزلت : **«وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله»**[٣] فتحولوا إلى التوارث بالأرحام.

ثم أعلن الله تعالى في كتابه: **«إنما المؤمنون إخوة»**[٤] فارتقى عقد الأخوة بين إثنين إثنين من المهاجرين والأنصار إلى الأخوة بين جميع المؤمنين، فإذا كانت الأخوة بينهم عهداً أو عقداً من الله ورسوله، فهي شيء وراء مفهوم

---

(١) سيرة ابن هشام: ٢:١١٨.
(٢) سيرة ابن هشام: .
(٣) الأنفال: ٧٥.
(٤) الحجرات: ١٠.

عـاطفي، منقلبة إلى مفهـوم حقـوقي وإلى حق لـه أحكامه ومسئولياته، و حينئذ تستتبع الأخـوة الإسلامية حقوقا وتضع مسؤولية كبيرة على عاتق المسلمين أمام بعضهم البعض في شتى أمـورهم يُعبّـر عنها قول النبي القائد: **«من أصبح لايهتم بأمـور المسلمين فليس بمسلم»** إلى غيـرهـا من إرشاداتـه القيمة في سبيل إرساء أساس الأخوة الإسلامية بمفهومها الحقوقي المشار إليه.

فهـذه الأخـوة العـامة بين المسلمين أخوة شرعية نظير الأخوة الرضاعية التي لها حكمها في الزواج.

وأمـا الإئتلاف بين المسلمين فهي تعبير عن الجانب العاطفي فحسب لايثبت بمجرده حقا فلامسؤولية بينهم.

وأما التقريب بين المـذاهب الإسـلامية فتعبيـر عن بـذل الجهـود العلمية في سبيل إزالة الفـوارق التي باعدت بين المذاهب الإسلامية وأئمتها و أتباعهافينكر بعضهم بعضـا وينظـرون إلى المـذاهب كأنهـا أديـان مختلفة وكأن أتباعها أتباع أديـان و أمم شتى و ليسـوا أمة واحدة وكذلك تحسين العلاقة بين الأئمة وعلماء المـذاهب وتكوين الجـوّ الهـاديء والتعارف بينهم على أساس المشتركات بين المـذاهب التي تشكل تسعين بالمـائة أو أكثر ليتبادلوا الآراء فيما اختلفوا فيه ـ و هي أقل من المشتركـات بكثير ـ ولاسيما المسائل الفقهية والأصولية وغيرها مما سنبحثها فيما يأتي ونعطيها حظاً أوفى.

وفي رأينـا أن الآيـات ١٠١ إلى ١٠٣ من سـورة آل عمـران تشمل جميع هـذه المفاهيم التي ذكرناها لتلك الكلمات وهي قوله تعالى:

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته، ولاتموتن إلاّ وأنتم مسلمون.

واعتصمـوا بحبل اللـه جميعـاً ولاتفرّقـوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم

أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا...»

فالخطاب: **يا أيها الذين آمنوا** ـ كما سنوضحها ـ إشارة إلى القومية الإسلامية إلى جانب أقوام اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين، قوامها الإيمان بالله ورسوله والتسليم لهما مع تقوى الله ـ كما قال: **«واتقوا الله حق تقاته ولاتموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون»**. والاعتصام بحبل الله هو الوحدة المنشودة بين المسلمين ووقوفهم أمام الأعداء والإجتناب عن التفرقة والمعاملة مع المسائل التي اختلفوا فيها برفق وبالتركيز على المشتركات ـ وهي حبل الله ـ والحذر عن جعلها فرقاً ومذاهب، وفيها إعلان بأن التأليف بين القلوب والأخوة بين المسلمين نعمة من الله تبارك و تعالى.

معالم الوحدة الإسلامية:

وإذ قد تم شرح كلمات شاعت بين الناس بشأن الوحدة الإسلامية نبدأ الحديث حول «معالم الوحدة» و نريد بها أصول الوحدة و أركانها ومقوماتها التي لاتتم الوحدة الإسلامية، ولاتستقر على قرار، ولاتقوم على ساق إلا بها وأهمها أمور:

١ ـ القومية الإسلامية ، أو الأمة الواحدة الإسلامية:

وقد نطق الكتاب والسنة بها و دعا إليها و أكدا على توثيقها. قال تعالى: **«إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون»**[1] وفي آية أخرى: **«وإن هذه أمتكم**

---

(١) الانبياء: ٩٢.

أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون»[١] فقد خاطب الله المسلمين بأنهم أمة واحدة في ظل ربوبية الله التي تلزمهم عبادته وتقواه، و أن هذه الأمة قوامها الإيمان بالله و التسليم له. وهناك من المفسرين من وجّه الخطاب إلى الأنبياء المذكورين قبله فحوّل الآيتين إلى أن خطة الأنبياء واحدة، وهي الإيمان بربوبيته والتسليم لطاعته، وهي تعبير عن وحدة الأديان السماوية الشاملة للمسلمين وغيرهم من أهل الكتاب، فهي وحدة أوسع فوق وحدة الأمة الإسلامية.

وجدير بالذكر أن الأمة والإمام من مادّة واحدة ، قوامها الاتباع، فبينها نوع من التلازم والمناسبة فالإمام من له أتباع، والأمة هي الجماعة الذين يتبعون إماماً، فالجماعة المتشتة الأهواء، الذين ليس لهم إمام يتسلمون له لايقال لهم «أمة» . ومن هذا المنطلق تختص هذه الكلمة بأهل الأديان والنحل فأتباع كل نبي أمة برأسها كأمة موسى، و أمة عيسى، و أمة محمد صلوات الله عليهم.

وقد جعلهم القرآن أمماً شتى ، وسمى كل واحدة باسم فقال: **«إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون»**[٢] وفي آية أخرى: **«... والنصارى فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولا هم يحزنون»**[٣]

وفي ثالثة: **«... والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة ، إن الله على كل شيء قدير»**.[٤]

---

(١) المؤمنون: ٥٢.
(٢) المائدة: ١٩.
(٣) البقرة: ٦٢.
(٤) الحج: ١٧.

فقد عبّر القرآن في هذه الآيات عن الأمة الإسلامية بـ «**الذين آمنوا**» إلى جانب سائر الأمم من أتباع الأنبياء وغيرهم. بل أعلن أنها خير الأمم: «**كنتم خير أمة أخرجت للناس..**»[١] بما لهم من المميزات والقيم ذكرها في كتابه.

وعندنا أن «**الذين آمنوا**» في الخطابات القرآنية رمز إلى هذه القومية الإسلامية التي نحن نسميهم «المسلمين» وهذه التسمية أيضا أصلها من الله إذ جاء في القرآن: «**هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا**»[٢] استجابة لدعاء إبراهيم عليه السلام إذ قال: «**ربنا واجعلنا مسلمَينِ لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك**»[٣] وهذه التسمية رمز إلى أن أمة الإسلام أمة التسليم أمام الله و السلم والسلام أمام الناس.

هذه نصوص قرآنية بشأن القومية الإسلامية و أمّا السنة فقد أعلن النبي بها في وثيقة مهمة، وهي كتاب كتبه بين المهاجرين والأنصار لدى هجرته إلى يثرب جاء فيها: «**هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس...**»[٤] تأمل قوله عليه السلام: «**إنهم أمة واحدة من دون الناس**» أي إلى جانب الناس من اليهود والنصارى والمشركين وغيرهم. ومن هنا نقول: إن الإعلان بتأسيس وظهور الأمة الواحدة الإسلامية جاء متزامنا مع الهجرة النبوية التي كانت بدورها إيذانا بتشكيل الحكم الإسلامي، والذي أقامه النبي عليه السلام لدى وصوله

---

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) الحج: ٧٨.

(٣) البقرة: ١٢٨.

(٤) سيرة ابن هشام ط «دار احياء التراث العربي» ٢:١١٥.

يثرب التي سميت فيما بعد بمدينة الرسول ثم أطلق عليها «المدينة» من دون إضافة إلى الرسول لشهرتها.

وكان من دعائم هذا الحكم الجديد الإلهي أن المهاجرين والأنصار وجميع من كان معهم وجاهد معهم يشكلون أمة واحدة. ومن هذا المنطلق يصح لنا القول بأن قيام الحكم الإسلامي له دخل في مفهوم الأمة الواحدة الإسلامية تسجيلا لمعنى الطاعة والتسليم إطلاقاً وتعميماً للحكم. وأن فيها معنى الاتباع للنبي القائد -ومن قام مقامه - في كل مايأمر وينهي ومن أهمها الشؤون السياسية. وإنه سهل علينا إقامة شواهد من الكتاب والسنة على اهتمام الرسول باستقلال أمته وقيامها بذاتها في أمورها وتحذيره أمته من اتباع الآخرين في تقاليدهم وآدابهم والاختلاط بهم وموالاتهم مما يطول الكلام بذكرها.

ويخطر بالبال أن كل من عبر من المصلحين والقادة في عصرنا عن المسلمين باسم «الجماعة الإسلامية» فقد رام التركيز على هذه القومية الإسلامية والأمة الواحدة التي فرضها الله ورسوله على المسلمين.

ونعتقد أن تكرار صيغة الجمع بكثرة، تعبيراً عن المؤمنين في الخطابات القرآنية، وفي الأدعية والأذكار والعبادات وفي طليعتها سورة الحمد التي يقرءها كل مسلم في صلاته ليل نهار مرات مخاطبين الله: **«إياك نعبد و إياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم»** هذه الصيغة تمرين و تدريب لفكرة الأمة الواحدة والقومية الإسلامية ، ومصداق لقوله تعالى: **«إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون»** بالجمع بين القومية الإسلامية وعبادة الله تعالى.

وقد جاء في دعاء الإمام السجاد علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام: **«اللّهم صلّ على محمد و آله، وحصّن ثغور المسلمين بعزّتك،**

وأيدّ حماتها بقوّتك، و أسبغ عطاياهم من جِدَتك... وكثّر عِدّتهم، وأشحِذ أسلحتهم واحرِس حوزتهم، وامنع حَومتهم، وألّف جمعهم، ودبّر أمرهم، وواتر بين مِيَرِهم، وتوحّد بكفاية مُؤنهم، واعضدهم بالنصر، وأعنهم بالصبر، والطُف لهم في المكر - إلى أن قال - **أللهم وقوّ بذلك محالّ أهل الإسلام، وحَصّن به ديارهم ،وكثّر به أموالهم، وفرّغهم عن محاربتهم لعبادتك** - إلى أن قال - **أللهم اغزُ بكلّ ناحية من المسلمين على من يإزائهم من المشركين** - ثم يُسمي الأعداء مما يشهد بأن الإمام كان خبيرا بأوضاع المسلمين واعداءهم فقال: **أللهم واعمم بذلك أعداءك في أقطار البلاد من الهند والروم والترك والخَزَر والحَبَش والنوبة والزنج والسقالبة والديالمة وسائر أمم الشرك، الذين تخفى أسماؤهم وصفاتهم، وقد أحصيتهم بمعرفتك، وأشرفت عليهم بقدرتك.**

وحبذا لو أن المسلمين يُدرّبوا أطفالهم على هذه القومية ويُلقّنونهم إياها منذ نشأتهم مستمرين عليها إلى آخر أيامهم كما يلقّنونهم التوحيد والنبوّة وغيرهما من الأصول الإعتقادية لكي يمتزج اعتقادهم بتلك الأصول، مع الإحساس بأنهم مع من اعتقد بما اعتقدوا به يشكلون جميعا أمة واحدة، فيعتّزون بها فوق إعتزازهم بأسرتهم وقبيلتهم وشعبهم ووطنهم ومذهبهم وأيّة مزية أخرى يعتزون بها، ويتذكروا دائما أنهم قبل كل شيء أمة مسلمة . ثم لايغلب شيء من هذه العلاقات والمميزات الفارقة بينهم - مهما كانت موضع اهتمامهم واعتزازهم - ذلك الإحساس الطيب المتعالي بأنهم أمة مسلمة، بل بقي في نفوسهم ويتبلور في قلوبهم حياً طرياً، جيلا بعد جيل إلى آخر الأبد.

فعلى الآباء والأمهات في بيوتهم، وعلى المعلّمين والشيوخ في مدارسهم وكُتّابهم، وعلى الأساتذة في صفوفهم الجامعية، وعلى الخطباء والأئمة من على

منابـرهم وفي فترات مواعظهم، وعلى الكُتاب والباحثين والمؤرخين والقُصّاص فيما يكتبون ويبحثون وعلى الفنانين فيما يرسمون ويخلقون، وعلى الشعراء فيما ينشدون من الشعر والأناشيد، عليهم جميعاً تنمية هذا الإحساس الطيب والعاطفة القـومية المقـدسّة بمـا عنـدهم من الصنـاعة بتـذكـار مفـاخـر الإسلام وبطولات المسلمين و أبطـالهم في الحـروب والفتـوحـات الواسعة في شرق العالم وغربه، كفتح الأنـدلس وغيرها، وكذلك بذكرى الشهداء الذين استشهدوا في سبيل الله، والأبنية والآثـار البـاقية المُشرقة من المساجد والمدارس والزواياوالقصور والدور هناو هناك وغيرها من أعمال المسلمين، فيترنمون بها في أناشيدهم مثل أنشودة «الشرق لنا والغرب لنا».(١)

---

(١) تعليقـا علي مـسألة الأنـاشيـد الإسـلامية أحكي لكم أناشيد ذكرها الأستاذالدكتور يوسف القرضاوي في مقابلة له مع مجلة رسالة التقريب قال:
وكنا نحفظ من الشعر الذي ننشده في رحاب دعوة الاخوان المسلمين:

ولست أرضى سوى الإسلام لي وطنا ... الهنـــد فيـــه ووادي النيـل سيّـــان
وكلّمـــا ذُكـــر اسمُ اللّـــه في وطنٍ ... عـــددت أرجـــاءه من لُبّ أوطـانيَ

وأنا أكدت هـذا المعنى في نشيـد لي إسمـه: «مسلمون». وفي وقت من الأوقات كانوا في بلاد العـرب – أيـام مـدّ القـومية العربية – يتغنـون ويتنـادون بالعروبة ويكادون يتناسون الإسلام، وكل شي: عـرب عـرب عرب... عربا كنّا ونبقى عربا. وأنا في هذا الوقت أنشأت نشيداً اسمه: مسلمون. والنشيـد اشتهـر وشـرّق وغـرّب وخاصة على لسان الشباب، وفي بعض البلاد إتخذوه شبه نشيد وطني، في جمهورية اليمن في أيام الارياني كان التلاميذ في المدارس ينشدونه.
والنشيد يقول:

مسلمـــون مسلمـــون مُسلمـــون ... حيث كـان الحقّ والعـدلُ نكـون
نـرتضي المـوتَ ونأبى أن نهـون ... في سبيل اللـه مـا أحلى المنـون

* * *

ويقول:

يـا أخي في الهند أو في المغربِ ... أنـــا مِنـكَ، أنتَ منّي، أنت بي
لا تسـل عن عُنصُـري عن نسَبي ... إنّـــهُ الإســـلامُ أمّـي وأبـي

إخوةٌ نحنُ به مؤتلفون
مسلمون مسلمون مسلمون .....

ثم فرض على العلماء والحكّام والقادة وكل من يهتم بعزّة الإسلام والمسلمين أن يقفوا بكل قوّتهم أمام الجهود المضادة والمساعي المبذولة من دون حدّ ـ من قبل الغربيين والمستشرقين منذ قرنين أو أكثر، وكذلك على يد الأجيال الناشئين من الطلبة المسلمين في جامعات أوروبا وإمريكا ـ في سبيل تجديد القوميات السابقة وإيقاظ فكرة القومية في نفوس المسلمين لكي يستبدلوا القومية الإسلامية بتلك القوميات فيخلقوا من الأمة الإسلامية الواحدة أمما شتى، ومن الشعب المسلم الواحد والقومية الإسلامية الواحدة شعوبا وقوميات لا علاقة لهم بالإسلام، فيعتزون بها بدل الاعتزاز بالإسلام. وهذه الجهود تتزايد وتتضاعف عند الشعوب المسلمة كل يوم كادت أن تغلب عليها بيد أعداء الإسلام رجاء أن يُبعّدوا المسلمين عن دينهم وأمتهم فيتفرقوا أمماً بعد أن جعلهم الإسلام أمة واحدة، وهذا من أكبر التحديات في العصر الحاضر للإسلام والمسلمين ، وفي القرن القادم، والكلام في هذا ذو شجون، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

ومع ذلك كلّه فيحلو لنا مسرورين الإعتراف بأن القومية الإسلامية لاتزال ـ رغم تلك الأمواج الهائلة والجهود المُضادّة ـ مرتكزةً في خَلَد المسلمين، وتتوسّع وتتزايد في هذه السنين و لاسيّما بعد نجاح الثورة الإسلامية المباركة في الجمهورية الإسلامية في إيران، وعلى أثر جهود رجالٍ مخلصين في أنحاء العالم ولله الحمد وله الشكر.

٢ ـ المسؤولية المشتركة والمتبادلة:

لن تتحقق فكرة الأمة الواحدة عند المسلمين، ولاترتكز في النفوس ولاتستقر

في القلوب، إلاّ بوجود المسؤولية المتبادلة والمشتركة في نفوسهم، فما بقيت أمة من الأمم ولا أمة الإسلام خالدة إلا بتبادل هذه المسؤولية بين أبنائها، بأن يشعر كل فرد منهم في نفسه أنه مسؤول أمام الآخرين، فيتبادل ويشتد هذا الإحساس بينهم ليل نهار، لايغفلون عنه قليلا، فيحسبون الغفلة عنها نقصاً في إيمانهم وعيبا في تقاليدهم، و عصياناً لربهم وخروجاً عن دائرة أمتهم. ثم يرون أنفسهم مع غيرهم من أعضاء الأمة سواء في النفع والضرر، وفي البأساء والضرّاء، وفي الفلاح والخسران، ويكون همّهم بهذه المسؤولية لديهم فوق كل همومهم، وأمنية فوق كل أمنياتهم. فيعيشون معها دائما. وهذا مغزى قول النبي صلى الله عليه و آله: **«من أصبح لايهتم بأمور المسلمين، فليس بمسلم»**[1]

وقوله: **«يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم»** وهذا هو الذي أكّده عليه السلام في العهد الذي عقده وكتبه بين المهاجرين والأنصار لدى هجرته، ومنه قوله: **«وإن ذمة الله واحدة يجير عليه أدناهم، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض من دون الناس...»**[2] وهذاتنجيز لقوله في أوله: **إن المسلمين أمة واحدة من دون الناس** ـ و قد سبق.

ومن شروط القيام بهذه المسؤولية الاطّلاع على أوضاع المسلمين: ابتداءً بذوي القربى وأولى الأرحام والأسرة، ومروراً على الجار القريب والبعيد ـ حسب ما أكدت به السنة الشريفة ـ وعلى أهل البلد، وانتهاءً بالمسلمين القاطنين في بلاد أخرى إلى أقصى الأرض، ثم معرفة ما أحاط بهم من البأساء والضراء، وما يخاطرهم من الشرور والحِدثان وما تُصيبهم من الفتن وما تُحمّل عليهم من

---

(١) أصول الكافي، ج ٢

(٢) سيرة ابن هشام : ٢:١١٦.

الحروب والضغوط، وما تستلزمه من الفقر والمرض والتخلّف والانقراض.

وهذا الاطلاع بدوره يتوقف على معرفة الشعوب المسلمة جغرافيا وثقافيا واقتصاديا وسياسيا والإحاطة بجميع شؤونهم، وبإمكانياتهم ممّا له دخل في سعادتهم أو خسرانهم، في رقاءهم أو تخلّفهم. فإذا تمت هذه المعرفة وحصل ذلك الاطلاع ورسخت تلك المسؤولية في القلوب، فسوف لا يستريح أحدهم نهارا ولا ينام ليلا إلاّ وشَغله همّ إخوانه في أرجاء العالم من أي شعب ومذهب وقبيلة كانوا، فلا قرار له إذا سمع الأخبار البَشِعة التي بلغته عن المسلمين في البوسنة والهرسك، والصومال والسودان ـ كما حدثت قبل سنين ـ أو ما يجري اليوم في أفغانستان، وباكستان، والجزائر، وفلسطين، وكوسوفو وغيرها، من القتال والدمار بأيدي الأعداء، أو بأيدي المسلمين أنفسهم ـ مع الأسف ـ فيقتل بعضهم بعضاً ويُخرجه من داره وأرضه ويخرب بيوتهم وإلى الله المستعان.

وفي مثل هذه الفتن والاقتتال بين المسلمين بالذات، أعلن القرآن مسؤولية المسلمين بالتدخّل حيث قال: **«وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بَغَت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تَبغي حتى تَفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلِحوا بينهما بالعدل وأقسِطوا إن الله يحبُ المُقسطين»**[1] فهل المسلمون قاموا بواجبهم أمام ما يجري الآن بين إخوانهم هنا و هناك؟

ويجب علينا ألاّ ننسى أن كثيرا من هذه الأمور والمسؤوليات إنّما هي على عاتق الحكومات قبل الشعوب، وأن الشعوب إنما يتمكّنون من أن يقوموا بواجبهم إذا قامت به حكوماتهم، وهذا ما سنبحثه عند البحث عن الوحدة

---

(١) الحجرات: ٩.

السياسية عند المسلمين.

٣ ـ قيام الحكم الإسلامي:

الوحدة الإسلامية تكون ذات شقوق وشُعب، ولا تكمل الوحدة إلاّ بتحققها جميعاً: فهناك وحدة اجتماعية، قوامهاشعور المسلمين جميعا بأنهم أمّة واحدة ذات مسؤولية متقابلة ومشتركة بين أبناءها ـ و قد سبقت ـ . وهناك وحدة سياسية قوامها قيام حكم إسلامي في البلدان الإسلامية، ووجود سلطة عادلة فيها قائمة على أساس الشريعة الإسلامية، ملتزمة بالعمل بها في كل أعمالها، مهتمة بأمور المسلمين ورعاية مصالحهم و الدفاع عن حقوقهم في الأوساط العالمية.

ومن أهّم وظائف ومسؤوليات هذا الحكم في صعيد الثقافة، توسيع نطاق الفقه الإسلامي ولاسيما في ناحية الفقه السياسي، وكذلك العلوم الإسلامية جمعاء، وصيانة الحضارة الإسلامية وإحيائها. ونشر الثقافة الإسلامية بكل فروعها، وإعداد العلماء والمثقّفين، والعسكريين والحقوقيين وغيرهم، ملتزمين مؤمنين. وكذلك تربية الأجيال المؤمنة جيلاً بعد جيل، علماً وعملاً، وخُلقاً، وأيضاً تحكيم روح العزّة والشخصية الإسلامية في النفوس، و تحقيق العلّو الإسلامي العادل السليم الذي بشّر به القرآن في قوله: **«ولاتهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين»**[1] وبقوله: **«فلا تهنوا وتدعوا إلى السّلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يَتِرَكم أعمالكم»**[2] في المجتمع الإسلامي في كل قطر.

والحكم الإسلامي ركن الإسلام الذي لايقوم الإسلام إلا به، وقد قام به النبي

---

(١) آل عمران: ١٣٩.
(٢) محمد: ٣٥.

لدى هجرته المباركة بعد أن وضع الله حجره الأول الأساس وهيأ أرضيته قبيل الهجرة لما أذن بالقتال والدفاع في قوله الحكيم: **«أُذِن للذين يُقاتَلون بأنهم ظُلِموا وأن الله على نصرهم لقدير** ـ إلى قوله ـ **و لله عُقبة الأمور»**.[١] وثناها بالأمر بالجهاد بقوله: **«وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم...»**[٢] وأكملها بالترغيب إلى الهجرة والاستشهاد في سبيل الله بقوله: **«والذين هاجروا في سبيل الله ثم قُتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسناً و إن الله لهو خير الرازقين»**.[٣]

وهذه أول آيات الجهاد والهجرة، جاءت في سورة الحج التي نزلت ـ على أصح الأقوال ـ بمكة المكرمة قبيل الهجرة، أوفي طريقها، إيذاناً بأنه قد حان دور الحكم الإسلامي الذي ينشده النبي والمسلمون، ويتمنونه، وتبشيرا بأن الله على نصرهم لقدير وسوف ينصرهم على أعداءهم. ونحن نعلم أن القتال من أظهر أعمال الحكم. وكان المسلمون في مكة يريدون الدفاع عن أنفسهم بالسلاح، وكان الله تعالى يأمرهم بالصبر ليحين حينه وقد حان بالهجرة.

والحديث في صعيد الحكم الإسلامي ، أو الحكومة الإسلامية يتطلب محاضراتٍ وأبحاثا متتابعة بل وكُتباً متوالية، ولسنا نحن الآن بصدد بسط الكلام فيها، وإنما الغرض التأكيد على أن الحكم الإسلامي هو أساس هذا الدين، وعمادٌ لإرساء قواعده، وضمان لإجراء أحكامه وأنه لاينبغي لمسلمٍ التغافل عنه، زعماً أن دور الحكم الإسلامي بماله من الخصائص والمميزات قد انقضى ، و أن ليس أمام المسلمين في العصر الحاضر ، سوى إقامة حكومات شعبية قائمة على

---

(١) الحج: ٣٩-٤١.
(٢) الحج: ٧٨.
(٣) الحج : ٥٨.

أصوات الناس من دون ركونها إلى الإسلام. ونقول في جواب من يستبعد قيام الحكم الإسلامي، اعتقاداً بأن هذا الحكم ـ لو قام ـ سوف يعجز عن القيام بمسؤولياته إلى جانب الحكومات القائمة في العالم، أو زعماً منه أن الإسلام في جوهره دين العبادة، دون السياسة، أو دين الحياة الآخرة، دون الحياة الدنيا، أو يشك في وجود قوانين و أحكام سياسية في الإسلام كفيلة بحاجات العصر، إلى غير ذلك من الأقاويل والآراء الناشئة على لسان أعداء الإسلام، أو من المسلمين أنفسهم في حقل الحكم الإسلامي، وكثيرٌ منها مصادمة لضروريات الإسلام.

ونقول لهؤلاء: أدلّ الدّليل على إمكان الشيء وجوده ـ كما يقول الفلاسفة ـ فقد استقر الحكم الإسلامي منذ عشرين سنة، بكل مسؤولياته و مستلزماته في «الجمهورية الإسلامية في إيران» و قد نجح ـ و لله الحمد ـ مع وجود عقبات جسيمة، و قيام جنود مُجنّدة من القوى الشيطانية ضده، وقد غلب وانتصر عليها جميعاً بإذن الله. **«ولتعلمنّ نبأه بعد حين»**[1] و **«لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون»**.[2]

والحكم الإسلامي ـ و كذلك الحاكم الإسلامي ، جزء مهم من الفقه الإسلامي جاءت فيه شروطهما ووظائفهما، وخصّ العلماء من المذاهب الإسلامية كتباً باسم «الأحكام السلطانية» بالحكم الإسلامي يُعبّر عنه في الوقت الحاضر بـ«الفقه السياسي» ولاننكر أن هذا الفقه صار نَسْيا منسياً في القرون الأخيرة عند أكثر المشتغلين بالفقه، إلا أن هذه الفكرة المقدّسة تجددت في بعض الأقطار الإسلامية من قبل رجال غَيارى على عزّة الإسلام والمسلمين،

---

(١) ص: ٨٨.

(٢) الروم: ٤.

ومن أقـدمهم وأبـرزهم أثراً الحكيم والفيلسـوف الكبيـر **السيد جمال الدين الأفغاني (الأسدآبادي)** و أصحابه وتلاميذه و أبناء مدرسته ثم تجلّت الفكرة، واستمرت، واستحكمت، و بذلت في سبيلها جهود ثقافية وسياسية، حتى نجحت في الجمهـورية الإسلامية الإيرانية بزعامة إمام وفقيه كبير: **الإمام الخميني**(رحمه الله) ـ و لله الحمد ـ و يرجى نجاحها في غيرها من البلاد.

ونحن في هذه الفرصة القيّمة نكتفي في مجال الحكم الإسلامي بتذكار أمور:

منهـا: أن الحكم الإسـلامي في طبيعته ليس له شكل خاص محدّد في الكتاب والسنة وفي الفقـه الإسـلامي بالـذات، وفي كثيـر من النـواحي يسايـر ويتفـاعل ويتعـايش أشكـال الحكم عنـد الآخرين وإنمـا يفـارقهـا ويتميـز عنهـا بشـرطين أساسيين:

الأول: أن تجـري الأمـور فيه طبقاً للشريعة الإسلامية ورعايةَ ماتقرّر في الفقه الإسـلامي من الشـروط سـواء في الحاكم: من الفقه، والعدالة والقدرة على تدبير الأمـور وغيـرهـا أو في كيفية الحكم ومن أهمهـا: البيعة الشـرعية مع الحـاكم ومشـاوَرة الحـاكم أهل الحلّ والعَقْـد. وبنـاء على ذلك فمن شـروط الحكم الإسـلامي وجـود الفقيه في كيان الحكم، مباشرةً أو إشرافاً بشكل من الأشكال ـ من دون صـورة محـدّدَة ـ صونـا للحكم عن مجـراه الإسـلامي . وفي تجربة «الجمهورية الإسلامية» درسٌ للآخرين.

الثاني: أن يظهر الحكم بمظهر شَعبي، يتدخّل الناس، في أصل استقرار النظام الحـاكم، وفي انتخـاب الحـاكم، والمشـاورين، بنحـو من الأنحاء ـ من دون أن يكون محدّداً بصورة خاصة ـ.

ومنهـا: أن الحكم الإسـلامي الـذى قـام في عصـر النبي صلى الله عليه و آله

وسلّم، وبعده كان واحداً مسيطراً على الوطن الإسلامي كله ـ المُعبّر عنه في الفقه بـ«أرض الإسلام» أو بـ«دار الإسلام» ـ واستمر إلى أمد بعيد، رغم الجهود الجارية ضده والثورات المتوالية هنا و هناك عليه، ورغم خلّو كثير من الحُكّام من التحلّي بشروط الحاكم الإسلامي، و انحراف كثير من الأحكام و الأعمال الصادرة من هؤلاء الحُكّام عما قررته الشريعة الإسلامية، وبهذا العُذر احتجت جملةٌ من الثائرين على الحُكّام. و هذا، أي وحدة الحكم، هو الأصل المتّبع في الإسلام، من دون دليل قطعي عليه سوى تلك السيرة المستمرّة في صدر الإسلام، المستمِدّة ـ كما نستظهر ـ من تأكيد الإسلام كتاباً و سنةً على الوحدة والتحذير عن التفرقة. ولاسيما أن جملة من الآيات الداعية إلى الوحدة مثل آيات سورة آل عمران: **«يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ..... واعتصموا بحبل الله جميعا..»** ـ و قد سبقت ـ سياقها سياسي باعتبار نزولها بعد غزوة أُحد التي اختلف من كان مع النبي حولها وتخلّف عنها جماعة. وكانت مسألة سياسية.

إلاّ أن هذه الوحدة السياسية انفصمت فيما بعد، لأمور ثبتت في التاريخ الإسلامي ـ و هي عبرة لمن اعتبر ـ فتعددت الحكومات الإسلامية في أرض الإسلام شرقا و غربا حتى قامت في قطر واحد مثل الأندلس حكومات متعارضة ومتحاربة فيما بينهم حتى انقرضوا جميعاً و تركوا تلك الجنّة المفقودة لغيرهم، و أصاب المسلمين ما أصابهم، من القتل والخروج من ديارهم وآلغرق في البحر إلى غيرها من المأساة.

والمسألة الآن ـ وبعد مضي قرون على تلك الحكومات التي تتضاعف في كل فترة لدى المهتمين بإقامة الحكم الإسلامي، تدور حول علاج هذه التعددية السياسية في العالم الإسلامي. و أقصى ما انتهت إليه الجهود التي بُذِلت ـ ولا شك

ـ من قبل المُخلصين في البلاد الإسلامية، هو تأسيس «منظمة المؤتمر الإسلامي» التي جمعت في نطاقهـا الرؤساء والملوك والقادة المسلمين لعلاج ما قد يتفق من المشاكل الهامة في قطر من الأقطار الإسلامية. ونحن إذ نرحّب بحرارة ونشكر لمن قـام بهـذا العمل الخيـر الطيّب وكـذلك القـائمين بتشكيل «لجنة تنسيق العمل الإسـلامي المشترك» وغيرها من المؤسسات الإسلامية المشكورة، نعتقد أن هذه المنظّمة لـو أدّت وظيفتَهـا كـاملة، و لا تتأثـر بمـا يُحمل عليهـا من جانب القوى العـالمية المستكبـرة، أو من جانب أعوانها في البلاد الإسلامية، فهي لاتقوم مقام الحكم الإسـلامي المنشـود، لأن كثيرا من هؤلاء المؤتمرين ، لايعترفون بالحكم الإسـلامي أصلا ، ولا يلتزمون في بلادهم، بالشريعة الإسلامية في صعيد الحكم، بل ولا في صعيـد الثقـافة، والتربية، والاقتصـاد وغيرها وفيهم من يحترز ويخاف حتى من التحـدث بالحكم الإسلامي في وسائل الإعلام، فكيف يقوم إذاً اجتماع هؤلاء مقام الحكم الإسلامي.

وعندئـذ ينحصر البحث عندنا في أنه لو قام الحكم الإسـلامي ـ على احتمال بعيـد ـ في عدد من الأقطار الإسلامية فما هو العلاج في توحيد صفوفها و تنسيق أعمالها؟

فهنـــاك اقتـراح بتشكيل الجمـاهيـر الإسـلامية أو تـأسيس المجلس الأعلى الإسـلامي يشتـرك فيه المُمثّلون من كل قُطر، أو اتخاذ إمام من بين الفقهاء يتـسلّم لـه الجميع في القضايـا المهمة إلى غيـر ذلك، والهدف من هذه المقترحات شيء واحد، وهو الوصول إلى وحدة سياسية بين المسلمين على ضوء الإسلام.

٤ ـ الحضارة والثقافة الإسلامية:

لاتجد خبيراً بالحضارات البشرية من يُنكر أثر الحضارة الإسلامية ودورها في الحضارات المتأخرة بل في حياة الإنسان الحضاري. فالإسلام بما له من السماحة والمرونة، والاعتراف بالحق والعدل والخير أينما وُجدت، قد جمع في حوزته الحضارات السابقة ، خاصة ما كانت للروم ويونان، والهند وإيران من الثقافة والعلوم، إلى جانب ما نشأ من تعاليم الإسلام القيّمة، فأتى بحضارة لم تخطر على بال، وهي مفخرة للمسلمين عامة، كما هي ميراث لهم جميعا ولا تنحصر بشعب أو بناحية، فلكل منهم حظّ و سهم فيها بتفاوت بينهم حسب ما كانت لهم من الحضارات العريقة، ثم حسب استعدادهم لكسب العلم، واهتمامهم بأمر الحياة والثقافة.

والتي نُركّز عليها من ذلك كّله هي الثقافة الإسلامية العامّة التي تُعّد شريان الحياة المعنوية للمسلمين. وهي تشمل العلوم الإسلامية، والأدب الإسلامي العام، واللغات الإسلامية الدارجة بين الشعوب المسلمة، والفنّ الإسلامي والصنايع والتقاليد والرسوم الإسلامية إلى غيرها.

فهذه الثقافة الشاملة العريقة من أقوى أسباب وحدة الأمة، وعنوان ومعلَم لها، بل هي من أعظم معالمها وقيمها التي استمدّت مادّتها من الإسلام، وإليه تنتهي، ومنه نشأت.

ومن بينها اللغات الإسلامية، فإنها وإن اختلفت جذورها، إلا أن كثيراً من ألفاظها الدارجة مأخوذة من اللغة العربية وهي أمّ لها جميعاً، وقسطاً كبيراً من مفاهيمها في الأدب نثراً أو نظماً و الأناشيد والمحاورات العامة، أصلها القرآن والحديث.

ومن أجل ذلك فالاحتفاظ بتلك اللغات بما لها من اللون الإسلامي والطابع الديني، خدمة مشكورة لمواريث الإسلام. ولقد تفرّس القوى المستعمرة في كل قطر أن لغاتها هي بنفسها رابطة إسلامية ورباط وثيق بين الشعوب المسلمة فيما بينهم وبين الإسلام، فقاموا بإزالة هذه اللغات في كل ناحية تَسيطَروا عليها، ونشروا بدلها لغاتهم التي جاءت متزامنة مع الاستعمار فهذه اللغات كالمستعمرين أنفسِهم أجنبيّة عن الإسلام والمسلمين دخيلةٌ بينهم.

٥ ـ السماحة الإسلامية:

كل ما حصل للمسلمين من الحَضارَة والمعرفة والتقدّم والقوّة والوحدة وغيرها من القيم هي رهين سماحة الإسلام ومرونته: فمثلاً القوة السياسية لاتترسّخ في شعب من الشعوب إلاّ بوجود روح السماحة والتعايش السلمي فيما بينهم، وبها يتعارفون ويتفاهمون ويتشاورون ويستمعون الأقوال والآراء، ويتّبعون أحسنها، وكذلك فعل المسلمون عملاً بقوله تعالى: «.... **فبشّر عبادِ، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هديهم الله وأولئك هم أولوا الألباب**».[1] وسماحة الإسلام ليست في أحكامه فحسب ـ تصديقاً لقوله عليه السلام: **بعثت على الشريعة السمحة السهلة** ـ بل يجب تحقيقها في الأرواح والنفوس وفي الخصال والأفكار والآراء لكي يكون المسلمون في عواطفهم وتفكيرهم وعقولهم ومعارفهم و أعمالهم كلّها سَمَحاء فيكونوا من أولي الألباب.

---

(١) الزمر: ١٧ و ١٨.

وإنما نؤكد على ترسيخ روح السماحة والمرونة بين أبناء الأمة الإسلامية، كفطرة إسلامية، وكطبيعة ثانية لهم، للوصول إلى خصلتين:

الأولى: الحيلولة بينهم وبين المفاخرات والتعصّبات القومية والأحاسيس الشعبية و القبلية والحزبية ونحوها، فأنها لاتخفف صولتها إلاّ بهذه الخصلة الإلهية ونحن نعلم ـ كما سبق ـ أن إحياء القوميات القديمة لدى الشعوب المسلمة حيلة استعمارية، فإذا غلبت على شعور القومية الإسلامية التي هي أساس وحدتهم وتضامنهم، فسوف يرجعون إلى جاهليتهم، ويبتعدون عن إسلامهم وأمتهم.

ونحن نؤكّد أنّ الإسلام لم يأت ليزيل القوميات بل اعترف بها كأمر واقع في قوله تعالى: **«يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم»**[1] فالقوميات محترمة ما لم تقوم قبال التقوى التي بها قوام الأمة الإسلامية الواحدة حسب ما تقدم. و هذاجارٍ في الأحزاب والجمعيات مما هي مثار التعصب والفرقة.

الثانية ـ وهي أهم من الأولى ـ التحذير من التفرقة المذهبية التي ابتلي المسلمون بها ـ مع الأسف ـ منذ القرن الأوّل، ثم اشتدت، وَرَبتْ، وتكثّرت، وتشعّبت بحماسة بالغة عند كل فرقة كما قال الله تعالى: **«...فتقطعوا أمرهم بينهم زُبراً كل حزب بما لديهم فرحون»**[2] وقد غذّاها جهل الشعوب بالإسلام، وأهواءُ المبتدعين وطغيانُ الحكّام والسلاطين، فجعلت من كل فرقة جماعةً متعصبة أعمى، لاترى الحق إلا ما عندهم ولا الباطل إلا ما عند الآخرين.

---

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) المؤمنون: ٥٣.

والـذي يُزيل طغيانهـا إنمـا هو تغليب روح السماحة والانصاف على نفوس العلمـاء ثم الأتبـاع من كل مـذهب، و هـذا مـايُعبّر عنه بـالتقريب بين المذاهب الإسـلامية، والذي بُذِلت وتبذل جهود في سبيله، ولنا أعمال في هذا المجال من محاضرات و كتبٍ ومنشورات و مؤتمراتٍ تداولها دائماً بعون الله تعالى.

ونكتفي هنـا بعـرض موجـز من البحث الـذي قدّمناه إلى «لجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك» المنعقد بطهران. ركّزنا فيه على أمور:

الأول: أن المذاهب الإسلامية ـ رغم اختلافها في الفروع والمسائل الجانبيّة، متّفِقَة في الأصـول التي تُشكّل جوهـر الإسلام والتي من اعتقـد والتـزم بها فهو مسلم، ومن أنكرها جميعاً أو أشتاتا فليس بمسلم.

الثاني: أنّ معظم الإختـلاف بينها نشأ من الاجتهاد في فهم الكتاب و السنة أو في توثيق نصـوص السنة، أو في قواعـد الإستنبـاط، أو في تبيين تلك الأصـول والتفريع عليها، ولادخل للسياسة والأهواء في هذا الإختلاف، و إن غَذّتها أحيانا للغلبة على الرقباء.

الثـالث، أنّ المـراد بالمـذاهب الإسلامية التي نتحدّث عن التقريب بينها، هي المـذاهب المعـروفة عنـد أهل السنّة والشيعة التي لها أصولٌ مدوّنة من فقه وكلام وحديث وتفسير وغيرها من العلوم الإسلامية، وهي لاتتجاوز ثمانية مذاهب.

و أما، الفِرَق الشاذّة التي تُوجد هنا و هناك، فهي إما مُبتدعة رأسا ـ و هي قليلة جدا ـ أو منشعبة ومنحرفة عن إحدى المذاهب المعروفة، و عندهم آراء و تقاليد لاتُشبـه الأصـول الإسـلامية، ونحن لانسلبهم إسم الإسـلام ، بل ندعـوهم إلى اللحوق والرجوع إلى أحد المذاهب المعترف بها.

الـرابع، يجب على أئمة كل من هـذه المذاهب بيان أصول مذهبهم وعرضها

على العلمـاء من سائـر المذاهب كي يطلّعوا على الفوارق بينهم و أنها لاتختلف في الأصول والأسس.

الخامس، أن لايختلطوا الأصول بالفروع عندهم، فيجعلوا ما اختص بهم من الفـروع في زمـرة الأصـول ـ و قـد حدث ـ فإن ذلك يُخرِج المذاهب عن كونها مذاهب و يؤول أمرها إلى حسبانها أديان مختلفة.

السـادس: أن النقـاط المبهمة والمريبة عند كل مذهب يجب الرجوع فيها إلى الخبـراء في هذا المذهب، دون الأخذ عن خصومهم، أو الاعتماد على الشائعات بين العـوام من هذا المذهب، وعلى هؤلاء الخبراء إزالة الشكوك العالقة ببعض ما عندهم حتى يرتفع الريب واللوم، و تذوب الظنون السيئة التي رسخت في نفوس الآخرين.

السابع: بعـد هـذه الجهـود المبـذولة من قبل هؤلاء الخبراء، يجب الاعتراف بالمـذاهب المعـروفة كمـدارس إسلامية مستمدة من الكتاب والسنّة، والاجتناب عن إنكـارهـا، أو رميهـا بالبـدعة، ورمي أتباعهـابالكفر والفسوق، والخروج عن الدين، أو الفتيـا ـ والعيـاذ بالله ـ بإباحة دماءهم أو وجوب إراقتها ـ كما حدثت في التاريخ.

الثـامن: الإمسـاك من قبل أتبـاع كل مـذهب عن القيـام بنشر مذهبه بين أتباع المذاهب الأخرى، فهذامثار التنازع والتقاتل.

التـاسع: السعي إلى فتح بـاب الاجتهـاد عنـد علمـاء كل مـذهب ـ مع رعاية الانصـاف والسمـاحة ـ بالـرجـوع إلى الكتـاب والسنة من جديد، وإلى الأصول العِلميّة والمـدوّنـات المهمة عنـد كل واحد من المذاهب لتتم شروط الاستنباط، وبـدون ذلك لاتجـوز الإفتـاء و لا إصـدار الـرأي. ونحن نطمئن بـأن الإجتهـاد

الشامل سوف يرفع كثيرا من الخلاف، ويقرّب الآراء.

العاشر: تشكيل لجان علمية بين أئمة المذاهب، لتبادل الآراء في أصول الإسلام المشتركة، وفيما اختلفت المذاهب فيه، وصولا إلى الوفاق، والاحترام المتقابل بينهم، وليُعذر بعضهم بعضا فيما اختلفوا، ويتعاونوا فيما اتفقوا.

هذه أصول عشرة للتقريب بين المذاهب الإسلامية ينبغي أن نأخذها كميثاق بين العلماء.

أعلام الوحدة الإسلامية:

لاشكّ أنّ النبي عليه السلام بوصفه المؤسّس للأمة الإسلامية، وأنه رسول الإنسانية والوحدة وبما كان له من الخُلُق العظيم، والسّماحة، والعفو، والمداراة مع الناس، كان حريصا على المؤمنين، وعلى تأليف قلوبهم وتوحيد صفوفهم، والسيرة الشريفة حافلة بذلك. ثم الخلفاء الراشدون اقتدوا به في كثير من الخصال وخاصة في المشاورة بينهم وبين الصحابة فيما جدّ من الأمور والأخذِ بالعفو والتعايشِ السِلمي، ولاسيّما في عهد علي عليه السلام الذي بدأت القتال بين المسلمين، فإنه بعد أن غلب على خصومه في الجَمل عاملهم معاملة حسنة بسَماحة بالغة، وهذا باب واسع لانلجه.

وننتقل إلى ما بعد الصحابة إلى عهد ظهور المذاهب الفقهية، فهناك المَثَل الأعلى من التعايش العلمي بين أئمة المذاهب، ولاسيما بين الإمام جعفر بن محمد الصادق من أئمة آل البيت، وبين كلّ من الإمام أبي حنيفة إمام مذهب الرأي والقياس، والإمام مالك بن أنس إمام أهل الحديث. فقد تعلّما عند جعفر بن محمد وأخذا عنه وبالغا في وصفه كما جاء في الروايات ولاسيما في «جامع

المسانيـد» الحـافل بما رُوي عن الإمام أبي حنيفة، و«المُوَطّأ» للإمام مالك وسواه من آثـار المـالكية وغيرهـا، ففيها روايات تَحكي لنا العلاقة المتبادلة المحترمة بين الإمام جعفر بن محمد و بين كل منهما.

وبعـد هـذا العهـد كلمـا تأخّـر الـزمـان نجد دائرة الشُقّة بين المذاهب تتوسع ويظهـر بين الأئمة الشِقـاق بـدل الألفة والـوفـاق، ولاتوجـد نماذج ممن يتصّف بالسمـاحة بينهم إلا النـادر. ومن ذلك مثـلا الأشعـري إمام الأشاعرة له كتاب في المذاهب الإسلامية سمّاه باسم تلوح منه روح السَماحة والانصاف وهو «مقالات الإسـلاميين واختلاف المصلين» فذكر فيه عن كلّ مذهب ما كانوا عليه بلا نقيصة ولا زيادة وسمّاهم مسلمين ومصلين.

ثم نجـد في القـرن الـرابع والنصف الأول من القرن الخامس، في الوقت الذي كانت السّلطة بيد الديالمة، في البلاد الإسلامية، وفي بغداد بالذات، مشارَكة ظاهرة في الأوسـاط العلمية ومجـالس الـدرس فتوجد في هذا العهد جماعة من العلماء من السنة والشيعة يأخـذون الحديث ويتـداولـون العلم بين بعضهم البعض فيُقدّر ويُعظّم التلميـذ أستـاذه رغم اختـلافهم في المذهب ونضرب له الإمام أباجعفر الطـوسي، إمـام الشيعة (٣٨٥-٤٦٠) فقـد كانت جماعة من شيوخه من أهل السنة يـروي آراءهم في كتبـه بتكريم. وكتابـه «التبيان في تفسير القرآن» أصدق شاهد على ذلك، وكذلك كتاباه في الفقه: «مسائل الخلاف» و «المبسوط» فقد اتخذ فيها جميعا طريقة تقريبية حسنة.

ونمـوذج آخـر الشريف الـرضي (المتوفي٤٠٦هـ) فله كتاب «حقائق التأويل» في تفسيـر القـرآن عديم النظـر في الأدب القرآني ولم يوجد منه سوى مجلّد من عشر مجلدات، يروي عن كثير من مشايخه في الأدب والتفسير وغيرها، و يترحم

عليهم، وهو من أئمة الشيعة وهم من أهل السنة من المذاهب المختلفة.

ثم نقترب إلى القرن السادس، وفيه إمامان من أئمة التفسير، أحدهما معتزلي وهو جار الله الزمخشري (م٥٣٨هـ) والآخر إمامي: وهو أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطبرسي(م٥٤٨هـ)، فيعبر الزمخشري في تفسيره «الكشّاف» عن مخالفيه بتعظيم، ويصف الطبرسي الزمخشري وتفسيره بأبلغ وصف ويُعظمه ويقدره في مقدمة تفسيره «جوامع الجامع» و قداختار لُمَعَ ما في «الكشّاف» من النكات البلاغية أولاً في كتاب له باسم «الشافي الكافي» ثم جمعها مع لُمَعٍ من تفسيره «مجمع البيان» في «جوامع الجامع»، ونحن اذ نقدرهما نرى أن «الكشّاف» ومجمع البيان من أحسن تفاسير المسلمين.

وبعد ذلك دارت الأيام حتى جاء عهد العثمانيين والصفويين، أحدهما يَدعم السنّة باسم الخلافة، والآخر يَدعم الشيعة باسم المُلْك، و عند ذلك قامت القيامة، وزيدت في الطنبور نقره و بدأت الحروب والمعارك بينهما من جهة، والتقابل الثقافي وحرب الأقلام بتأليف الردود والنقوض من الجانبين من جهة أخرى وفيها من الإهانة والفحش والتنابذ بالألقاب ما لايفوقه شيء، وفي هذا العهد صدرت الفتاوي بكفر الشيعة التي سَبّبت تشديد القتال وإراقة الدماء.

ونحن الآن وراث هذا التراث المضطرب المتلاطم المتخاصم، في عصر يسمى بعصر النور والتعايش السلمي والحوار بين الأديان، وبين الحضارات، وعيب علينا أن لا نعالج هذا الفراغ والشُقّة عندنا مع وجود مشتركات كثيرة بيننا، والآن حان الحين لندخل في التعريف بأعلام الوحدة والتقريب.

بُذلت جهود في سبيل الوحدة في القرن الثالث والرابع عشر الهجري في البلاد الإسلامية، لاسيما في شبه القارة الهندية وفي بعض الأقطار من إفريقيا

ولانعلم عنها شيئا كثيرا ولامجال إلاّ لذكر القليل منه:

السيد جمال الدين الأفغاني الأسدآبادي والأستاذ الإمام محمد عبده وأبناء مدرستهما.

وأبرز من قام ودعا إلى الوحدة الإسلامية في الأقطار الإسلامية ولاسيما في الهند وإيران ومصر واسطنبول هو السيد جمال الدين الأسد آبادي المعروف بالأفغاني، والحديث عن هذه الشخصية الفريدة طويل لامجال للخوض فيه هنا وإنما نكتفي ببعض جوانبه.

إنه كان يُصرّ على إيقاظ المسلمين من غفلتهم والصمود أمام المستعمرين وعلى رأسهم إنكلترا، وفي خلالها كان يتحدّث عن الوحدة الإسلامية وأما التقريب بين المذاهب فلم نجد أثراً منه سوى إدانة الاختلافات وسوى أنه ظهر بين مريديه بمظهر المجتهد الذي يعمل برأيه ولايقلّد مذهبا خاصاً، وأيضا يتّجه إلى فتح باب الاجتهاد وقد نُقل بعدة وسائط عن الشيخ حسن البناء رحمه الله أنه كان حاضرا إحدى جلسات دار التقريب في بداية تأسيسها حيث كانوا يفحصون عن إسم لها، فاقترح هو نقلا عن السيد جمال الدين أنه كان يُعبّر عن ذلك بالتقريب بين المذاهب فسموّها دار التقريب بين المذاهب الإسلامية.

نعم توقّف السيد في سِني آخر عُمره بإسطنبول داعياً إلى الاتحاد الإسلامي واجتمع حوله جماعة من مريديه وتلاميذه، وكان لهم جهود جبّارة في هذا المجال ولكن لايعلم خطته في تحقيق هذا الاتحاد، هل كان بصدد إدغام الأقطار الإسلامية في بلد واحد تحت ظل خلافة عبدالحميد، أو كان همّه بعثُ الأمة الإسلامية في وجه العدو الأكبر حين ذاك، انكلترا أو غيرها من الأهداف.

والذي لايُنكَر من تأثير السيد في العالم الإسلامي أنه أيقظ أعين المسلمين

وحيّى بهم ليقوموا صفا واحدا أمام الاستعمار والغرب، ويجدوا أنفسهم وشخصيتهم ويرجعوا إلى مجدهم الأوّل.

ثم إنه في إيران ومصر و إسطنبول ولعله في غيرها دعا إلى سلطة قانونية ونحن نعلم أن أنصار تحكيم نظام القانون - أي المشروطة - في إيران كانوا من تلاميذ السيد حيث زار إيران مرتين أو ثلاث مرات.

و أيضا هذه الفكرة والتى قبلها مع فكرة فتح باب الاجتهاد رسخت بين تلاميذه في القاهرة وفي طليعتهم صديقه وتلميذه الإمام الشيخ محمد عبده، فإنه إلى جانب أعماله السياسية والعلمية، و إصلاح الأزهر كان يهتمّ بفتح باب الإجتهاد وهذا الأمر مشهود بصورة واضحة في تقريراته في تفسير القرآن كما جاء في «تفسير المنار».

والإمام عبده يُعتبر الحلقة الثانية بعد السيد الأفغاني في هذه السلسلة. والذين جاهدوا في سبيل توسيع نطاق الفقه وفتح باب الإجتهاد على مستوى المذاهب في مصر كلهم أوجلهم كانوا من تلاميذ محمد عبده وفي طليعتهم - كما علمنا - الشيخ مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر الذي كانت له جهود في فتح باب الاجتهاد وفي تطوير الجامع الأزهر إلى جامعة أزهرية، كما كانت له اهتمام بالوحدة والقرب من طائفة الشيعة ومن ذلك أنه دعا الشيخ عبدالكريم الزنجاني العالم الشيعي من النجف الأشرف إلى القاهرة وفسح له المجال في نشر دعوته الإصلاحية والوحدوية الذي اقترح في بعض رسائله على المراغي فكرة مشروع مجلس أعلى إسلامي للنظر في أحوال المسلمين.[1]

---

(١) خطاب الوحدة لزكي ميلاني: ١٣٣.

ثم جاء دور رجال تأخرّوا قليلا عن الشيخ مصطفى المراغي وكان بعضهم من تلاميذه ومن أبرزهم علماً و جهاداًالمغفور له الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الجامع الأزهر الأسبق، فقد قام هذا الإمام بدعوة مهمة هي التقريب بين المسلمين، هو مع جماعة من معاصريه وتلاميذه وعلى رأسهم المغفور له الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر الأسبق. ومن حسن التصادف أن سافر من إيران إلى القاهرة في ذاك الوقت عالم كبير مثقف بالثقافة الحوزوية الدارجة والثقافة الجامعية الجديدة، ألا وهو الإمام الشيخ محمد تقي القمي رحمه الله فإلتقى بهؤلاء الشيوخ و عرف بعضهم بعضا وقويت الصداقة بينهم بعد أن مكث في القاهرة طويلا وكانوا جميعا يهتمون بأمور المسلمين ومشكلاتهم وعلى رأسها الإختلاف السائد بينهم فاتفقوا على عمل جماعي وهو تأسيس دار التقريب بين المذاهب الإسلامية فنشر بيانهم التأسيسي في البلاد الإسلامية وثنوّه بنشر مجلة باسم رسالة الإسلام التي كان العلامة القمي مدير مسؤولها والعلامة الشيخ عبد العزيز عيسى رحمه الله القائم بأعمالها وكان بيني و بينهما في إيران وفي القاهرة إتصال وصداقة.

أئمة الشيعة الذين لبّوا دعوة التقريب.

وما إن نشر البيان ووصل العدد الأول من رسالة الإسلام إلى العراق وإيران ولبنان وغيرها من العواصم الإسلامية إلاّ وكان لها رد صوت والتلبّي بالقبول والتقدير من قبل رجال العلم وأئمة الدين. وكان في طليعتهم المرجع الأعلى للشيعة الإمامية في إيران آية الله السيد حسين البروجردي الطباطبائي فمنذ سمع هذا النداء لبّاها بأحسن تلبية واتصل به العلامة القمي في إيران وشرح له أهداف وأعمال دار التقريب كما عرّفه القائمين بها فاعتنق السيد رحمه الله هذه الدعوة

وقـوّاهـا بكل مـا كـان في إمكانه مادياً ومعنوياً، وطبعاً كان له اقتراحات على دار التقريب وقعت موقع القبول.

ومن جملة حمايتـه لهـا أن شـرح الهدف منها للطلبة سواء في مجالس درس الفقه التي كانت يحضرها ما يقارب ألف عالم، أو في جلساته الخاصة في بيته. كما كـان يقتـرح مصرا على الطلبة بالرجوع إلى روايات الجمهور وأقوالهم وآرائهم، وفي هـذا الصـدد كـان مصممّاً على درج روايات أهل السنة في موسوعة حديثية كانت تـؤلف تحت إشـرافه باشتراك جماعة كنت أنا واحدا منهم، ولكنه لم يوفق لـذلك، ومما أبـدى من الرأي في هذا السبيل قوله: إن روايات وأقوال أئمة أهل السنة هي المـادة الأصلية للفقـه وكـان شائعاً بين الناس وكان فقه أئمة أهل البيت في هامشهـا يتعـرض لهـا نفيـا أو إثباتـاً وتخطئة وتصويبـا وإن معرفة الجوّ الذي صـدرت فيـه روايـات أهل البيت عليهم السلام لازمة في فهم رواياتهم وفتاويهم ولاسيمـا في عهـد الإمـامين الباقـر والصادق عليهما السلام فكان بدء نشوء الفقه بصورة مدونة وعلى شرف ظهور المذاهب الفقهية».

كمـا أنه رضي الله عنه قام بعمل آخر في سبيل تقريب المذاهب وتهدئة الجو بين الفريقين قلّمـا يعـرفـه أو يقدره العلماء، وهو أنه قال: «إن عقيدة الشيعة مبنية على ركنين، الأول: الاعتقـاد بإمـامة علي والأئمة بعـده و أنه كان خليفة الرسول الأول. الثاني: أن الأئمة من آل البيت هم المرجع لحل المشاكل الدينية والأحكام بنص من الـرسـول في حديث الثقلين حيث قـال: **«إني تارك فيكم الثقلين كتاب اللـه و عترتي»** فكـان يقـول: إنّ قضيّة الخـلافة لاتحتاج إليها الأمة الآن، والبحث فيهـا مثار الإختلاف، من دون أن يكون له ضرورة وإنما هي في عهدة التاريخ فلا داعي للخـوض فيها، وأما أن الأئمة كانوا مرجعاً للأحكام، فهي حاجة لاتختص

بزمـــان دون زمـان فعلينـا أن نكتفي في بحث الإمـامة بهـذه ونسكت عن الأولى ولاضير في ذلك».

ومن هـذا المنطلق قـام أحـد العلمـاء في قم، بتـأليف رسـالة بـاسم «حديث الثَقَلين» و قد طبعتها ونشرتها دار التقريب بالقاهرة كما نشرت (المختصر النافع)، كفقه موجز للإمامية وغيرها.

وممن لبى دعـــوة التقريب من النجف الأشـرف الإمـام الشيخ محمـد حسين كـاشف الغطاء رضي الله عنه وله مقالات في مجلة رسالة الإسلام دَعَم فيها دعوة التقريب وأجـاب الأسئلة والشكـوك حولهـا وله سابقة تربو على خمسين سنة في الدعـوة إلى الوحدة الإسلامية، كما أنه أعلن تحريم حركات شعبيّة كانت تجري بين العـوام في بعض البـلاد فقضى عليهـا، وكان له رحلة إلى القاهرة ودمشق وله فيهـا محاضرات قيّمة طبعت، وهو القائل لهذه الكلمة القيّمة الذهبيّة: بُني الإسلام على كلمتين: كلمة التوحيد و توحيد الكلمة، رحمه الله تعالى.

وممن لبّى هـذه الـدعـوة المبـاركة عالمـان كبيران من لبنان وسوريا أحدهما العـلامة السيـد محسن الأمين، وكان من جبل عامل لكنه نزل دمشق وله موسوعة كبيرة باسم «أعيان الشيعة» وله أقدام راسخة أمام المستعمرين حيث تخلّى و أبى عن قبـول قضاء دمشق نزولا على قضاء المفتي من أهل السنة، وكان من رأيه كما حكى لي ابنه العلامة السيد حسن الأمين، في قبال أهل السنة أنه لافرق بين الشيعة وبينهم سـوى أنهم يتبعون الأئمة الأربعة ونحن نتبع أئمة أهل البيت و أيضا قال: «لو هجموا علينا في أمر المذهب، ندافع عن أنفسنا، ولا نهاجم أحداً أبداً»، وكان هـذه سيرتـه وله أشـواط إصـلاحية في دمشق من تأسيس المدارس وجمعيات خيرية وغيـرهـا رحمـه اللـه تعالى. وله رسالة قيّمة موجزة في تأليف الأمة سنقوم

انشاء الله بنشرها.

والثاني الإمام السيد عبدالحسين شرف الدين العاملي، وهو الذي فتح باب الحوار السليم في المذهب مع الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الأزهر السابق وقد طبعت الحوارات باسم «المراجعات»، ثم إنه لبّى دعوة التقريب وكانت تتبادل بينه وبين دار التقريب رسائل، رحمه الله تعالى. وله كتابٌ باسم «الفصول المهمة في تأليف الأمة» عديم النظير في هذا الباب، وقد نشرناه في طبعة جديدة في المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية الذي أسسّه القائد الإمام الخامنئي قبل سنين ليكون قاعدة لهذه الفكرة المباركة، وهو الذي تلّقى هذه الدعوة من الإمام الخميني الذي كان أساس دعوته الإصلاحية هي الوحدة الإسلامية وليس عندنا مجال للحديث عنهما ومدى اهتمامهما بأمر الوحدة الإسلامية فانهما كانا في العصر الحاضر في طليعة دُعاة الوحدة.

أما بعد فنحن في نهاية المطاف في هذا البحث وما بقي منه ولم نوفق لذكره أضعاف مضاعفة. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين.

مستقبل العالم الإسلامي

البشائر والتحدّيات والمسؤوليات

بحث مقدّم إلى

مؤتمر «وحدة الأمة الإسلامية ومستقبلها»

المنعقد في لبنان

مع كلمة ترحيب ألقاها في المؤتمر

في تاريخ ١٤ و ١٥ من شهر صفر عام ١٤٢٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المجمع العـــالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ألقاها أمينـــه العـــام الأستاذ محمد واعظ زاده الخراساني في افتتاح مؤتمر «مستقبل العالم الإسلامي» المنعقد بلبنان

الحمـد للـه رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا رسول الوحدة ورسول الإنسانية محمـد بن عبدالله، وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين، ومن والاهم إلى يوم الدين.

أيها الحفل الكريم أيها العلماء والمفكرون، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

يعتـزّ المجمع العـالمي للتقريب بين المـذاهب الإسـلامية بأن يقف في إنجاز مهمتـه إلى جانب تجمع العلمـاء المسلمين، في هـذا البلد لبنان الشقيقة، في هذا المؤتمـر العظيم بمشـاركة نخبة صـالحة من العلمـاء الذين يهمّهم مصيـر العـالم

الإسلامي وممن يهتمون بأمور المسلمين عملا بقول نبيهم **«من اصبح لايهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم»**.

أمّا المجمع العالمي للتقريب كما تعلمون أسس قبل تسع سنوات في الجمهورية الإسلامية بأمر قائدها الإمام الخامنئي متع الله المسلمين بطول بقاءه إنجازا لأهم أهداف مفجر الثورة الإسلامية وباني جمهوريتها الإمام الخميني قدس الله نفسه: أي وحدة الأمة الإسلامية، وهي مهمّة المجمع بالذات، فقد قام بتقريب المذاهب وبالتأليف بين قلوب أتباعها وأبناء الاسلام، والسعي لإزالة ما حدث بينهم من التناكر والتباعد والتنابذ بالألقاب، والاستناد إلى الإشاعات، ليقفوا صفّا واحداً لإعلاء كلمة التوحيد، ورفع لوائها بين الأمم، وإرساء دعائمها ودفع أعداءها في العالم.

وهذا المجمع اعتمد في إنجاز مهمته على رجالٍ أولي العلم والعزيمة في مجلسه الأعلى من داخل البلاد وخارجها. ومنهم إمامان كبيران من لبنان:

أحدهما العلامة المجاهد والمصلح الكبير السيد محمد حسين فضل الله أطال الله عمره، وهو معروف بعلمه وآراءه وجهاده في سبيل الاسلام وقد شرّفنا بحضوره بيننا.

ثانيهما المغفور له العلامة المجاهد الشيخ سعيد شعبان رحمه الله تعالى، الذي كان له اهتمام بالغ بإصلاح أمور المسلمين، وبهذا المجمع بالذات، وكان يشترك دائما إلى آخر حياته في المؤتمرات العالمية اللاتي يقيمها المجمع كل سنة، وكذلك في إجتماعات المجلس الأعلى للمجمع. وقد إرتحل إلى ربه راضياً مطمئناً مخاطَبا بقوله تعالى: **«يا أيّتها النفس المطمئنّة إرجعي إلى ربك راضية مرضية»** فجزاه الله عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء وحشره مع عباده

الصالحين.

نحن الآن على أعتاب القرن الحادي والعشرين ومغادرة القرن العشرين الحافل بالحسنات والسيئات، وبالتحولات والأحداث اللاتي قلما اتفق نظيرها في القرون السالفة وأمامنا نحن معاشر المسلمين واجبات ومسؤوليات في القرن القادم، وهي موضوع الحوار في مؤتمركم هذا، وكذلك في المؤتمر الثاني عشر للمجمع الذي سنقيمه بإذن الله في طهران في أسبوع الوحدة، أيام المولد النبويّ الشريف. وقد قام إخواننا أعضاء تجمّع العلماء مشكورين بإقامة هذا المؤتمر تهيئة لذاك المؤتمر العالمي. ونحن إذ نشارك في المؤتمر نقدّر جهودهم ونشكر مساعيهم في توحيد الصفوف وفي العمل المشترك بين الطائفتين الكبيرتين من المسلمين. وهذا التجمّع في تقديرنا خير فئة نعرفها في البلاد الإسلامية اهتمت وأخذت على عاتقها لواء الوحدة الإسلامية في هذا القطر فنسأل الله لها دوام التوفيق والاستمرار في العمل.

هذه السنة كما تعرفون عام الإمام الخميني قدس الله نفسه بمناسبة مضي مائة عام على ميلاده. والعالم الإسلامي مدين بجهود هذا الإمام، فإنه بحقّ كان مجدّدا للإسلام على رأس القرن الخامس عشر الهجريّ، وكان من أكبر مراميه اهتمامه بوحدة الأمة الإسلامية وتأكيده على شد أوصر الاخوة بين المسلمين. وهذه هي مهمة المجمع والتجمع معاً. نسأل الله أن يوفقنا جميعا لإنجازها.

وفي الختام أرحبّ بكم أيها الحضور وأشكركم على قبول الدعوة وأحيّيكم بأطيب التحيّات والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مستقبل العالم الإسلامي

البشائر والتحدّيات والمسؤوليات

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله أمناء الله وصحبه أنصار الله.

نحن الآن على أعتاب القرن الحادي والعشرين ومغادرة القرن العشرين، وأمام المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في هذه السنة بالذات وهي عام ١٤٢٠ الهجرية مؤتمران يقيمهما هذا المجمع، أحدهما هذا المؤتمر الذي نتشرف معكم بالمشاركة فيه. أقامه المجمع وتجمع العلماء المسلمين في بلدكم لبنان وهذا شرف لي أيّ شرف. وثانيهما المؤتمر العالمي الثاني عشر من جملة المؤتمرات السنوية التي يقيمها مجمع التقريب في طهران، في شهر ربيع الأول من كل سنة أيام مولد النبوي الشريف وفي رحاب أسبوع الوحدة بمشاركة كوكبة غفيرة من المفكرين وزعماء الحركات والمنظمات والتجمعات وأئمة المذاهب الإسلامية ونخبة صالحة من المصلحين الذين يهمهم مصير العالم الإسلامي، وما يعتوره من البأساء والضراء ومن أسباب الفرح والسرور، والرجاء والأمل، أو من موجبات الحزن والغّم والجزع والملل.

وموضوع الحوار في هذين المؤتمرين عبارة عن «مستقبل الإسلام والمسلمين في القرن القادم» وبحثنا المتواضع هذا يندرج في قائمة الأبحاث التي ستقدم من قبل الآخرين إلى أحد المؤتمرين. وسوف نخرج بإذن الله تعالى من

خلال تلك الأبحاث والحوارات إلى نتائج أيجابية وأطروحات قيّمة ثم إلى أعمال مثمرة وقرارات مفيدة لاتخاذ موقفنا نحن كمسلمين أمام العالم في القرن القادم. ضمن تقويمنا حصيلة أعمالنا السابقة ولاسيما في القرن العشرين، وكذلك معرفة الأحداث الكبيرة والثورات والتحولات السياسية والاقتصادية والتقنية، والثقافية التي حدثت في العالم أو في العالم الإسلامي خاصة في هذا القرن.

وهي من غير شك زاخرة بالخيرات والشرور، وبالحسنات والسيئات، وبالمعطيات العلمية والصناعية، و ماأعتور الشعوب من الأحوال.

ثم علينا وضع البرامج والبروتوكولات لواجباتنا ومسؤولياتنا نحن معاشر المسلمين أمام الله وفي سبيل الاسلام وأمام العالم والأجيال القادمة. اعتباراً بالماضي، وتركيزاً على مستجدات المستقبل، وسيراً وتفاعلا مع متطلبات الحاجات ومستدعيات الحالات.

أما بعد: فالبحث يحوي ثلاثة فصول: البشائر والتحدّيات والمسؤوليات وينتهي بخاتمة.

البشائر:

والمراد بها ما يزيد رجاءنا، ويضاعف ثقتنا، ويقوي عزمنا، ويبهج أنفسنا، ويشرح صدورنا لما يستقبله العالم الإسلامي من الإشعاع والفلاح، والتقدّم والعطاء من البشائر التي تجمعها وعود الكتاب والسنة وتكهّنات الأئمة والأولياء، وما تكمن في جوهر الاسلام من القيم التي ترشدنا إلى الكمال، وما في الشعوب الإسلامية وخاصة في الجيل المثقف الجديد، والشبّان الملتزمين من الشوق إلى التقدم مادّياو معنويّاً.

إضافة إلى ما تستدعيه طبيعة الأحوال الإجتماعية وتفاعلها مع الأحداث فأمامنا ألوان من الثقة:

١ - ثقتنا بالكتاب والسنّة ووعود الأولياء:

القرآن يبشرنا دائما بمستقبل الإسلام في آيات:

١ - **«هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون»**. (الصف:٩والتوبة:٣٣).

٢ - **«هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه وكفى بالله شهيدا»** (الفتح:٢٨).

٣ - **«وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكّنن لهم دينهم الذي ارتضى وليبدّلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً...»** (النور:٥٥).

٤ - **«إن هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين»**(ص:٨٨).

وهذه الآيات نزلت بشأن هذه الأمة بالذات و هناك آيات تبشّر الصالحين وأصحاب الحق وأتباع الرسل وحزب الله عامة.. بغلبة الحق على الباطل وبنصر الله من ينصره:

١ - **«ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون»** (الأنبياء:١٠٥).

٢ - **«كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلى إن الله قويٌّ عزيز»**(المجادلة:٢١).

٣ - **«وقل جاء الحق وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقا»** (الاسراء:٨١).

٤ - **«بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق»** (الانبياء:١٨).

٥ - **«قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد»**. (سبا :٤٩).

٦ ـ **«فاصبر إنّ وعد الله حق»** (غافر:٧٧).

٧ ـ **«فإنّ حزب الله هم الغالبون»** (المائدة:٥٦).

٨ ـ **«ألا إنّ حزب الله هم المفلحون»** (المجادلة:٢٢).

٩ ـ **«وإنّ جُندنا لهم الغالبون»** (الصافات :١٧٣).

١٠ ـ **«إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم»** (التوبة :٤٠).

١١ ـ **«ولينصرن اللهُ من ينصره»** (الحج :٤٠).

١٢ ـ **«إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا....»** (غافر :٥١).

إلى أمثالها من الآيات المبشرة بانتصار الحق على الباطل والصالحين على الكافرين وأن الارض سوف يرثها عباد الله الصالحين.

ونحن المسلمون لايختلج الشك في خلدنا أننا حزب الله و جنده و عباده الصالحون، و أصحاب الحق وإنّنا بإذن الله ننصر الله ودينه الحق فالآيات تصدق فينا ونحن من أبرز مصاديقها.

وهناك آيتان تمثلان تزايد المسلمين عِدّةً وعُدّه على مدى الدهر:

١ ـ **«... ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطئه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكُفّار...»** (الفتح:٢٩).

٢ ـ **«ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيّبة كشجرة طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربّها...»** (إبراهيم:٢٤).

فالآية الأولى تمثل تضاعف المسلمين **بزرع أخرج شطئه**...، والثانية تمثل الكلمة الطيبة ـ وهي كلمة الاسلام ـ **«بشجرة طيبة أصلها ثابت و فرعها في السماء»** أي من دون حد، تؤتي ثماره كل حين ـ أي إلى يوم القيامة ـ.

حتى إن القرآن يؤمّننا خوف قلة العدد بقوله: **«كم من فئة قليلة غلبت فئة**

كثيرة بإذن الله» (البقرة:٢٤٩).

وفي الوقت الحاضر نحن بحمد الله كثيرون نُمثّل حوالي رُبع سكّان الأرض، ونمتلك أخصب الأراضي وأذخرها بالمعادن والخيرات، و أوسعها مساحة، وأحسنها موقعا.

كما يأمّلنا القرآن بعد اليأس وينهانا عن اليأس:

١ ـ **«حتى إذا استيئس الرسل وظنّوا أنهم قد كُذبوا أتاهم نصرنا»** (يوسف:١١٠).

٢ ـ **«إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون»** (يوسف:٨٧).

وهاتان الآيتان جاءتا في سورة يوسف التي تحمل مثلا أعلى ونموذجا بارزا من الفوز بعد الخسران، والفلاح بعد الخذلان لنبي من أنبياء الله تعالى وهو يوسف عليه السلام الذي ألقاه إخوته في غياهب الجب فأنجاه الله منها وأجلسه على عرش العزة والكرامة.

حتى إن الله يتجاوز بنا ولا ييئسنا من نصره لو ارتد عن الاسلام مرتدون. وأنه تعالى سوف يبدّلهم بآخرين أولي العزيمة والصمود فيقول:

«يا أيها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبّونه أذلة على المؤمنين، أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولايخافون لومة لائم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم» (المائدة:٥٤).

فالقرآن مليء بالتبشير بالفتح والنصر وبغلبة الحق على الباطل وأن الله لايخلف الميعاد، وكلّه تفائل ورجاء وأمل بالمستقبل الزاهر من غير تحديد بزمان أو مكان.

وأمّا السنّة فتكفينا تلك الوعود الكثيرة في روايات متضافرة والمقبولة عند المحدثين جميعاً بأن الله سيملأ الارض برجل من آل البيت قسطا وعدلا بعد ما مُلِئت ظلما وجورا. فالعدل الشامل والصلح العادل في العالم منشأه الإسلام دون ساير الأديان، ومصدره الشرق المسلم دون الغرب المُلحد.

إضافة إلى جانب ذلك فإن النبي عليه السلام كان يصبح متفائلا وكان يطالب أصحابه عند الصباح بقوله: **«هل من مبشّرات»** يقصد الرؤى الحسنة التي رآها احدهم. وكان يأمرهم بالفأل الحسن بقوله: **«تفئلوا بالخير تجدوه»** أو **«تفأل بالخير تنله»**.

وقد وعدهم بأن دينه سيبلغ المشرق والمغرب، وقد حقّق الله وعده ووعد رسوله في الماضي، وسيحققهما في المستقبل حتى يشمل الإسلام العالم كله فإن المراد بالمشرق والمغرب ـ الأرض كلها من غير تحديد.

وهناك بشائر مبعثرة في خلال الكتب على لسان الصحابة والأئمة والأولياء بغلبة الإسلام على الأديان ورفع راية الحق على جميع بقاع الارض. لانطيل الكلام بذكرها ونحن في غنى عنها بعد وعود الكتاب والسّنة.

٢ - ثقتنا بالشعوب الإسلامية:

نحن نؤمن ونثق بالشعوب الإسلامية كأمّة واحدة وكجيش رباني يجاهدون في سبيل الله صفّا كأنهم بنيان مرصوص، شهد به الكتاب والسّنة والتاريخ والسيرة.

فاستمروا على ذلك سواء في حياة النبي عليه السلام أو بعد رحيله إلى الملأ الأعلى، فقد حملوا راية الاسلام على عواتقهم، وكلمة التوحيد وذكر الله على ألسنتهم، وضحّوا بأنفسهم في سبيله، فشرّقوا وغرّبوا، وما كانت قوتهم

وسلاحهم إلا كتاب الله وسنّة نبيه، مع أيمان في قلوبهم، وإخلاص وصدق في تياتهم فكانوا يقتلون ويُقتلون، ويجاهدون في سبيله، لايخافون لومة لائم ولايخشون إلا الله.

هذه الخصال الحميدة الضامنة لانتصارهم على أعدائهم ظهرت منهم عبر العصور وفي جميع الجبهات فقاموا بواجبهم وقاوموا خصومهم أيّا كانوا، بدءاً بالمشركين وأهل الكتاب وغيرهم من أهل الملل والنحل الباطلة، إلى صمودهم في الآندلس مدة ثمانمائة عام، و أمام الصليبيين مأتي سنة و ضد الماركسية والإلحاد في روسيا وآسيا الوسطى والبوسنة والهرسك وكوسوفوا وغيرها من مناطق سلطة الإتحاد السوفييتي المنهار، سبعين سنة وتحت نير أتاتورك والقوى العلمانية حوالي ثمانين سنة، والآن نرى رأي العين جهادهم وصمودهم «كالجبل الراسخ لاتحرّكه العواصف» أمام الصهاينة في فلسطين منذ خمسين سنة. وفي كشمير منذ أربعين سنة وكذلك في غيرها من أرض الإسلام. أليست تلك البطولات والتضحيات التي حفظها لنا التاريخ ـ وهي قليل من كثير ـ بإزاء هذه التي نشاهدها اليوم في كثير من الشعوب الإسلامية من القيام ضد المستعمرين والمستكبرين وحكّام الجور في كل مكان، أليست هذه كفيلة بثقتنا بأمتنا وبشعوبنا المسلمة؟

٣ - ثقتنا بالعلماء والقادة والحكّام:

لو استثنينا شرذمةً من العلماء هنا و هناك باعوا دينهم بدنياهم، أو بدنيا غيرهم من الحكام والرؤساء، وكذلك ثلّة من الحكام والأمراء في الأقطار الإسلامية، وفي أوقات متفرقة غلبوا وساموا شعوبهم المسلمة ظلما وجورا، ولم يراعوا كتاب ربهم ولا سنّة نبيهم، في ما كانوا يصدرون من أحكام، وما يتداولونه

من أعمـــال ، مجـــاراة لأهـــواءهم، أو تلبيةً لمن أجلسهم على منصّة الحكم من الأجـانب والقـــوى الشريـــرة ـ لـو استثنينـا هـؤلاء و أولئك، فإن جل العلمـاء وجمهور القادة المسلمين في الأعصار والأمصار ، كانت قلوبهم متعلقة بالإسلام، وهمّهم مصـــروفة إلى إرســـاء دعـــائمـــه وإقـامة أركانـه، وإن اختلفت آراؤهم ومـذاهبهم ومسـالكهم واتجـاهاتهم السياسية حتى انجرّت إلى التقاتل فيما بينهم ومع ذلك فنحن نـرى أن حسناتهم غلبت سيآتهم في سبيل الإســلام وإلا لم تبق للإســلام قـائمة. فمـا نقـرأه في مطاوي التاريخ عن كثير منهم ـ لو كانت صدقا ـ فهي في الأغلب تـرجع إلى أحـوالهم الشخصية، دون آرائهم الدينية والسياسية ـ والعلم عنـد اللـه ـ فكم من عالم في الشرق الإسلامي وغربه ضحّى بنفسه وأهله ومـا لـه في سبيل دينـه،وجمهور منهم استشهدوا من أجل إعلاء كلمة الله. وقد حفظ لنـا التـاريخ بحياة نخبة صالحة من هؤلاء، فرض علينا إحياء ذكراهم أسوةً للآخرين.

كـذلك يوجد من بين الأمراء والحكّام ـ ولاسيّما في صدر الاسلام ـ جماعة ممن قدّم دينه على هواه. ويا حبذّا لو تُستقصي أخبارهم في كتاب ليكونوا أسوة للشبـاب والمثقفّين والموظّفين والحكّام في هذا العصر. وفرض علينا أن لاننسى مـواقفهم الجميلة وحـرصهم على نشـر الاسـلام، ولانهتم بالحديث عن سيآتهم وتعظيم خطيئاتهم، فـالمسلم لايكـون سيء الظن بالنـاس وبأخيه المسلم،فينظر إليه بمنظار التخطئة بدل السماحة والعفو. وهكذا ربنا الرحمن.

٤ - ثقتنا بشبابنا والمثقفّين من أبنائنا:

في تقديرنا أنه لم يمض على جيل من الأجيال المسلمة خلال ألف وأربعمائة وعشرين عامـا مضت على انبثـاق نور الإسلام، ما جرى على الشباب المسلم في

القرن العشرين وفي الآونة الأخيرة منه بالذات من الفوضى في التفكير والعقيدة، ومن تشتت الآراء وتلوّن الأفكار، وما ظهرت من أطوار الفلسفة، والإتجاهات الفكرية. كما تعرّض الشباب لألوان من شبكات الفساد والمعاصي والضلال والمآسي، أخلاقاو سلوكا وتقاليداً التي جاءت من الغرب وشاعت كأمراض سارية بين الشعوب والمسلمين وهذه يُعبّر عنها بالغزو الثقافي أو «التسلل الثقافي» على حد تعبير قائدنا الإمام الخامنئي حفظه الله. وليس مبالغة من القول أن الشباب اليوم في كل بقعة من الأرض، يعيشون خطرا عظيما وإنهم على شفا حفرة لابل حُفَر من النار ومع ذلك كله فنحن متفائلون بشبابنا وبالجيل المثّقف ونرى أن معظمهم وقوا أنفسهم من لهيب هذه النار المشتعلة، والمحرقة للرطب واليابس، والذين وقعوا في خندقها يُرجى خلاصهم منها، وقد كثر أولئك الذين نجوا منها بعد الاكتواء بلظاها. ونؤكد على أن أعظم الخطر الذي كان يهدد شبابنا، خاصة المثقف منهم قد نكص وارتد أمام صمود كثير من تلك القلوب الطيبة والأُسر الأصيلة فغلبتها التقاليد الدينية الموروثة عن الأسلاف. ومع ذلك فلا ننكر أن كثيرا من العائلات في البلاد الإسلامية تأثروا بالتقاليد الأجنبية. وفُتنوا بالجهازات الفتّانة التي تتزايد كل يوم، وتُستخدم كل آن للفساد والإضلال.

وعلى كل حالٍ ففي زعمنا أن شطراً كبيراً من الجيل المثقف قد تجاوزوا هذا الخطر، وسلموا من هذا التحدي الحديث، فالتزموا روح التقوى والحميّة الدينية، وهم مستعدون لحمل هذه الأمانة إلى الآخرين. ولو انقطع يوماً من الأيام هذا الرجاء في الشباب ـ لاقدّرالله ـ لا نطفأ نور الإسلام، وفقدت هذه الدعوة المباركة مَن يحملها إلى الأجيال المقبلة، وهذا ما يبتغيه ويحبذه الأعداء، وقد

تعلّقت بـه آمالهم فيبذلون جهودهم في سبيله، ولكنهم بإذن الله حسب ما وعدنا في كتابه وعلى لسان نبيه خائبون.

والشـاهـد على تلك الثقة بالشباب ما نرى ونسمع من الحركات الإسلامية هنا وهناك التي يقودها الشباب والمثقّفون، وما نشاهده في مواسم الحج من جمّ غفير من شابّ وشابّة مثقفة بين الحجيج، وكذلك في صفوف الجمعة والجماعات وفي المساجد والمشاهد المشرفة، وحلقات الحديث وقراءة القرآن. كما نشاهدهم في ميـادين النضـال في فلسطين وغيـرهـا، وقـد جرّبنا نحن شبابنا عند انبثاق الثورة الإسلامية، أو في خلال معارك الحرب المفروضة، فهل في الشباب بعد هذا وذاك من ريب؟

٥ - ثقتنا بالإسلام واستعداده للبقاء والتنامي:

أمـا طبيعة الإسـلام فقـد أثبتت استعـدادهـا للبقـاء وتفـاعلهـا مع الأحـوال والمستجـدات في كل بـلاد الاسلام شرقا وغربا وشمالا وجنوبا، فلم يقاوم أمام شرايعـه وأحكـامـه شيء من التطورات، ولم يقف تفاعله مع المشاكل والأحوال يومـاً من الأيـام، ويكفيك شاهـدا على ذلك تـاريخ الإفتـاء والقضاء في الاسلام، وتنـامي الفقـه وتفتّحـه عنـد جميع المـذاهب، فلم يعرقله شيء عن ركب الحياة والارتقاء بل عن السبق في ميادين السباق.

ولـو تأمّلنـا في آية **«مَثَل كلمة طيبة»** لنـراهـا مثـلا بـارزا من نمـو الشريعة الإسـلامية ـ ولم أر أحـداً لحـد الآن تنبـه لـذلك ـ فإن **«الكلمة الطيبة»** تشمل العقيـدة والشـريعة والأخـلاق ـ ولهـا أصـولٌ ثابتة في الكتـاب والسنة لاتتغيـر ولاتتبـدّل. وفروعٌ ناشئة عن تلك الأصول، مرتفعة في السماء ـ والسماء مثلٌ من

اللامحدودية ـ متشعّبة ومتغيّرة حسب الحاجات.

فالإسلام أصوله كأصله ثابتة وفروعه ناشطة حسب الأحوال والمستجدّات، تؤتي أكلها و ثمارها كل حين، وفي كل مصر بإذن ربها ولا يقف عطاءها عبر العصور.

وكما أن الإسلام في الماضي تماشى مع الثقافات والآراء تفاعلا مع فلسفة اليونان بالذات ومع عرفان الهند وإيران فقد غذّاها الإسلام وربّاها من عطاءه بما لا يكاد يخطر بالبال، كذلك نشاهد العلماء والمفكّرين في هذا العصر يطبّقون الاسلام على العلوم الحديثة والأفكار الجديدة في الفن والاقتصاد، والاجتماع والحكم والسياسة، وغيرها، اقتداء بسلفهم الذين انكفئوا إلى أخذ الفلسفة والعرفان من الأمم السالفة وطبّقوها على ما استنبطوه من أسرار الكتاب والسنة وهذا باب واسع لا نريد هنا أن نلجه ونخوض فيه.

والحاصل أن الماضي مرآة للمستقبل، ويبشّرنا بكل خير في تقديرنا وتقويمنا عن الإسلام في المستقبل من جهات شتى:

أولا ـ تقدّم العلوم و توسّعها ـ وهي كفيلة بمعرفة أسرار الكون أكثر من ذي قبل ـ يفتح ويكشف لنا أسرارا من شريعتنا ومن كتاب ربّنا كما قال: **«إن هو إلاّ ذكر للعالمين * ولتعلمنّ نبأه بعد حين»** (ص/٨٨ و٨٧) وقال: **«سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم...»** (فصلت:٥٣).

ثانيا ـ تقدّم الشعوب المسلمة ثقافة واقتصادا وثقة بالنفس واستقلالا بالحكم.

ثالثا ـ تهاون أو إنقضاء السلطات العالمية، واستسلامها أمام بطولات الشعوب المستيقظة، وفي طليعتهم المسلمون حيث خلصوا نجيّا من نير الاستعمار أو كادوا أن يخلصوا.

رابعـــاً ـ فشل أو تـــواني روح الطـــائفية والمـــذهبية في الأوســـاط العلمية والجـامعـــات الإسـلامية ودور العلم، وبـذلك ستـذهل وتتقلّص وتـذوب تلك الخلافات التي تلاشت بسببها قوتنا، وذهبت بها ريحنا ـ على حد تعبير القرآن ـ فقـد عثـر العلمـاء والمفكّرون على هويتهم بعد أن افتقدوها من خلال اشتغالهم بالخـلافـات التي لاطـائل تحتهـا ولا نـائل وارتفعت الأغلال التي كانت عليهم، وزالت عنهم تلك العـراقيل التي حالت دون وحدتهم ـ قرونا وأجيالا، فإن العالم بأســره الآن متفتح أكثـر من المـاضي، والمفكـرّون يهتمـون بالإفـادة والإصلاح والعمل الجـاد المثمـر بـدل الخـوض في ما لايعني، والمسلمون أحق وأولى من غيرهم بذلك.

خامساً ـ ويقع هذا في القمة ـ ظهور حركات سياسية في العالم الإسلامي منذ بـداية القرن العشرين تُنادي بإقامة الحكم الإسلامي في أرض الاسلام مستمدا من جوهـر الاسـلام كما كان في الصدر الأول. والمصلح الكبير **«السيد جمال الدين الأسدآبـادي»** المعـروف بالأفغاني هو أول من رفع هذا اللواء من غير نكير في هـذا القـرن، ثم تبعـه الآخـرون في إفريقيا وآسيا، لاسيما في مصر وإيران والقارة الهندية وآسيـا الـوسطى. وهـذه الدعـوة المباركة مستمرة لحد الآن، ومن أقواها مـادة واوسعهـا نطـاقـا حركة إخوان المسلمين. ولكن تلك الحركات كانت تقدم رجـلا وتـؤخـر أخـرى وكان لها قبض وبسط وإقبال وإدبار هنا و هناك ، حسب مستـدعيـات الأحـوال، ولم تنجح في بقعة من البقـاع إلا في إيـران بزعامة الفقيه البـارع والمصلح الكبيـر **الإمـام الخميني** قـدس اللـه سـره ، فقـد أعطى الإمـام نموذجاً بديعاً للحكومة الإسلامية بما لم يسبقه سابق.

ومعلـوم أن الحكم الإسلامي هو دعامة الاسلام والركن الركين الكفيل بإحياء

الشريعة الغـراء. وقـد كـان زوال الحكم الإسـلامي وانعدامـه من السـاحة من أكبر التحدّيات الهدّامة لكيان الإسلام، وأما الآن فالجمهورية الإسلامية الإيرانية بحمد اللـه قـد حققت جملةً من آمـال هـؤلاء المصلحين القـدامى في هـذه الأرض المبـاركة، وفتحت الطريق السـوي والصراط المستقيم أمام الباقين، وهذا كما قلنا يقع في قمة البشائـر التي أحصيناها، وسيحققها تماما بإذن الله، وسيأتيك نبأه بعد حين.

التحدّيات :

أمّـا التحـديـات في عالمنـا فتستفحل وتتفـاقم كل يـوم من داخل البـلاد وخارجها:

أما التحديات الخارجية. وهي أهمها وأشدها تأثيرا فهي:

١ ـ الغـزو الثقافي الرافد من قبل الاتصال المستمر بين الشرق المسلم والغرب المتمـرّد، فيطلع الأنسـان المسلم على أعمـالهم ويستسلم لتقاليـدهم، سواء عن طـريق الـرحـلات المتبـادلة بين القطرين، أو بسبب الصحف والكتب والأفـلام والراديو والتلفزيون، واخيرا بواسطة الأقمار الصناعية و شبكة الإتصالات العالمية «الإنترنت» والحاسوب وغيرها من وسائل الإعلام التي تتولّد من جديد.

٢ ـ الغزو العلمي فان الغرب دائما يتقدم علميا وتقنيا إلى جانب انحطاطه في نـاحية السلـوك والأخـلاق والأهـواء وهذا بدوره قد جعل الغرب قبلة آمالنا في العلـوم والفنـون فنتحـرك وراءهم في المستقبل كمـا في المـاضي، وستبقى لهم علينا سيطرة علمية وتقنية وهذا بنفسه خطر آخر ربما يفوق خطر الغزو الثقافي.

٣ ـ المـواثيق والمعـاهـدات المستحكمة بين دول الغـرب ضدّنـا فإنهم مع

تضادهم واختلافهم فيما بينهم متوافقون على التعاون والتعامل والسعي المشترك في سبيل إضعافنا وسلب ثرواتنا والتغلّب علينا. سياسيا واقتصاديا وثقافيا.

٤ ـ التبشير والاستشراق فإنهما كانا حليفين ضدنا في الماضي، وسيستمران على ذلك في المستقبل، وقد سمعنا أنّ الفاتيكان مصممة على تنصير إفريقيا إلى نهاية هذا القرن وبداية القرن القادم.

٥ ـ إحتلال بقاع من بلادنا في فلسطين وكشمير والبلقان وغيرها من قبل خصوم ألدّاء.

٦ ـ بقايا من الاستعمار والاحتلال الغربي في بقاع من أرض الإسلام، بل الاستعمار الجديد في كثير منها.

٧ ـ ظهور فرق متمردة عن الإسلام ـ وكثير منها عميلة للأجنبي ـ واعتناقهم ما يحسبونه دينا ـ وما أنزل الله به من سلطان ـ : كالقاديانية والبهائية وغيرهما، ولها نشاط كبير واهتمام بالغ بنشر ضلالاتها بين المسلمين بأسلوب يفتن الشباب.

٨ ـ الجاليات الإسلامية في البلاد غير الإسلامية مهدّدون بالعزوف عن دينهم، وبتناسي تقاليدهم وعاداتهم الدينية التي ورثوها عن آباءهم، بالاختلاط والتأثر بالشعوب الذين يعيشون بين ظهرانيهم، وهذا ما يقال له: التأقلم، أي التأثر بالإقليم.

وأما التحدّيات الداخلية فهي إجمالا عبارة عن:

١ ـ تأثّر الشعوب المسلمة ثقافيا وتقنيا بأعداءهم.

٢ ـ الفقر المزمن والفوضى الاقتصادية، وتتبعه الأمراض الجسمانية والنفسانية.

٣ ـ عـدم استقـلال جملة من الحكومات في الأقطار الإسلامية وتضامنها مع السلطـات الإستكبـارية، وبـالتـالي فقـدان روح العـزّة الإسـلامية وعدم الاهتمام بالإسلام وبمصلحة الشعوب.

٤ ـ وجـود الخـلافـات والمناورات السياسية بين هؤلاء الحكّام على الثغور والحـدود، أو تحرّكاً وراء الخطوط السياسية التي تربطهم بجبهة إقليمية شرقية أو غربية أجنبية، كالانتمـاء إلى روسيـا أو انكلترا، أو فرنسا، أو اميركا بدل انتمائهم إلى جبهة إسلامية موحدة قائمة على ساقها قبال تلك الجبهات الأجنبية.

٥ ـ وجـود الخـلافـات المـذهبية التي باعدت بين أتباع المذاهب الإسلامية والتي تستفحل وتتعـاظم هنـا و هناك، ومن وقت لآخر، حتى تنتهي إلى تكفير أو تفسيق بعضهم البعض، وفي كثيـر من الأحيـان إلى التقاتل فيما بينهم، برغم أنهم إخوة مسلمون، كما قال تعالى: **«انما المؤمنون إخوة»** الحجرات:١٠.

وهـذا من غيـر شك شـرّ، وشـرّ منه عدم قيام المسلمين بإجراء آية أخرى من القـرآن عـالجت هـذه المشكلة، وهي: **«وإن طائفتـان من المـؤمنين اقتتلـوا فأصلحـوا بينهمـا فإن بغت إحـداهمـا على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين»** الحجرات:٩.

هـذه الآية تكلّفنا بالإصلاح بين الطائفتين المتقاتلتين من المؤمنين، فهل قمنا بهذا الواجب في الحروب التي وقعت وتقع بين قطرين من الأقطار الإسلامية؟ أو كل طـائفة منّـا تقـوم بكل قوتهـا بمعـاضـدة أحد طرفي القتال محقّاً كان أو باغياً لالشيء إلاّ لمنفعة لنا نجدها في هذا الطرف دون ذاك.

٦ ـ إحياء واستيقاظ روح العنصرية والقومية بين طوائف المسلمين حتى في

بلـد واحد، وهذه بدورها إحدى شبكات الأجانب تلقاء المسلمين، فإن الإسلام مع اعترافه باختلاف الشعوب والقبائل كحقيقة اجتماعية، منع من التفاخر بها وأكد بأن أكرمهم عند الله أتقاهم، وعندنا أن هذه الظاهرة الخبيثة في هذا القرن لون من الاستعمار الجديد.

٧ ـ التفاوت الطبقي في المجتمعات الإسلامية إلى غيرها من التحديات.

المسؤوليات والواجبات:

وهي كثيرة إذا أردنا التفصيل، وأما القول الموجز فيجمعها:

أولاً: الاهتمام بأمور المسلمين، فإن النبي (ص) قال: **«من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم»**، وهذا الاهتمام يستدعي معرفة الشعوب المسلمة عِدّة وعُدّة وما فيهم من نقاط القوة والضعف ومن حالات وتحولات ايجابية أو سلبية.

ثانياً: التعاضد على القيام أمام تلك التحديات التي عددناها وإزالة ما فيهم من النقص وما لهم من حاجة ملحّة مادية أو معنوية.

ثالثاً ـ الاستفادة التامة من تلك البشائر والإيجابيات التي أحصيناها والاستمرار عليها حتى بلوغ المسلمين إلى الغاية التي وعدهم ربهم بها في كتابه من استخلافهم في الأرض، وليكونوا أعزّة فإن العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين وكفى بالله شهيدا.

وفي الختام أرحب بكم أيها الإخوة الحضور والأساتذة الكرام وأحييكم بأطيب التحيات وأشكركم شكرا كثيرا وأسئل الله تعالى لي ولكم كل خير وأن يشملنا جميعاً عفوه ورحمته. ثم فرض علينا عرفان الجميل وأن نشكر تجمّع العلماء المسلمين من أجل عقد هذا المؤتمر العظيم ووقوفه إلى جانب المجمع

العـالمي للتقريب بين المـذاهب الإسـلامية وتعاضده معه في إنجاز مهمته، وهي التقريب بين أتبـاع المـذاهب الإسلامية، وإزالة ما حدث بينهم من التناكر والعداء ليقفـوا صفـا واحـدا أمام الأعداء بإذن الله تعالى وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين. والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته

الإهتمام بأمور المسلمين

فريضة إسلامية

كلمة ألقيت في ندوة الحج والتقريب بمكة المكرّمة

ذي الحجّة ١٤١٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا ونبينا محمد بن عبدالله وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين وبعد:

أيها الحفل الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته نرحب بكم ونشكركم على أن لبّيتم نداء المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، للاشتراك في هذه الندوة المباركة المنعقدة بجوار بيت الله الحرام التي تهتم بدراسة مسألة هي من أهم مسائل وحاجات المسلمين ألا وهي «الجاليات الإسلامية» نسأل الله تعالى ان يوفقنا في مهمتنا هذه، ونرجو لنا ولكم حجاً مقبولاً وعملاً صالحاً ودعاءً مستجاباً ورجوعاً إلىٰ الأوطان سالمين غانمين، وبعد:

حديثي المتواضع، موضوعه الاهتمام بأمور المسلمين وأنه من أهم الواجبات والفرائض الاجتماعية في الإسلام، فقد جاء في الحديث النبوي الشريف المتفق عليه والمروي بطرق عديدة أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «من أصبح لم يهتم بأمور

المسلمين فليس بمسلم».

ولا أرىٰ حاجة إلىٰ بيان معنى «الاهتمام بأمور المسلمين» فان الاهتمام بالشيء أن يكون للانسان همة أوهم بهذا الشيء بحيث يكون أمره همّاً على قلبه كما أن حياته وصحّته وأمانه ونفقة عياله كلها تكون هموماً له يحملها دائماً معه في قلبه.

بل الأمر بالنسبة إلىٰ الاهتمام بأمور المسلمين كما يفهم من سياق هذا الحديث ومن ذيله «فليس بمسلم» أعظم بكثير للإنسان من الاهتمام بأمور نفسه فيبدو من الحديث أن أمور المسلمين لاتقاس بشيء مهما كانت له أهمية، هذا كله واضح، إلاّ أن هناك مواقع للبحث والنظر حول هذا الحديث:

أولاً: هل الاهتمام بأمور المسلمين واجب عيني أو واجب كفائي؟ بحيث لو كانت هناك جماعة أو دولة إسلامية إهتمت بأمور المسلمين وقامت بالفعل بكفالة أمورهم، فقد سقط هذا الواجب عن الاخرين، فليس لهم أن يهتموا ويفكّروا بالمسلمين، أمالم تقم جماعة أو دولة بكفالتهم فلا يسقط عنهم واجب الاهتمام بالمسلمين وحينئذ فالمسلمون جميعاً يكونون مسئوولين عن المسلمين جميعاً بمعنى أن كل نفس تحمل على عاتقها المسؤولية أمام كل المسلمين طبعا مع ملاحظة أن الله لا يكلف نفساً إلاّ وسعها ـ فما هو مغزىٰ الحديث؟

الذي يلوح بالنظر أنه ينبغي الفرق بين نفس الاهتمام بأمور المسلمين الذي هوباطني وبين العمل بمقتضاه أي الاشتغال بإصلاح أمور المسلمين وحلّ مشاكلهم، فالاهتمام بأمور المسلمين بذاته، فرض عيني على كل فرد من أفراد المسلمين، وأنه لا يكاد ينفك عن اعتقاده بالإسلام، فكل مسلم مادام حيّا ينبض قلبه بالاهتمام بأمور المسلمين فيحمل في قلبه همّهم في جميع أوقاته ليلاً ونهاراً ـ كما يفهم من قوله صلّى الله عليه وآله: «من أصبح» ـ أي لا يستثني من آنات حياته سوىٰ حال نومه، وبمجرد

قيامه من نومه يستيقظ في نفسه ما دُفن فيها من همّ المسلمين، والهمّ طبعا لا ينفك عن حبهم وإجلالهم وقضاء حاجاتهم، وما إلىٰ ذلك فهذا الاهتمام الباطني واجب عيني على كل نفس مسلمة دائماً، من غير فرق بين أن يوجد هناك من يهتم به أو من يقوم، بإصلاح أمورهم أو لا يوجد، فان إحساس المسؤولية أمام الأمّة الإسلامية والمسلمين جميعاً كإحساس المسؤولية أمام الله تعالى، فكما أن الإسلام لا يسمح لمسلم الغفلة عن مسؤوليته امام الخالق بحال، فانه لا يسمح له التغافل عن أمور المسلمين بحال من الأحوال، اللهم الا في حال نومه وغيابه عن نفسه، فهذا هو المفهوم من الحديث استوفينا الدقة والتدّبر فيه.

وأما اصلاح أمور المسلمين المعبّر عنه بـ(التكافل الاجتماعي في الإسلام) فهو واجب كفائي إذا قام به من يكفيهم ويكفلهم سقط التكليف عن الآخرين، فالنتيجة التي انتهينا اليها هي أن الاهتمام بأمور المسلمين واجب عيني لا يجوز التخلي عنه للمسلم في وقت من الأوقات وأما التصدي للإصلاح وحلّ المشاكل ودفع النوازل عن المسلمين فهو واجب كفائي يدور مدار وجود من به الكفاية وعدمه.

ثانياً: الاهتمام بأمور المسلمين وإصلاح شؤونهم يستتبعان قبل كل شيء وجوب تحصيل المعلومات الصحيحة عن أوضاع المسلمين في أي بقعة من بقاع الارض عاشوا فهذا واجب آخر على المسلمين وجوبا كفائيا ـ طبعاً ـ أما من باب المقدمة ليتخذوه وسيلة للعمل بواجبهم الأول أي التصدي لإصلاح أمور المسلمين، أو إن تحصيل المعلومات عنهم هو بالذات يُعدّ من أظهر مصاديق الاهتمام بأمورهم. وعلى كلّ حال فهذا الواجب الثاني أي تحصيل المعلومات عن وضع المسلمين ـ بدوره ـ يستدعي القيام بواجبات أخرىٰ كما يأتي:

١ ـ تشكيل المراكز المعلوماتية، أو (تأسيس بنك المعلومات عن أوضاع

المسلمين) وإحصاء نفوسهم، وعن الامكانات الاقتصادية والطبيعية، والتقنية، والثقافية وعن الطاقات البشرية، وغيرها في كل منطقة من العالم الإسلامي.

٢ ـ تدريب جيل مثقّف جاهز بالمعلومات اللازمة لتحصيل تلك المعلومات وللاطلاع على مشاكل المسلمين في شؤونهم المختلفة، ولاسيّما في حقل الاقتصاد، والثقافة والأوضاع السياسية والفحص عن طرق حلّها، وكذلك للكشف عن الأخطار المستقبلة التي تهدّد كيان الإسلام والأقوام المسلمة بكل الاصقاع. ومعلوم أن المشاكل هي لا تُعدّ ولا تُحصى في الامة، ولاسيّما في الوقت الحاضر، الذي أحاط به القوىٰ الاستكبارية الشريرة، أو تريد أن تحيط بالعالم كله، إلاّ أن المشاكل الاقتصادية، والثقافية، والسياسة تعدّ رأس المشاكل، والسياسة كما تعلمون لعبت وستلعب دوراً كبيراً في أرض الإسلام بل هي أم الأدواء كما هي أصل الدواء.

٣ ـ وأيضا تدريب جيل لإحصاء المسلمين بطرق مطمئنة، وتأسيس مراكز إحصاء النفوس في الأقطار الإسلامية ولا سيما بين الجاليات والأقليات الإسلامية، فإنّ عدد النفوس لا يعلم إلاّ من قبل المسلمين أنفسهم، دون الحكومات التي تحكم هذه الجاليات المسلمة، فإنها سوف لا تعطي معلومات صحيحة عنهم، بل تسعى في تقليل عدد المسلمين والجاليات عندها. وعندنا في الجمهورية الإسلامية استاذ متخصص الجغرافية البشرية يعتقد ان الاحصاءات الموجودة عن المسلمين الصادرة من قبل الدول الكبرىٰ أو من قبل منظمة الأمم المتحدة غير صادقة، وأنّ ربع سكان الارض في هذا الوقت الذي نعيش فيه، يُولون وجوههم شطر الكعبة المكرّمة والمسجد الحرام.

والاهتمام بالجاليات والأقليات الإسلامية أولى من غيره وذلك لخطورة موقفهم بين مواطنيهم من أتباع المذاهب الأخرىٰ وتحت نير حكومات غير مسلمة، فان هذه

الجاليات والأقليات لو لم نهتمّ بها سوف تذوب في غيرها، وسوف لا يبقي منها سوىٰ الإسم، وأنها على خطر عظيم، وانها على شفا حفرة من النار، وإنقاذها والتكفل بها فرض على المسلمين في داخل البلاد عموماً، وعلى العلماء والحكام وكل من له قدرة ومكنة خصوصاً، والبحث عن حاجات الجاليات المسلمة في كل أصقاع سوف يتابع من قبل الدارسين في هذه الندوة المباركة.

وثالثاً واخيراً ـ جدير بالذكر أن قوله صلى الله عليه وآله: (أمور المسلمين) يعمّ جميع شؤون المسلمين الأهم فالأهم وفي طليعتها المسائل الاجتماعية والسياسية والثقافية، كما أن كلمة (المسلمين) تشمل كل مسلم يشهد الشهادتين ويستقبل الكعبة في عبادته، فتعم أتباع المذاهب والقوميات الإسلامية جميعاً وتشمل المطيع والعاصي، والشرقي والغربي، والأبيض والأسود، فلا يخرج عن نطاق كلمة (المسلمين) ولا عن وجوب الاهتمام بهم مسلم في العالم مادام يعد مسلماً.

فليس لأتباع مذهب إسلامي ولا لقوم من الأقوام المسلمة ان يغفلوا عن الاهتمام بأمور أتباع ساير المذاهب ولا عن سائر الأقوام المسلمة، فإنّ ذلك ـ أي اختلاف المذاهب والجنس ـ لا يعدُّ عذراً، فلا طائفية ولا عنصرية في الإسلام، والمسلمون أمة واحدة، وأعضاء جسد واحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمىّ، وشكراً وعفواً والسلام عليكم ورحمة الله.

رسالة

إلى

مؤتمر «الوحدة والتفتيت»

المنعقد من قبل «تجمّع العلماء المسلمين بلبنان»

يوم الثامن عشر من ربيع الأول عام ١٤١٧ الهجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا الأكرم و رسول الوحدة والإنسانية الذي أرسله الله رحمةً للعالمين سيّدنا محمد وعلى آله الأطهار وصحبه الأبرار والتابعين لهم بإحسان.

أيها الحفل الكريم، أيها الحضور السادة العلماء في «مؤتمر الوحدة في مواجهة التفتيت» السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فهذه رسالة متواضعة من أمين عام «المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية» إلى مؤتمركم الإسلامي الموقّر، جاءتكم من بلد الثورة، البلد الأمين، وأم قرى الإسلام في العصر الحاضر «الجمهورية الإسلامية الإيرانية» فاشتركت هذه الرسالة في مؤتمركم وخلال بحوثكم، بدلاً مني ومن الإشتراك المباشر الذي كنت ـ والله يشهد ـ أتوقعه وأتمنيه من سويدا قلبي وكفيل كياني، وكنت أهيّء نفسي له، ولكن **«العبد يدبر والله يقدر»** والتقدير يغلب التدبير دائما، فجرت

الأقدار وحالت الحواجز بيني وبين أمنيتي للاجتماع معكم، وعلى رأسها تزامنه مع مؤتمر الوحدة الدولي السنوي، الذي عقد عندنا في أسبوع الوحدة، أيام ميلاد الرسول الأعظم وحفيده الإمام الصادق عليهما السلام، بكوكبة من المفكرين والعلماء المخلصين، القادمين من أطراف البلاد الإسلامية وغير الإسلامية من نحو ستة وثلاثين بلداً ومن هؤلاء عديد من علماء لبنان الشقيقة ومن «تجمّع العلماء المسلمين» بها. فإن حرمنا من الحضور بأبداننا فنحن معكم ـ والله يعلم ـ بقلوبنا وأمانينا، وبكل أحاسيسنا وعواطفنا، وسنتابع أخباركم ونستفيد من آراءكم السديدة وكلماتكم القيّمة التي سوف تتداولونها، وما تتخذونها فيما بينكم من القرارات بإذن الله تبارك وتعالى.

أيها الإخوة والأخوات إن الوحدة الإسلامية لاتنفك ولاتفارق كيان الأمة الإسلامية بطبيعتها فالأمة الإسلامية في نفس الأمر هي الجماعة المؤتمة بنبيّهم **محمد بن عبدالله** «عليه السلام» المتماسكة في عقيدتها و سلوكها، وليست هي مجرد اسم «المسلمين»، ما لم يكن هناك ائتمام واقتداء بنبيّهم الذي أمرهم الله بأن يتخذوه أسوة لهم حيث قال: ﴿**وَلَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ «الأحزاب/١٢».

فالأمة الإسلامية بطبيعتها أمة واحدة كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾ «الانبياء/٢٩» وفي آية اخرى ﴿**وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ**﴾ «المؤمنون/٢٥» فأمة الإسلام هم الذين اتخذوا الله ربّا لهم فعبدوه واتقوه تأسيّا بنبيّهم، وهذا هو كلمة التوحيد التي لاتفارق في جوهرها توحيد الكلمة، وهما دعامتان للإسلام عند الإمام كاشف الغطاء ـ أحد دعاة الوحدة والتقريب بين المذاهب الإسلامية (رحمه الله تعالى) ـ حيث قال: «بُني الإسلام على كلمتين

ـ أو دعـامتين ـ: كلمة التـوحيـد وتـوحيـد الكلمة» فكلمة «الأمة» تضمنت في صميمهـا الوحدة وهي في واقعها حاصلة بوحدة العقيدة ووحدة الهدف ووحدة المصيـر والسلـوك للمسلمين. إلا أن العـوائق والحـواجـز النفسية والإجتمـاعية وغيرهـا الطارئة على الأمة الإسلامية عبر تاريخها المليئة بالأحداث ـ وهي كثيرة لاتعدّ ولاتحصى ـ حجبت وسترت تلك الوحدة الحقيقية المحققة بين الأمة على ضـوء الإسـلام. ألا وهي حاجـز القوميـات والتعصبات الجاهلية التي استيقظت واشتـدّت بين الشعـوب المسلمة كلما طالت عليهم الأيام وبعدوا عن زمن نزول الـوحي بعـد أفـولهـا وركودهـا في صدر الدعوة الإسلامية المطيّبة العطرة حيث ذاب أمامها كل فارق بين الأمم والبشر، وكذلك حاجز المذاهب الكلامية والفقهية والأخـلاقية والسلـوكية والأهـواء السيـاسية التي بـدأت تنمـو منذ القرن الأول واشتـد عاضدهـا بنعرات أرتفعت وبتشكلات تشكّلت في داخل الأمة الإسلامية ضمن فرق شتى اتخذت لنفسها أسماء ما أنزل الله بها من سلطان وتعصبت عليها وتفاخرت بها بحماس ونشاط تامّين، فرحة بما لديهم، حتى غلبت وسيطرت هذه الأسمـاء المبتـدعة من عند الناس على الإسم الذي سمانا الله بها في كتابه حيث قـال: ﴿هـو الـذي سمّـاكم المسلمين من قبل﴾ «الحج/٧٨» فبـدلاً من أن يفتخر الإنسـان المسلم ويقـول: «أنـا مسلم» يقـول باعتـزاز وافتخـار: أنـا معتـزلي، أنا أشعـري، أنـا شيعي، أنـا سني، أنـا حنفي، أنـا شافعي، أنا حنبلي، أنا مالكي، أنا أبـاضي، أنـا زيدي، أنا إمامي. وأخيرا أنا سلفي وقديما أنا مرجئي، أنا حروري، أنـا خـارجي، فبعـد أن كـان المسلمـون أمةواحـدة ذات إسم واحـد اشتق من الإسـلام نفسـه وقـد سمّاها الله بها من قبل، تفرقوا أيادي سبا، وصاروا فرقا شتّى وبعـد أن كانـوا حزبا واحدا سمّاه الله «حزب الله» وقال: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ

﴿الْمُفْلِحُونَ﴾«المجادلة/٢٢»، عادوا أحزابا مختلفة ومتضاربة و **«كل حزب بما لديهم فرحون»**.

وأغتنم الفرصة هنا لأقول: إن القرآن ما أتى بكلمة الأحزاب إلا ذمّا وردعاً وتعييرا وتوبيخا لأصحابها كما أنه لا يوجد في القرآن إلا حزبان، حزب الله وحزب الشيطان، فعرّف الله حزب الله بقوله: **﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾**«المائدة/٥٦» وقال: **﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**«المجادلة/٢٢»، كما عرّف حزب الشيطان بقوله في نفس السورة: **﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾**«المجادلة/١٩ـ٢٠».

وهذه هي ميزات حزب الله في القرآن: الإيمان بالله ورسوله واليوم الاخر، تولّى الله ورسوله والمؤمنين، وعدم المودّة لمن حادّ الله ورسوله ولو كانوا من أقرباءهم، وقد كتب الله في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ورضي عنهم ورضوا عنه وعاقبتهم في الدنيا الفلاح والغلبة والعزّة، وفي الآخرة الدخول في الجنّة والخلود فيها. وميزات حزب الشيطان في القرآن: هي التعددية، والفرح بما لديهم والإختلاف فيما بينهم، وتقطّع أمرهم بينهم، واستحواذُ الشيطان عليهم، وإنساءُهم ذكر الله، ودعوتُهم ليكونوا من أصحاب السعير، ومحادةُ الله ورسوله والكفر بهما وعاقبتهم الخسران والذلّة في الدنيا والويل والعذاب في الاخرة.

فلننظر نحن معاشر المسلمين ولنتدبّر كتاب ربنا حتى نفهم أننا الآن من أيّ الحزبين، حزب الله أو حزب الشيطان، فاذا اتفقت كلمتنا بالايمان بالله وبرسوله وتوحّدت صفوفنا أمام من يحادد الله ورسوله ونعدّهم أعداء لنا فنحن حزب الله وسننتصر ونتغلّب على أعدائنا ونكون من أهل هذه الآية ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾«الفتح/٢٩» وإذا اختلفنا أحزابا فرحين بما عند كل واحد منّا فالخسارة والذلة في انتظارنا كما هو الحال بيننا الآن.

وهناك وراء التشتّت والإختلاف القومي والمذهبي والسياسي فيما بيننا توجد قوى الشر والطغيان والطواغيت والحكومات الجائرة في داخل الوطن الإسلامي وفي خارجه يتخذون من التعددية القومية والعنصرية والمذهبية ذريعة ووسيلة لطغيانهم علينا ولسيطرتهم على مقدّرات هذه الأمة واستغلال ثرواتهم المادّية ـ وهي كثيرة لاتُعدّ ولاتُحصى ـ واستخدامها في سبيل مصالحهم، وحرمان الشعوب المسلمة منها ومما آتاهم الله من الخيرات، كما أن هذه القوى الطاغية تسيطر على هؤلاء الشعوب بثقافاتهم الفاسدة اللاإنسانية بدلا عمّا منح الله المسلمين من مكارم الأخلاق ومن الثقافة العالية والروح المعنوية. وهذا هو ما نسمّيها اليوم بـ «الغزو الثقافي» أعاذنا الله منها ومن شرّ كل شيطان رجيم. وكنت أودّ أن أشير إلى ما عندنا من برامج لتحقيق وحدة الأمة، وتركيز دعائمها وإلى ما عندنا من المشاريع، لا أطيل الكلام بذكرها وستقفون عليها في جدول أعمال المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية نسأل الله تعالى لمؤتمركم النجاح، وللأمة الإسلامية الخير والفلاح وصلى الله على نبينا نبي الرحمة والوحدة ورسول الإنسانية وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

القسم الثاني:
التقريب بين المذاهب الإسلامية

١ - أسس التقريب وسبله.

٢ - وحدة الأمة في حقل الدراسات الفقهية المقارنة.

٣ - التنسيق في العمل الإسلامي المشترك.

٤ - الإمام البروجردي والتقريب بين المذاهب.

٥ - من مشاهد التقريب بين المذاهب الإسلامية.

٦ - بين المؤتلف والمختلف.

أسس التقريب

وسبله

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الكلام في هذا البحث يشتمل على قسمين هما: أُسس التقريب، وسُبُل التقريب.

أما أسس التقريب فالمراد بها: الأصول التي يعتمد عليها التقريب بين المذاهب، وهي أمور:

الأمر الاوّل:

من الأمور التي لا يشك فيها مسلم هي: أن الأمّة الإسلامية بجميع مذاهبها وأقوامها وشعوبها أُمة واحدة، وأن الوحدة هي ركن من أركان الإسلام. وما أجمل ما قاله الإمام كاشف الغطاء داعية الوحدة الإسلامية: (بني الإسلام على كلمتين، كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة). وأن المسلمين ما وصلوا ولن يصلوا إلى تحقيق أهداف الإسلام السامية إلاّ بالوحدة، وأن عز المسلمين ومجدهم رهين وحدتهم، وليس بعد اختلافهم وتنازعهم إلاّ ضعف الشوكة وحلول الوهن بهم.

الأمر الثاني:

أن الأصول الأساسية للإسلام لا خلاف فيها ـ والحمد لله ـ بين المسلمين، فكلهم يعتقدون بتوحيد الرب تعالى، وبنبوة نبينا محمد والأنبياء قبله ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ وبالمعاد، والجنّة والنار، وبالصلاة والصوم، والحج والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن كتابهم واحد، وقبلتهم واحدة، إلىٰ غير ذلك من أركان العقيدة والعمل. وأن هذه الأصول المتفق عليها والمشتركة بين المذاهب الإسلامية هي بالذات ملاك الأخوة الإسلامية، ومعيار وحدة الامة، دون غيرها من المسائل المختلف فيها والآراء الخاصة بكل مذهب، التي تدخل في معايير المذاهب نفسها دون أصل الإسلام.

الأمر الثالث:

أن دعوة الناس إلىٰ وحدة الأمّة لا يُعنى بها: رفض المذاهب كلها أو بعضها، كما لا يراد بها: إدغام المذاهب والمساومة عليها، وذلك بأخذ شيء من كل مذهب ورفض شيء بحيث تكون الحصيلة صفقة مرضية لأتباع المذاهب، كما لا يعنى بها: تبديل مذهب بمذهب، أو احداث مذهب جديد في الإسلام، كما لا يعنى به: الاكتفاء بالمشتركات ورفض موارد الإختلاف والإعراض عنها تماماً.

نعم، لا يراد بالوحدة والتقريب شيئاً من هذه الوجوه المتصورة التي ربما يوجد لكل منها أنصار بين المسلمين الذين يدعون إلىٰ وحدة الامة. فإنّا نعتقد أن هذه كلها أحلام كاذبة وآراء باطلة، ونرفض كل هذه الفروض والصور المحتملة لأنها ليست عملية، ولا سبيل إلىٰ تحقيقها أصلا وبتاتاً. والذي يدعو إلىٰ واحدة منها لا

يصل تحقيقها، بل يزيد في الطنبور نقره، ويوسع شقة الخلاف والخصام بين الأنام.

وإنّما السبيل الوحيد الذي نتبناه ـ اقتداءً بالسلف الصالح من علماء المسلمين والنخبة من المصلحين في العالم الإسلامي والذي كان يدعو إليه **الإمام الراحل الخميني** رضوان الله تعالى عليه ويركّز عليه خلفه الصالح **الإمام الخامنئي** حفظه الله ـ هو التأكيد والركون إلىٰ المشتركات في حقل العقيدة والشريعة باعتبارهاالاساسية للاسلام، وكونها ـ كما قلنا ـ معياراً للأخوة الإسلامية ووحدة الامة. هذا مع الاحتفاظ بالمذاهب والاحترام المتقابل بين أتباعها فيما وراء هذه الأصول من المسائل الجانبية الفرعية التي يسوغ الخلاف فيها في إطار الدليل والبرهان، والتي تعتبر غير ضرورية، ويكون باب الحوار والاجتهاد فيها مفتوحاً.

إن الإختلاف في مثل هذه المسائل مقبول ولا ضير فيه، بل لا مناص منه، فلكل ذي رأي رأيه (**ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم**)[1] أي: للرحمة، أو للاختلاف على الخلاف حسب تعبير الإمام كاشف الغطاء في إحدىٰ مقالاته.

الامر الرابع:

قد تبين مما سبق أن المراد بالمذاهب الإسلامية: هي المذاهب التي تؤمن بتلك الأصول الاساسية العقائدية والعملية التي يلتزم أتباعها بالعمل بها بحيث يمكن أن يدخلوا في إطار الأمّة الإسلامية ويعدّوا مسلمين، والذين ينكرون أصلاً من تلك الأصول فنحن لا ندعوهم إلا إلىٰ الأخذ بما أخذ به إخوانهم المسلمون ليدخلوازمرة الأمّة الإسلامية.

---

١ - هود: ١٩.

الأمر الخامس:

لابد من تعيين المشتركات والأصول الأساسية للإسلام ـ وإن كانت معلومةً اجمالاً ـ من قبل نخبة من علماءالمذاهب الإسلامية في مؤتمر عام، وفي لجان تخصصية مهمتها تشخيص الأصول المتفق عليها؛ لتكون معياراً للحكم على من لا يلتزم بها،بشيء منها بأنه خارج عن الأمّة أو أنه غير مسلم.

الأمر السادس:

مادام لم يوضح ويحدد هذا المعيار (الكفر والايمان) فليس لأحد رمي الآخرين بالكفر، كما أنه لا يجوز المسارعة في الحكم به على أهل القبلة وعلى كل من التزم بالأصول الإسلامية المتفق عليها، وحتى لو شك في التزامه بها، بل ويجب الاجتناب بشكل قاطع عن تشكيل محكمة من قبلنا لتقسيم الجنة والنار بين المسلمين، ولكن وجب أن نوكل هذا الأمر إلىٰ الله تعالى، فإنه الحكم العدل بين عباده **(وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون)**.

الامر السابع:

المسائل الخلافية يجب أن تبيّن على يد علماء المذاهب واعتماداً على المصادر المعتبرة عندهم، ولا يجوز الاستناد إلىٰ الإشاعات والأقوال غير المسندة، أو إلىٰ ما يروجه أعداء كل مذهب جهلاً وكذباً ضد الآخرين، ولا الإستناد إلىٰ أقوال وأفعال الجهّال من أتباع كل مذهب مما يرفضه علماء ذلك المذهب والخبراء بأسراره.

الأمر الثامن:

ينبغي إتخاذ منطوق أقوال المذاهب ملاكاً للحكم عليها، ولا ينظر إلىٰ مستلزمات تلك الأقوال مما يرفضها أصحاب المذاهب، وعلى سبيل المثال: لو قال أحد المذاهب بأن الله يُرىٰ في الاخرة، لا يسوغ لنا أن نحمل هذه العبارة ما يستلزمها عقلاً (وهو أن الله جسم) مادام أئمه هذا المذهب ينكرون ذلك صراحة (وقد أنكروه بالفعل):بادّعاء عدم الاستلزام ابتداءً، أو بتوجيه الرؤية إلىٰ نحو من العلم والادراك الباطني، فان القول بالتجسم للذات الالهية مرفوض لدىٰ المذاهب المعروفة بين المسلمين، ويعّد هذا من جملة الأصول الاساسية للتوحيد، ولهذه المسألة أمثلة شتى في أكثر المذاهب لا مجال للخوض فيها.

الأمر التاسع:

أن لا نجعل المسائل الخلافية الجانبية في نفس درجة أهمية المسائل الأصولية المتفق عليها، مما قد يؤدي إلىٰ سيطرة الفروع على الأصول في زحمة الاختلافات الفرعية، بل يجب نسيانها مؤقتاً إذا زاحمت المسائل الأساسية؛ لئلاّ تصرفنا عن الاهتمام بتلك الاصول، غافلين عنها ومشتغلين عن الأهم بغيره.

الأمر العاشر والأخير:

السعي لفتح باب الاجتهاد في كل المذاهب الإسلامية، وفي كل الأبعاد ـ بالنسبة الى المسائل الخلافية غير الضرورية ـ لكي تكون أبواب البحث فيها مفتوحة على أساس الالتزام بالحق والاحتجاج بالدليل، وتكون القلوب مفتوحة ومستعدة لقبول ما إنتهى إليه البحث حسب الدليل، مع رعاية جانب الإنصاف وأدب الجدال بالتي هي

أحسن، ومع النظر إلىٰ تلك المسائل الخلافية من منظار التقريب والتحبيب سعياًالوفاق مهما أمكن، لا من منظار الخلاف والخصام سعياً إلىٰ الشقاق.

أما سبل التقريب: فهي كما نذكرها في المجالات التالية:

أولاً: مجال القرآن والتفسير.

ثانياً: مجال الروايات والأحاديث.

ثالثاً: مجال الرجال والتراجم والتأريخ.

رابعاً: مجال الكتب والمؤلفين.

خامساً: مجال الكلام والمناظرة والملل والنحل.

سادساً: مجال الفقه والاجتهاد.

سابعاً: مجال أهل البيت وسلالة السادات.

ثامناً: مجال الصحابة والتابعين.

تاسعاً: مجال السياسة والحكومة.

عاشراً: مجال الثقافة والتراث. وإليك تفصيل هذه المجالات.

أولاً: في مجال القرآن والتفسير:

١ ـ الاهتمام بالمباحث القرآنية العامة والمشتركة بين المسلمين في المجالات المختلفة: العلمية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية.

٢ ـ الاهتمام بحفظ سياق الآيات التي تشترك المذاهب جميعاً في مفاهيمها.

٣ ـ الاهتمام بجمع الآراء التفسيرية، وحفظ الحياد والابتعاد التام عن الجدال المذهبي المقيت.

٤ ـ عدم فرض رأي مذهب معين على القرآن الكريم استناداً إلىٰ تأويل وفهم ذلك

المذهب للقرآن.

٥ ـ التفريق بين تأويل القرآن وتفسيره، وعدم الاستناد إلىٰ التأويل لغرض إثبات العقيدة لمذهب معين.

٦ ـ عدم الاعتماد على قطعية أسباب نزول الآيات القرآنية، ونقد ما خالف السياق القرآني، وما فقد الدليل القطعي منها.

ثانياً: في مجال الروايات والأحاديث:

١ ـ الاستناد إلىٰ الروايات المشتركة المتفق عليها بين المذاهب، والسعي لجمع هذه الروايات.

٢ ـ الاستناد إلىٰ الأحاديث النبوية المروية من طرق الفريقين.

٣ ـ نقد الأحاديث وفق المعايير العلمية من دون فرق بين مذهب وآخر.

٤ ـ موازنة ومقايسة الروايات مع القرآن وأصول الإسلام المتفق عليها.

٥ ـ إهمال الروايات التي تثير التعصب والاختلاف، ولا ضرورة في نقلها.

٦ ـ الاهتمام بالروايات والتواريخ الدالة على العلاقات الحسنة بين أئمة المذاهب والسلوك الحسن مع بعضهم البعض.

٧ ـ متابعة الإجازات المتبادلة بين محدثي المذاهب المختلفة والشهادات ورسائل الود والاحترام بينهم.

ثالثاً: في مجال الرجال والتراجم:

١ ـ الاطلاع على الرواة المشتركين بين الفريقين والمقبولين عندهم، والاستنادرواياتهم.

٢ ـ معرفة الرواة من الشيعة في كتب أهل السنة، وبالعكس، ودراسة رواياتهم.

٣ ـ الاطلاع على الرواة الضعاف واصحاب الروايات المختلفة في عامة المذاهب ونقد رواياتهم.

٤ ـ الاطلاع على الصحابة، والتابعين، ورجال الحديث البعيدين عن الأحداث السياسية، والذين نقلوا فضائل أهل البيت عليهم السلام.

٥ ـ العناية بالنماذج التأريخية المشيرة إلىٰ حسن علاقات علماء المذاهب مع بعضهم.

٦ ـ العناية بتراجم علماء المذاهب المختلفة المقرونة بالإكرام والتبجيل في كتب الفريقين على السواء.

رابعاً: في مجال الكتب والمؤلفين:

١ ـ الاهتمام بكتب وكتابات العلماء الذين يميلون إلىٰ روح التقريب والاعتدال الرأي، والقائلين باحترام المذاهب الأخرى، مثل: العالم الكبير الإمامي أمين الإسلام الطبرسي وكتبه.

٢ ـ العناية بنشر وتعريف الكتب التي أُلفت من قبل علماء مذهب معيّن، وشرحت وحشيّت، وحققت ونشرت، مقرونة بالاكرام والتبجيل لمؤلفيها من قبل علماء مذهب آخر.

٣ ـ الاهتمام والعناية بالكتب الدراسية التي لا تزال تدّرس في الحوزات العلمية (المدارس الدينية) بغض النظر عن مذهب مؤلفي هذه الكتب.

خامساً: في مجال الكلام والمناظرة:

١ ـ تؤخذ عقائد كل مذهب عن طريق الكتب المعتبرة والعلماء المعتبرين في ذلك المذهب، ولا يستند إلىٰ الشائعات والأقوال الشاذة والنادرة، والى قول ومعاملة العوام، ونقل خصوم ذلك المذهب.

٢ ـ يجب مراعاة الأمانة والأدب والانصاف عند نقل ونقد الآراء.

٣ ـ يعتمد على منطوق الأقوال المتفق عليها من جميع المذاهب، ولا يعتمد على المفاهيم ودلالاتها المرفوضة من قبل تلك المذاهب، والامتناع عن نسبتها إليهم.

٤ ـ النفي والاثبات لعقيدة ما من قبل علماء مذهب معيّن ينبغي أن يقبل منهم على السواء، ولا يصر على نسبة ما يرفضونه إلىٰ المذهب، كما هو شائع في جملة من المسائل.

٥ ـ أن المعيار في عقائد الإمامية هو منهج المتكلمين والفقهاء المجتهدين منهم، والآراء المتفق عليها والمشهورة لديهم، وليست الشاذة والنادرة منها، ولا الأقوال النابعة من النظرة الشخصية والطائفية والروايات غير المعول عليها. وعند أهل السنّة كذلك. فان المعيار هو آراء أهل الخبرة من المذاهب، وليس بدع السلفية وأهل الحديث الذين ينكرون المذاهب اصلاً، ولا يعتمد على الشائعات والأقوال النادرة عندهم.

٦ ـ في البحوث والمناظرات يجب مراعاة احترام أئمة المذاهب، والعلاقة العاطفية التي تربطهم بمتعلقيهم والتابعين لهم، وأن لا تؤدي هذه البحوث والمناظرات الى عواقب سيئة بين المذاهب، وإلاّ فالإمساك عنها هو المتعيّن.

٧ ـ عدم طرح القضايا والخلافات الهامشية القديمة من جديد، وتدرس بدلها المسائل المهمة والحيوية والعملية في العالم الإسلامي.

٨ ـ مراعاة إسلوب الحوار والجدال الحسن، وأن يكون هدف البحث هو الوصول إلىٰ الحق والحقيقة، لا أن تتحول ساحة الحوار إلىٰ ميدان للسباق والمشاجرة.

٩ ـ يجب أن يسود جو البحث حكم الدليل والبرهان والاجتهاد الهادف دون سواه.

١٠ ـ الابتعاد عن الكذب والافتراء وهتك حرمة الآخرين، ولا يجوز الاستفادة من الألاعيب السياسية والطائفية والتزوير.

١١ ـ النظر إلىٰ المذاهب الإسلامية باعتبارها مراكز اشعاع ومدارس علمية وفكرية في نطاق الإسلام، من دون جعلها بؤراً لزرع الطائفية.

١٢ ـ الاهتمام بالسلوك الخاص لأئمة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ تجاه أئمة باقي المذاهب الإسلامية ومن خالفهم في الرأي.

١٣ ـ الإحساس بالمسؤولية الملقاة علينا إثناء طرح المسائل الخلافية التي يكون ضررها أكثر من نفعها.

١٤ ـ مراعاة الأهم فالأهم عند طرح القضايا الإسلامية والبحوث العلمية، أو عند الكتابة والخطابة والتدريس.

١٥ ـ أن لا تغلب الاختلافات المذهبية على الأصول الجامعة بين المذاهب، وأن لا يقدم المذهب على الإسلام بحال.

١٦ ـ عند البحث في المسائل الخلافية يجب التركيز على النقاط الايجابية المتفق عليها بين الطرفين، فمثلاً: عند البحث عن مسألة الخلافة والإمامة وهي أم المسائل بين الشيعة والسنّة ـ نرىٰ إتفاقهم على ضرورة وجود حكومة إسلامية، وهي مسألة أصبحت في طي النسيان، والخلاف في مسألة الجبر والاختيار يتضمن إتفاق الطرفين على تنزيه الباريء ـ عزّ وجل ـ عن الظلم والعجز.... وهكذا.

١٧ ـ يجب على أتباع المذاهب ان يسلّموا أن الدفاع عن مذهب ما بالطرق الهادئة والبعيدة عن الضوضاء أصوب وأقرب إلىٰ المصلحة الإسلامية العليا، وأن اتباع أهل البيت ـ عليهم السلام ـ والسائرين على نهجهم أولى من غيرهم في مراعاة هذا الجانب.

١٨ ـ الابتعاد عن التعصب المذهبي، وتجنب الانشقاق داخل الفرق الإسلامية كما حدث في التأريخ الإسلامي المسطور وذكر في كتب الملل والنحل، وأن لا ينظر الاختلاف الجزئي على أنه منشأ وسبب لإيجاد الفرق.

١٩ ـ الترحيب بالمباحثة والحوار الهادف والبنّاء بين المذاهب الإسلامية.

٢٠ ـ إعطاء الفرصة لجميع المذاهب للدفاع عن نفسها، ودفع الاتهامات والشبهات الواردة في شأنها، وهذا بحدّ ذاته يعتبر خطوة عملية في طريق المعرفة الصحيحة للمذاهب ورفع الالتباسات حولها.

سادساً: في مجال الفقه والإجتهاد:

١ ـ التعرف على الآراء المشتركة للمذاهب ومقايستها مع نسبة المسائل الخلافية.

٢ ـ العناية بالفقه المقارن على مستوىٰ جميع المذاهب الفقهية.

٣ ـ التعرف على أصول الاختلافات مع مراعاة حسن النية والإنصاف، وتعيين حدود كل مسألة من المسائل المتفق والمختلف عليها، وتقريب وجهات النظر، ورفع المشاجرات اللفظية والاصطلاحية.

٤ ـ السعي إلىٰ فتح باب الاجتهاد في جميع المذاهب الفقهية.

٥ ـ المقارنة بين المباني وطريقة الاستنباط والاصطلاحات الأصولية عند المذاهب الفقهية.

٦ ـ العناية بجميع الروايات المعتمد عليها من قبل المذاهب، والمقايسة فيما بينها

وعرضها على القرآن.

٧ ـ نشر وتحليل الكتب الخلافية المتداولة، واختيار أفضل السبل لطرح هذه المسائل من جديد.

٨ ـ التعاون الفكري المشترك، والسعي من قبل علماء المذاهب للإجابة على المسائل الفقهية المستحدثة في مجالات الحياة البشرية وحل ما أشكل منها.

٩ ـ الاهتمام بالمؤتمرات المرحلية واللجان الفقهية الثابتة على مستوى العالم الإسلامي، ونشر بحوث هذه المؤتمرات.

١٠ ـ فتح باب المحاورات الفقهية البنّاءة بين العلماء والتجمعات العلمية في العالم الإسلامي.

سابعاً: في مجال أهل البيت ـ عليهم السلام ـ وسلالة السادات:

١ ـ التأكيد على أنّ اتفاق عامة المسلمين على الحب والولاء لأهل البيت ـ عليهم السلام ـ واعتبار مظلوميتهم هي القاعدة القوية لائتلاف الفرق الإسلامية.

٢ ـ متابعة المعالم والدلائل والنماذج البارزة لولاء أهل البيت ـ عليهم السلام ـ البلدان الإسلامية، وخصوصاً في مصر والسودان والمغرب، وفي شبه القارة الهندية وإيران.

٣ ـ التأكيد على أن الإختلاف في وجهات النظر إنمّا حدث في مقام القيادة السياسية والعلمية لأئمة أهل البيت عليهم السلام، وليس في فضائلهم وطريقتهم الحقة.

٤ ـ تقييم النظرية المشهورة لآية الله البروجردي القائله بأن «المصلحة هي التأكيد على القيادة العلمية لأئمة أهل البيت عليهم السلام، وعلى حديث الثقلين»، دون

القيادة السياسية التي هي في ذمة التأريخ. فهل وجهة النظر هذه تتلاءم مع وجهة نظر الجمهورية الإسلامية الإيرانية القائمة على التبني لنظرية ولاية الفقيه أم لا؟.

٥ ـ إنّ بغض أهل البيت ـ عليهم السلام ـ أمر مردود، بل هو كفر عند غالبية المسلمين، فهل سبب النجاة هو حبهم فحسب؟ أم هو موالاتهم بالمعنى الخاص عند الإمامية؟.

٦ ـ التنبيه على عمق الأواصر النسبية بين أهل البيت ـ عليهم السلام ـ والصحابة والعلاقة العاطفية بينهم.

٧ ـ ملاحظة أن الأسماء الخاصة بأهل البيت ـ عليهم السلام ـ هي أكثر شيوعاً بين المسلمين من أسماء بقية الصحابة والخلفاء.

٨ ـ الاهتمام بمعرفة سلالة السادة من آل الرسول ـ صلّى الله عليه وآله ـ في العالم الإسلامي، وجمع المعلومات حول أنسابهم، وإحياء مسألة نقابات الأشراف التي أصبحت في طي النسيان.

٩ ـ الانتباه إلىٰ أنّ طرق الصوفية الرائجة عند أهل السنّة ـ وهي كثيرة جداً ـ يرجع أصلها ـ حسب اعتقادهم ـ إلىٰ أهل البيت عليهم السلام، وأن ولاء أتباع هذه الطرق لأهل البيت شيء واضح، والملاك عندهم في قبول وترجيح شيخ الطريقة هو انتسابه للإمام الحسن، أو الإمام الحسين عليهما السلام، أو لكليهما.

١٠ ـ ملاحظة أن الكتب الكثيرة في فضائل أهل البيت عليهم السلام ـ والتي ألّفت من قبل علماء أهل البيت ـ تدل على حسن اعتقاد هؤلاء وولائهم لآل البيت عليهم السلام.

١١ ـ ملاحظة أن المراقد والمزارات الخاصة بأهل البيت عليهم السلام ـ رغم كثرتها وانتشارها في شرق العالم الإسلامي وغربه ـ تتمتع باحترام وتقديس خاص عند

جميع المسلمين، وخصوصاً في مصر وسورية والعراق.

١٢ ـ ملاحظة ان بعض أهل السنّة يحيون كل عام مراسم العزاء في اليوم العاشر من المحرم ويشتركون فيها كإخوانهم الشيعة على السواء، ويعتبرون مأساة كربلاء كارثة إسلامية كبرىٰ حلّت بالمسلمين.

ثامناً: في مجال الصحابة والتابعين:

١ ـ من المسلّم به أن الحوادث التأريخية التي وقعت في صدر الإسلام أصبحت تمتاز برؤىٰ مختلفة من قبل الفرق الإسلامية بالنسبة للصحابة والتابعين، وهي من أكبر المشاكل التي واجهت وتواجه الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب الإسلامية في الماضي والحاضر.

٢ ـ في هذا المجال يجب إختيارالإسلوب الحكيم عند التعرض للصحابة والتابعين: كي لا تظهر ولا تثار الاختلافات والعداوات، ولا تخدش عواطف الآخرين، وهذا الأمر يحتاج إلىٰ جهود ومساعي العلماء الأفاضل، وهو أمنية جميع المصلحين في العالم الإسلامي.

٣ ـ إن الآيات القرآنية وفقرات من كتاب «نهج البلاغة» إذا أخذتا معياراً حيادياً فإنهما ستساعدان كثيراً في هذا الأمر.

٤ ـ يمكن تبني الأساليب والطرق الصالحة التي اتبعها علماء المسلمين كقدوة حسنة في هذا السبيل، فمن علماء الشيعة: الشيخ الطوسي، والشيخ الطبرسي قديماً، والسيد شرف الدين، وآية الله البروجردي، والسيد محسن الأمين، والشيخ كاشف الغطاء، والإمام الخميني ـ رحمهم الله ـ في العصر الحاضر. ومن علماء أهل السنّة: شيوخ الأزهر: الشيخ سليم البشري، والشيخ عبد المجيد سليم، والشيخ محمود

شلتوت رحمهم الله، وكذا جميع مؤسسي وحماة (دار التقريب) من علماء المسلمين.

تاسعاً: في مجال السياسة والحكومة:

١ ـ ان الدافع السياسي كان له أثر كبير في إيجاد وتغذية وتنمية الخلافات بين المسلمين، ولكن مع وجود النقاط السلبية فهناك نقاط إيجابية في تأريخ الإسلام يجب الاشادة بها.

٢ ـ إن منهج علي ـ عليه السلام ـ ومعاملته مع الخلفاء قبله يجب أن يدرس ويحلل تحليلاً دقيقاً ويعمل به، وهذا المنهج مثبت في كتب التأريخ، وكتاب نهج البلاغة، وكذا طريقة ومنهج الأئمة الآخرين من أهل البيت عليهم السلام.

٣ ـ دراسة وتحليل سيرة السلف الصالح مع التابعين وعلماء الإسلام، والملوك، والوزراء، والقضاة المسلمين من مختلف المذاهب، الذين اثبتوا نزاهتهم وأمانتهم وابتعادهم عن التعصب المذهبي، وبذلوا جهودهم في سبيل المصلحةالعامّة.

٤ ـ العناية بالكتب التي كتبها العلماء لأجل نصيحة وإصلاح الحكّام والملوك والوزراء من غير أهل مذهبهم، والتي أشادوا فيها بأعمالهم الصالحة رغم اختلاف مذاهبهم.

٥ ـ إكرام الحكومات الشيعية والسنّية التي بنت علاقات حسنة فيما بينهاالماضي، وإدانة الطرق والأساليب العدائية التي سادت بينهم، وخصوصاً العلاقات بين الخلفاء العثمانيين والصفويين، والتي تركت آثارها السلبية لحد الآن.

٦ ـ الانتباه إلىٰ الدور المهم الذي قامت به الحكومات في تغيير المذاهبالمناطق التي كانت تحت سيطرتهم، وهذا التعبير ـ الذي كان يأخذ في بعض الأحيان طابع العنف والخشونة ـ ترك آثاراً سيئة بعد ذلك.

٧ ـ ضرورة إبعاد المذاهب عن آثار سياسات تلك الحكومات، وحصر الخلافات المذهبية في الإطار العلمي القائم على الدليل والبرهان والاجتهاد فحسب.

٨ ـ الالتفات إلىٰ مسألة مناصرة ومؤازرة علماء الشيعة والسنّة للحكومات الإسلامية في الماضي مقابل اعداء الإسلام كلما استوجب الأمر ذلك، لاسيما مواجهتهم معاً للاستعمار الغربي والثقافات الاستعمارية المدمرة خلال القرنين الأخيرين.

٩ ـ دعم المؤتمرات والاتفاقيات السياسية والاقتصادية والثقافية التي عقدتها الدول والحكومات الإسلامية، والتي أريد من ورائها المصلحة الإسلامية العامة.

١٠ ـ السعي إلىٰ ايجاد جبهة سياسية متحدة بين المسلمين مقابل الأجانب وأعداء الإسلام.

١١ ـ السعي إلىٰ تنمية الوعي السياسي والثقافي للمسلمين، وتبين الأضرار الناشئة من اختلاف المسلمين على مدىٰ التاريخ الإسلامي، وتقديم اظهار نماذج واضحة للوحدة السياسية في العالم الإسلامي.

١٢ ـ السعي إلىٰ تجديد الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية للإسلام، وتثبيت الأنظمة الإسلامية، وتطبيق الأحكام السياسية الإسلامية في الأقطار والشعوب الإسلامية عامة.

عاشراً: في مجال الثقافة والتراث:

١ ـ اعتبار التراث العلمي والثقافي للمذاهب الإسلامية تراثاً إسلامياً عاماً، واعتباره (ثروة وملكاً) ومفخرة للأمة الإسلامية جمعاء.

٢ ـ الحفاظ التام على دور الكتب والمخطوطات الإسلامية في شرق العالم

الإسلامي وغربه، وكذلك إحياء ما اندثر من الآثار المهمة من المساجد والمدارس ودور تحفيظ القرآن والتكايا، وما إلىٰ ذلك في نطاق جميع المذاهب المعترف بها.

٣ ـ اعتبار الأدب والفن والشعر في جميع اللغات الإسلامية تراثاً إسلامياً عاماً.

٤ ـ الحفاظ على اللغات الإسلامية بما فيها من المفاهيم والمصطلحات والتعابير كتراث إسلامي، واعتبار اللغة العربية اللغة الأم لتلك اللغات.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

وحدة الأمة

في حقل الدّراسات الفقهية المقارنة

أو

الفقه المقارن أقرب الطرق للتقريب بين المذاهب الإسلامية

بحث مقدّم إلى ندوة:
المشروع المستقبلي لوحدة الأمة الإسلامية
المنعقدة بحلب

في ٢٤ و ٢٥ من شوال عام ١٤٢٠ هـ
الموافق ١ و ٢ فبراير (شباط) عام ٢٠٠٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا رسول الله وعلى آله الطاهرين وصحبه الميامين، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، الذين بلّغوا رسالات الله بين الأنام. وبعد

حضرات العلماء والأساتذة، أيها الإخوة الحضور، أيتها الأخوات السلام عليكم ورحمة الله و بركاته. أحييكم بأطيب التحيات وأرحب بكم وأشكركم على أن لبيتم دعوة المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية وسفارة الجمهورية الإسلامية للمشاركة في هذا الحفل المبارك والملتقى العلمي الواسع، وفي هذا البلد العريق في الثقافة، الذي طالما ربّى بين أحضانه العلماء والباحثين وإستقى من بحره الزاخر طلاّب العلم وعشّاق المعرفة ونالوا مبتغاهم ومطلوبهم في شتى نواحي المعرفة والثقافة من الأدب والحكمة، والعرفان، والفقه، والحديث، والتاريخ والسيرة وعلوم القرآن والسنّة إلى غيرها من العلوم.

وتشهد بذلك كثرة المدارس وبيوت العلم في هذا البلد وكذلك المساجد

والمـزارات وقبـور الأوليـاء ومـا نقرءها في مطاوي كتب التاريخ والتراجم بشأن علمـاء حلب وأدبـاءهـا ومـا اطلعنـا عليـه من آثـارهم ومآثرهم. أليس ذلك كله بالإضـافة إلى قصـور آل حمدان في القلعة دليلا على ما مضت وجرت على هذه الأرض من الجهـود الجبـارة، ومـا بـذلت فيهـا من الهمم العالية في سبيل توسيع نطـاق المعـرفة، ومـا كانت تحمله القلوب والصدور من النيات الخالصة في خدمة الإسـلام والإنسـان وهي لاتـزال مستمرة إلى هذا الوقت وستستمر بإذن الله إلى الأبد.

والشـاهـد الحي على ذلك قيام هذه الجامعة الكبيرة الفخمة بفروعها وكلياتها وبمـا لها من النشاط البالغ في شتي العلوم والفنون، وبمن فيها من الأساتذة الكبار حفظ الله الجميع وأيدهم لتدريب جيل مسلم مثقف.

أيهـا السـادة الكرام: تلاقي العلماء ومشاركتهم في أمثال هذه المؤتمرات بما أحاط بها من الجوّ الوديّ والمناخ الأخوي يعتبر الشوط الأول في سبيل الوحدة الإسـلامية. ففيهـا التعارف مع بعضهم البعض، ثم تبادل الآراء وتضارب الأفكار، ثم التعرّف على وجهات النظر في المسائل المختلف فيها بين المذاهب الإسلامية ثم الاعتـراف من جانب كل منهم بـأن لـدى الآخرين مثل مـا لديهم من العلمـاء والكتـب والمـواريث العلمية والآراء السـديـدة، ثم الإنفتـاح وسعة الصـدر والاستعـداد أحيانـا لقبـول ما وجده بعضهم من الحق عند الآخرين، أو للتوفيق بين مـا عُـرِض عليـه من الآراء، واتخـاذ موقف معتدل وطريق وسط شامل لتلك الآراء وجـامع لتلك الشتـات. وأخيـراً فالاحتـرام المتقابل بين المشـاركين والاعتـراف بفضل الجميع وتقديـر مـا عنـدهم من السابقة الحسنة ومـا بذلـوه من الجهـود المشكـورة، ومـا أبـرزوه في سبيل العلم من الإخـلاص، وما قدّموه من

التفاني ونسيان الذات في سبيل الإسلام. وبذلك كله يلمسون روح الأخوة الإسلامية فيما بينهم ويحقّقو قول ربهم: **«إنما المؤمنون إخوة»** هذه هي الثمرات الطيبة التي نجتنيها بإذن الله في هذا الملتقى وفي أمثاله من المؤتمرات.

أيها السادة إن بحثي المتواضع بعنوان «وحدة الأمة في حقل الدراسات الفقهية المقارنة» يحوي أقساما ثلاثة: هي أسباب الخلاف الفقهي، تعريف الفقه المقارن، وإنه أقرب الطرق للتقريب بين المذاهب.

١ ـ أسباب الخلاف الفقهي:

كلنا يعلم أن مَثَل العلم مثل الشجرة: بذرةٌ، فنبتَة، فَشْتلة، فشجرة تنمو شيئا فشيئا حتى تصبح شجرة مثمرة. هذا المثل يصدق بشأن كل علم باعتباره جهد بشريّ يتكامل بالتدريج، ومن أوضح وأبرز مصاديقه علم الفقه حيث أن بذرته في الكتاب والسنّة ثم تطوّر وتوسّع حتى بلغ ما بلغ وسيبلغ إلى ما شاء الله. وإني أرى الفقه في تقدمه وتطوره وكثرة فروعه وتشعّب مراميه مصداقا واضحا لقوله تعالى: **«ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيّبة كشجرة طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها..»** إبراهيم: ٢٤ و٢٥. فإن ما يوجد من مسائل الفقه وأصولها في الكتاب والسنّة قابل للإحصاء، أما فروعها فقد توسعت وستتوسع إلى ما لانهاية لها حسب الحاجات والأعراف والأزمان والأمكنة وهذا ماجرى حتي في مذهب واحد فكيف بالمذاهب، فإذا كان أصلها محدّدة بالكتاب والسنّة، ففروعها في السماء، والسماء رمز للانهاية. وقد آتت هذه الشجرة الطيبة وستوتى أُكُلَها كل حين بإذن ربها في جميع أطوار الحياة البشرية.

أما أسباب النمو والسعة فهي تراكم الحاجات حسب ما قلنا، وأما أسباب

الإختلاف فتكمن إجمالا في عامل واحد وهو الاجتهاد، والاجتهاد باب من أبواب الرحمة فتحه الله أمام العلماء، كما أن الجهاد باب من أبواب الرحمة فتحه الله لخاصة أولياءه كما قال الإمام علي عليه السلام.

وأما التفصيل في أسباب الخلاف الفقهي فقد تكلّموا فيها طويلا فهناك كتب أُلّفت بهذا العنوان[١] وقد حصرها ابن رشد في مقدمة كتابه «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» في ستة، ولانريد هنا الخوض في الجزئيات وإنما نُلخّصها في أمور ثلاثة:

الأوّل: أن احكام الشريعة قسمان:

١ ـ أحكام قطعية بل ضرورية لامجال للاجتهاد ولا للاختلاف فيها لوضوح أدلتها كوجوب الصلاة وأنها في اليوم والليلة خمس ومثلها كثير في أصول الأحكام.

٢ ـ وأحكام ظنية لامجال للوصول إليها بالقطع واليقين، لإبهام يوجد في أدلتها: إما في دلالتها أو في حجيتها. وتوضيح ذلك أن جميع الأدلة ترجع إلى الكتاب والسنة وهما حجتان قطعيتان أمّا الكتاب فهو المصدر الأوّل لا كلام فيه من حيث المصدر وكذلك السنة في أصل مصدرها إلا أن دلالتهما ليست قطعية دائما كما أن السنة طريقها أيضا ليس قطعيا دائما ومن هذا المنطلق يوجد الخلاف في كثير مما يؤخذ ويستنبط منهما.

الثاني: أن لكل مذهب اصولاً ـ غير الكتاب والسنّة ـ ليست محل الوفاق بينهم بل بعضها مشترك بين عدة مذاهب وبعضها خاص بمذهب واحد. كحكم

(١) لاحظ كتاب الأصول العامة للفقه المقارن: ١٧.

العقل، والقياس، والاستحسان والمصالح المرسلة وخبر الواحد والإجماع والشهرة والسيرة وقول الصحابي ـ عند أهل السنة ـ وقول الأئمة من آل البيت ـ عند الإمامية ـ وإجماع آل البيت ـ عند الزيدية ـ فإذ لم يتفقوا على هذه الأصول فسوف لايتفقون في الفروع التي تفرّعت عنها ـ وهي كثيرة ـ بل يختلفون فيها، وهي التي شكّلت علم الخلافيات.

الثالث: إختلاف الأعراف والعادات والحالات والضرورات والمصالح وكذلك الافهام والأذواق، فإن لها دخلا في وجهة نظر الفقيه من كل مذهب.

وبعد ملاحظة ذلك كله فلايبقى أمام الفقيه إلاّ استكمال الجهد واستفراغ الوسع في فهم الكتاب والسنّة، وفي استحكام أصول الاستنباط وتشخيص الحاجات والضرورات والأعراف والمصالح، ثم حلّ المشكلات التي ترد عليه على ضوءها، فله أن يلج باب الاجتهاد.ويصدر الفتاوى فإذا أفتى بشيء فهو حجة له ولمن قلّده، أصاب أو أخطأ، فقد اتفّقت كلمة الجميع على هذا القول: للمصيب أجران وللمخطيء أجر واحد.

٢ ـ تعريف الفقه المقارَن:

هذا مصطلح جديد لانعلم بالضبط مصدره، وقديما كان يُعبّر عنه بالفقه الخلافي، أو مسائل الخلاف، أو الخلافيات. قال العلامة محمد تقي الحكيم: «يطلق الفقه المقارَن أولاً ويراد به: جمع الآراء المختلفة في المسائل الفقهية على صعيد واحد دون إجراء موازنة بينها. ويطلق ثانيا على جمع الآراء الفقهية وتقييمها والموازنة بينها بالتماس أدلتها، وترجيح بعضها على بعض.

وهو بهذا المعنى أقرب إلى ما كان يسمّيه الباحثون من القدّامى بعلم الخلاف

أو علم الخلافيات، كما يتّضح ذلك من تعريفهم له، فقد عرّفه «تسهيل الوصول إلى علم الأصول»: أنه علم يُقتدر به على حفظ الأحكام الفرعية المختلفة فيها بين الأئمة، أو هدمها بتقرير الحجج الشرعية وقوادح الأدلة».[١]

ثم إنه ـ أي العلامة الحكيم ـ فرّق بين الفقه المقارن وعلم الخلاف بأن الخلافيّ يفترض آراءً مسبّقة يراد له تقريرها وتعزيزها، وهدم ما عداها، فوظيفته وظيفة جدليّ لا يهمه الواقع بقدر ما يهمه انتصاره في مقام المحاجة والخصومة، بينما يأخذ المقارِن وظيفة الحاكم الذي يعتبر نفسه مسؤولا عن فحص جميع الوثائق وتقييمها... ثم بدء في ذكر فوائد الفقه المقارن. وهي:

أولاً: محاولة البلوغ إلى واقع الفقه الإسلامي.

ثانياً: العمل على تطوير الدراسات الفقهية والأصولية. والإستفادة من نتائج اللقاح الفكري في أوسع نطاق لتحقيق هذا الهدف.

ثالثاً: إشاعة روح الرياضة بين الباحثين ومحاولة القضاء على مختلف النزعات العاطفية.

رابعاً: تقريب شُقّة الخلاف بين المسلمين والحدّ من تأثير العوامل المفرّقة...[٢]

ثم لخّص أصول المقارنة في ثلاثة أمور ووضّحها:

أولاً: الموضوعية، وفسّرها بأن يكون المقارن مهيّأً من وجهة نفسية للتحلّل من تأثير الرواسب، والخضوع لما تدعو إليه الحجّة.

ثانياً: معرفة أسباب الخلاف نقلا عن ابن رشد مع إكماله حسب ما عنده.

---

(١) الأصول العامة للفقه المقارن ط مؤسسة آل البيت للطباعة والنشر: ١٣.
(٢) الأصول العامة للفقه المقارن: ١٥ ملخصاً.

ثالثاً: أن يكون خبيراً بأصول الإحتجاج ومعرفة مفاهيم الحجج وأدلتها..[١]

وقد كانت عندنا محاضرة في مؤتمر ابن رشد بالكويت تحت عنوان «ابن رشد، الفقيه المالكي والفقه المقارن»[٢] تحدثنا فيها حول كتابه: «بداية المجتهد» ووصلنا إلى هذه النتيجة أنه مصداق كامل للفقه المقارن، أما غيره من الكتب الكثيرة المعروفة في جميع المذاهب فكلها يندرج تحت «علم الخلاف».[٣]

٣ ـ الفقه المقارن أقرب الطرق للتقريب بين المذاهب الإسلامية:[٤]

وهذا البحث يحتوي على أقسام كما يلي:

أولاً: أدلة وأسباب كونه أقرب الطرق للتقريب ورجحانه على الدراسات الكلامية وغيرها أمورٌ:

الأول أن المذاهب المعروفة بين المسلمين هي مذاهب فقهيّة والفارق بينها هو الإختلاف في المسائل الفقهية، كالمذاهب الأربعة لأهل السنة، فإنها معنونة باسامي أئمتها الفقهاء الأربعة، وكذلك المذاهب الإمامية والزيدية والأباضية، فانها وإن اختلفت مع بعضها البعض وكذا مع المذاهب الأربعة في بعض المسائل الإعتقادية إلاّ أن الفروق المهمة بينها هي فقهية، فالأحسن أن نركّز على تقريب وجهات النظر بين أئمة هذه المذاهب في صعيد الفقه والشريعة، ولانهتم بما

---

(١) نفس المصدر: ١٦ – ١٩ ملخصاً.

(٢) هذه المحاضرة نشرت في مجلة رسالة التقريب.

(٣) لاحظ مقدمة كتاب أمين الاسلام الطبرسي (٥٤٨هـ) باسم: «المؤتلف من المختلف بين أئمة السلف» ط مشهد ففيها عرض واسع لكتب الخلاف بقلم الأستاذ كاظم مدير شانه چي.

(٤) وهو عنوان محاضرتنا في المؤتمر العالمي الذي انعقد في القاهرة في الفترة من ٢٢ إلى ٢٥ من سنة ١٩٩٩ بعنوان «نحو مشروع حضاري لنهضة العالم الإسلامي».

عنـدهم من الخـلاف في شيء من العقيدة وأن لاتخرج في جملتها عن الأصول القطعية التي يحتور حولها الإيمان والكفر.

الثاني: أن الفقـه أوسع العلوم الشرعية وأعمها شمولا لما احتاجت إليه الأمّة في حياتها اليومية: من العبادة، والسياسة، والاقتصاد وأحكام الأُسرة، والمكاسب، والمنـاكح، والمـواريث، والمنـازعـات، والقصـاص والديـات، وسايـر الأحكـام المتعلقة بالحيـاة الفـردية والأجتمـاعية. وهذا أمر لاينكر. وانطلاقا من تلك السعة والشمـولية في المسـائل الفقهية، فالحـاجة إليهـا أشد، كما أن دائرة الخلاف فيها أوسع، فـالسعي لتقريب وجهـات النظـر فيها حاجة مُلِحّة للأمّة الإسلامية لاتجوز الغفلة عنها.

الثـالث: وتبعـاً لهـذا التوسيع وشدة الابتلاء فلسنا مبالغين لو ادّعينا أن للفقه دخـلا كبيـرا في بنـاء الحضـارة الإسـلامية بل الإنسانية فإن الحضـارة هي مظهـر الأعمـال لكل أمة والحضـارة الإسلامية حصيلة عمل الإنسان المسلم طول حياته وليل نهاره وعمل المكلّف من المسلمين ـ كما نعلم ـ هو موضوع علم الفقه فإذا نحن في رحـاب القـرن الحـادي والعشرين نريـد أن نحـدد حضـارتنـا الإسلامية ونقيمهـا على أسس قويمة تسايـر أحـوال المستقبل الحافل بأحداث أكثر وأكبر من الماضي، فيجب علينا أخذ طريق أقوم للوصول إلى المسائل الفقهية هو أشد واقعية وسداً للحاجات المقبلة.

الرابع: أن البحث الفقهي أخفّ حساسيّة من الأبحاث الكلامية والمحاورات الاعتقـادية، فإن العقيـدة نابعة من بـاطن الإنسـان، وهي مـاسّة بفكـره ووجـدانـه وعـواطفـه وبـواطنـه، أما الأعمال فهي وإن لاننكر مساسها بالروح والفكر إلا أن مجاريها هي الأعضاء في الشؤون الفردية، والجماعات في الشؤون الاجتماعية.

فنحن حينما ندخل في مسألة فقهية لانواجه الأرواح ولا نصادم العواطف ولانخاطب القلوب لكي نثير الحسّاسيات، ومعلوم أن التصادم بين القلوب يدعو إلى التخاصم بينها، وإلى التنازع والعداء بين الأحباب.

الخامس: أن إشعاع المباحث الفقهية ووضوحها يدعو إلى انعزالها عن الفلسفات المعمّقة وهذا بخلاف المباحث الكلامية، فإنها كما نعلم شكّلت في أوج اشتعالها وشيوعها طائفة من المسائل العقلية التي خاضها المتكلّمون من كل مذهب وخصوصا ما طرحتها المعتزلة فإن فهمها وتقريرها للآخرين بدون الخوض في مسائل فلسفية مستحيل ومن أجل ذلك انحصرت في حلقات المدارس، ولم تكن تبرز إلى الناس منها سوى العداء والخصومة من دون أن ينالوا حقيقتها.

وكما تعلمون فإن المتكلمين في الإسلام هم الذين اعتنقوا المذاهب الفلسفية قبل غيرهم، ونحن لسنا الآن بصدد وهن الفلسفة الإسلامية، بل أقصى ما نقول هو أنّ الخوض في المسائل الكلامية أخرج العقيدة الصافية القرآنية عن اشعاعها وبساطتها إلى ظلمات من التفكير الديني، لاتفارق الفلسفة بما لها من شدة الغموض وصعوبة الفهم.

أما الفقه فيبحث عن الحاجات الماسّة بالحياة، وأدلتها أيضا واضحة لو قيست بالمسائل الكلامية ـ ومن أجل ذلك عمّت فائدته بين الأنام وشاعت مدارسته بين الناس.

ومن هنا نتطرّق إلى سبب آخر لرجحان التقريب الفقهي على غيره وهو أن المسائل الفقهية وأدلة الاستنباط فيها من جملة أمور مفهومة وأصيلة، فإن المسائل الفقهية قبل كل شيء مستندة إلى الكتاب والسنة وإنّ سائر الأصول

والحجج المعتمدة عند المذاهب على اختلافها فهي وقعت في درجة متأخرة عن أصلي الكتاب والسنة، مع أن أكثر تلك الحجج ناشئة عنهما أيضاً.

والكتاب نصّه لا اختلاف فيه بحمدالله بين المسلمين وهو أمر قطعي مجمع عليه والخلاف إنّما هو في فهم النصوص القرآنية وفي تفسيرها ونطاق هذا الخلاف ليس واسعاً بعيداً عن ساحة الوفاق أو عن تقريب النظر.

أمّا السنّة فأمرها ليس بهذا الوضوح وبهذه الدرجة من السهولة، فإنها إضافة إلى الخلاف في معناها والإفادة منها كما لايخفى على المشتغلين بفقه الحديث، فإن الروايات كثيرة وكثير منها مختلفة ومتعارضة، ونصوصها ليست قطعيّة سوى عديد من الأحاديث المتواترة، بل لابد من إثباتها والتوثيق منها سنداً ونصّا، وهذا ليس أمراً سهلاً، فإن تخريج السّند يحتاج إلى معرفة رجال الحديث ومعرفة قواعد الجرح والتعديل، كما أن اختيار النصّ الصحيح من بين النصوص المختلفة كذلك، ولابد أن نعترف بأن إخواننا أهل السنة اعتبروا الكتب الأربعة صحاحا فاستراحوا إليها من ناحية السّند.

ثم هناك فارق آخر بين السنة والكتاب، وهو أنّ السنة بين طائفتين كبيرتين من المسلمين، وهما أهل السنة والجماعة، والشيعة الإمامية إنما بلغتنا من طريقين، فالسنّة عند الفريق الأول عمدتها من طريق الصحابة، وعند الإمامية عمدتها من طريق العترة أي الأئمة من أهل البيت، وإن لايتحاشون عن العمل بالحديث إذا بلغهم من غير طريق العترة بطريق صحيح. ولكن المدار في فقههم على روايات أهل البيت.

وهذا هو الفارق المهمّ بين الفريقين، إلا أننا في «المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية» بعد الفحص والمراجعة وجدنا حلاً صارماً لهذه المشكلة من

دون أن نخوض في مسألة غامضة مثيرة للاختلاف وللعداء والتخاصم بحيث تمسّ العواطف وتتجاوز عن نطاق الفقه إلى خلاف في العقيدة. وإلى إثارة الأحاسيس. ألا وهي مسألة عدالة الصحابة كأصل عند أهل السنّة ومسألة عصمة الأئمة كأصل عند الشيعة. وهاتان المسألتان كما نعلم وتعلمون أوجدتا بحوثا ومحاورات عنيفة بين الفريقين ولا نريد التعرض لهما، بل نسعى للسكوت عنهما والرجوع إلى حلّ آخر.

وهذا الحلّ الذي نقترحه الآن على الإخوة العلماء كطريق للوصول إلى نوع من الوفاق والتقريب الفقهي، أننا بعد الرجوع إلى كتب الحديث المهمة للطائفتين وجدنا أن الأحاديث الفقهية التي هي الآن محل البحث في هذا المجال في أصول الأحكام كالترغيب إلى الصلاة والجمعة والجماعة والزكاة والصوم والحج وغيرها متّفقة مائة بالمائة، أما في فروع الأحكام فمتفقة نحو خمس وثمانين بالمائة، كما أن الأحاديث في صعيد الموعظة والسلوك والأخلاق أيضا متفقة مائة بالمائة معنىً أو لفظا.

وبعد ذلك نقترح على العلماء من الطائفتين أن يأخذوا بالكتاب الكريم. المتفق عليه بين الجميع، وبهذه الخمس وثمانين بالمائة من الروايات المشتركة، جاعلين هذين الأمرين أساسا لفقههم، ثم لكل من أصحاب الفتوى رأيهم في فهم تلك النصوص، وفي الترجيح بين الروايات المتعارضة، كما أن لهم رأيهم في غير الكتاب والسنة، من أدلة الاستنباط في كل مذهب، وكذلك لكل منهم رأيه في تلك الخمس عشرة بالمائة من الأحاديث التي اختلفت بين المذهبين. وستأتيكم في هذا المقال تتمة لهذا الإقتراح لإمام من أئمة الشيعة الإمامية عاش منذ أمد قريب.

السادس: السبب الأخير لرجحان التقريب الفقهي أنه قد تضاعفت المساعي المشكورة في الفترة الأخيرة في صعيد الفقه المقارن من عدة طرق:

أولها: تدوين الموسوعات الفقهية أو دوائر المعارف الفقهية كموسوعة جمال عبدالناصر الحاوية للمذاهب الثمانية، وهي المذاهب الأربعة المعروفة، والمذهب الإمامي، والمذهب الزيدي، والمذهب الأباضي، والمذهب الظاهري.

وثانيها: تدوين مجموعات فقهية مقارنة ككتاب «الفقه على المذاهب الأربعة» التي نشرت منذ حوالي خمسين سنة في القاهرة، وكتاب الفقه على المذاهب الخمسة الذي ألفه المغفور له الشيخ محمد جواد مغنية، وكتاب آخر نشر أخيرا في سوريا، وهو كتاب «الفقه على المذاهب الأربعة» عينا مع إضافة المذهب الإمامي كتعليق عليه في الهامش ولنا في المركز العلمي التابع للمجمع العالمي للتقريب جهود تبذل الآن في هذا المجال وهي كثيرة.

وثالثها فهارس دُوِّنت لجملة من المطولات الفقهية مثل كتاب المغني للسنّة وكتاب جواهر الكلام للإمامية وقد سَهّلت هذه الفهارس وتلك المؤلفات عملية المقارنة بين الآراء في المسائل الفقهية.

رابعها ـ كتب ظهرت على بساط الفقه، حاوية لمصطلحات فقهية وأصولية وأمثال هذه المؤلفات بداية خير تبشّرنا بمستقبل زاهر في مجال الفقه الإسلامي.

ثانيا: كما أن التقريب الفقهي والفقه المقارن من أسهل السبل للوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب، كذلك علم الأصول المقارن باعتبارها أساساً للفقه وللاتجاهات الفقهية له دخل مستقيم في تقريب وجهات النظر في الفقه، فإن الباحث إذا اطّلع على ما يستند إليه الفقهاء في المذاهب المختلفة من القواعد الأصولية فسوف توجد له آراء جديدة في طريق الاستنباط لم يكن يعرفها من

ذي قبل.

ثالثاً: الثابت والمتغير في الفقه أمرٌ معترف به عند جميع المذاهب فالأصول الثابتة في الفقه عبارة عما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، والمتغيرات ما تستجدّ من الحاجات في كل زمان ومكان، وهي في عصرنا أكثر، وأمسّ حاجة، والمذاهب الفقهية بحاجة إلى حلّ المشاكل المستجدّة بناء على أصولها الثابتة عندها، وربما لا يوجد حلّ لها في القواعد الثابتة عند مذهب، فلا مجال للمجتهد في مثل هذا المذهب إلا الأخذ بما يحلّ المشكلة في مذهب آخر. وهذا باب من الرحمة فتحه الله للمجتهدين يسهّل عندهم الصعوبات وتنحل به العويصات.

وانطلاقا من ذلك نقول ان الله تعالى يقول في كتابه **«مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها»** فكأنّ هذه الآية الكريمة تمثل لنا الثابت والمتغير في الفقه فأصول الأحكام ثابتة لا تتغير وفروعها متغيرة غير متناهية مرتفعة في السماء، والسماء رمز للانهاية، وهذه المزيّة أي وجود الثابت والمتغير خاص بالأحكام، لا تتجاوز إلى الأصول الاعتقادية.

رابعاً: أن أستاذنا الإمام البروجردي ـ وكان من كبار المصلحين في عصره، وكان له صلة وثيقة ببعض شيوخ الأزهر الماضين، كالمغفور له الشيخ عبدالمجيد سليم، والمغفور له الشيخ محمود شلتوت ـ هذا الإمام قد فتح طريقا آخر أمام دعاة التقريب، فاقترح على أتباعه من الشيعة أن لا يخوضوا في مسألة الخلافة، التي أثارت كثيراً من الفتن بين المسلمين، وكان يقول إن هذه المسألة مضت أوانها، وليست الآن خلافة قائمة في العالم الإسلامي والمسلمون الآن لا يحتاجون إلى حكمها وإلى معرفة من كان خليفة لكي يتنازعوا فيها. وأضاف

أننا كشيعة أهل البيت عليهم السلام يكفينا البحث عن صحة رواياتهم وأقوالهم الواصلة إلينا بطريق موثوق به، وكان يؤكد دائما على حديث الثقلين، وهو ما روي بطرق شتى أن النبي صلى الله عليه و آله قال: **إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي**، وهذا بحث دار بين العلماء في دار التقريب بين المذاهب في القاهرة حتى نشروا رسالة بهذا العنوان.

وكان هذا الإمام رضي الله عنه يقول إن بحث الخلافة فيه حساسية مثيرة للعواطف من دون حاجة إليها فلاداعي للخوض فيها في هذا الوقت الذي نحن نعيشه، أما الطريق إلى الاحكام والتوثيق منها كأمر تحتاج إليه الأمة الآن فلنكتف به ولانتجاوزه إلى مايثير الخلاف ويُسيء الظن بين الإخوة بلا موجب له.

وقد أضاف إلى هذا الإقتراح اقتراحاً آخر وهو أن فقه آل البيت ظهر في بدو ظهور المذاهب الفقهية الأُخرى، على لسان الإمامين من آل البيت الباقر والصادق عليهما السلام وكان آراء هذين الإمامين وكذلك أقوال مَن بعدهما من الأئمة ناظرة إلى ما شاعت عندهم من آراء فقهاء الجمهور، وكذلك أحاديثهم التي رووها عن النبي عليه السلام كانت لها علاقة ماسّة بما رواها الجمهور، وبناء على ذلك فلا يكاد يفهم آراء الأئمة من آل البيت ورواياتهم فهما دقيقا إلا بعد الوقوف على ما كان شايعا بين أهل السنة حين ذاك. وكان يستنتج من ذلك قوله بأن فقه آل البيت كالتعليق على فقه الآخرين وأنه يجب على الفقيه من فقهاء الشيعة الرجوع إلى فقه أهل السنة وإلى رواياتهم المروّية في كتبهم وإلاّ فسوف يكون الاستنباط ناقصا.

خامسا : الاقتراحات:

وفي الختام نقترح على العلماء المخلصين أنّ البحث في الفقه المقارن يُلزمنا ويدعونا للسعي إلى الحصول على معلومات قبله وهي كما تلي:

١ ـ معرفة الأصول والمباني الفقهية عند المذاهب المعروفة.

٢ ـ معرفة سير الحديث والفقه والأصول في المذاهب الإسلامية.

٣ ـ معرفة الأئمة الكبار والكتب المعتبرة في الفقه والحديث عند كل مذهب.

٤ ـ معرفة جذور المسائل الخلافية ومنابعها عند المذاهب بدقة وبصيرة فائقة.

٥ ـ الرجوع في كل مسألة فقهية إلى جميع الآراء بأدلتها وإلى جميع الروايات وتخريجها.

٦ ـ العناية التامّة بكتب مسائل الخلاف والموازنة بينها، وكذلك بين الآراء الفقهية لكل مذهب. وأن لا يكتفي الفقيه بما ثبت في مذهبه فقط.

٧ ـ أتخاذ أسلوب التفتّح وسعة الصدر وروح السماحة وحسن الظن في عملية الاستنباط ثم اختيار أصحّ الآراء وأقواها دليلا وأوضحها مأخذا، عملاً بقول ربنا **«فبشّر عباد الذين يستمعون القول ويتّبعون أحسنه»**. وبذلك قد فتحنا على أنفسنا باب الاجتهاد الحرّ بكلا مصراعيه، والاجتهاد كالجهاد الذي قال فيه الإمام علي عليه السلام **«إنه باب من أبواب الجنّة فتحه الله لخاصّة أولياءه»** فالاجتهاد السليم باب من أبواب الرحمة على الفقهاء وعلى الأمة.

٨ ـ المشاركة الفعالة والسعي المشترك في حلّ المسائل المستحدثة والحاجات المستجّدة عند فقهاء المذاهب كما نرى عند المشاركين في مجمع الفقه الإسلامي مشكورين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين.

شكر وتقدير من الأمين العام للقائمين بالمؤتمر والمشاركين:

أيها الإخوة والأخوات أيها الحضور الكرام:

في ختام هذه الندوة المباركة الموفقة بحمد الله تعالى فرض عليّ باعتباري مسؤولا عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية الشكر والتقدير لشخصيات ولمؤسسات كانت لهم ولها جهود في إقامتها:

أولا عن سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية وجميع المسؤولين والموظفين والعاملين فيها وعلى رأسهم الأستاذ المؤمن سفيرنا الموفق المهندس حسين شيخ الاسلام بما بذله من الجهود الجبارة في تنظيم أسباب هذه الندوة فله الفضل الأكبر في إقامتها وفي نجاحها حفظه الله وأيّده في أعماله الطيبة.

ثانياً عن المستشارية الثقافية وجميع الموظفين فيها وعلى رأسهم الأستاذ الفاضل أخونا الدكتور محمدعلي آذرشب فإنه قد شارك السفارة في أعمال هذه الندوة، كما أن له الفضل علينا جميعا في حسن إدارتها كما تشهدون.

ثالثاً عن جامعة حلب ومعهد التراث العربي وعميدها حيث أتاحوا لنا الفرصة للاجتماع في هذه القاعة الواسعة.

ورابعاً علينا تقديم الشكر مرة أخرى لجميع الضيوف والمشاركين والمحاضرين والمداخلين ولكل المسؤولين الإداريين والسياسيين في حلب الشهباء وخاصة لسماحة مفتي الجمهورية ووزير الاوقاف ومحافظ حلب، وعلى العموم للجمهورية العربية السورية رئيسا وحكومة وشعبا جزاهم الله عنّا خير الجزاء. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التنسيق في العمل الإسلامي المشترك
والتقريب بين المذاهب الإسلامية

بحث مقدم إلى

اجتماع لجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك

المنعقد في طهران

٢٧ – ٢٩ محرم سنة ١٤١٩هـ
٢٣– ٢٥ أيار «مايو» سنة ١٩٩٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد و على آله و صحبه والتابعين لهم بإحسان.

أيها الحفل الكريم السلام عليكم ورحمة الله . نرحّب بكم ونشكركم على مشروعكم القيّم: التنسيق في العمل الإسلامي المشترك و في مجال الدعوة الإسلامية بالذات فإنها حركة مباركة تستدعي كل تقدير من قبل المنظمات الإسلامية، وفي طليعتها المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية الذي بذل جهوده منذ سنين للدعوة إلى الوحدة والأخوة الإسلامية، وإلى التقريب بين المذاهب الإسلامية ورفع الفواصل بينها التي باعدت بين أبنائها وجعلتهم لايعترف بعضهم ببعض ، كأنهم ليسوا أمة واحدة ولا أتباع دين واحد، فالهدف من المجمع العالمي للتقريب ولجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك شيء واحد فهما يتحركان جنباً إلى جنب بإذن الله لتوحيد الصفوف ولرفع التخاصم والتنازع بين المسلمين ولأن تكون كلمة الله هي العليا، وأريد أن أؤكد في هذا البحث

المتـواضع أمام الاخوة العلماء أن التنسيق لايتأتى إلا من طريق تقريب المذاهب وتقريب وجهـات النظـر بينهـا وإزالة الظنـون السيئة المتبـادلة بين أتباعهـا وهذا يستدعي منّا الإلمام بأمور:

الأول: أن التنسيق في الـدعـوة الإسلامية في هذا الجو المضطرب إنمايتيّسر من خـلال الاتفـاق على أصول مشتركة ضرورية ثابتة عند جميع المسلمين وهي جوهـر الإسـلام وأسسـه و أركانه التي لاينكـرهـا مسلم، ومن أنكرها جميعاً أو أشتاتـا فهـو خارج عن ربقة الإسلام، وان هذه الأصول هي معيار الإيمان والكفر دون غيـرهـا ممـا شـاع بين اتباع المذاهب وهي معلومة إجمالا مثل الإيمان بالله وملائكتـه وكتبه ورسله والإيمان بصفاته العليا و أنه لا اله الا الله و أنه لايعبد غيره ولايشرك به شيئاً، و الإيمان برسالة نبينا محمد و أنه لانبي بعده و بكل ما أنزل الله و شَـرَعـه من الدين وبالحيـاة الآخرة، وبالجنة والنار والاستسلام لأحكام الشريعة والاعتـراف بـأن المسلمين أمة واحـدة وان الإسـلام لـه نظام وحكم خاص إلى غيـرهـا من الأسس التي هي معلـومة إجمالا لكنها تحتاج إلى ضبط دقيق مقرونا بشيء من البيـــان والتـوضيح من قبل رجـال التنسيق والتقريب كأسـاس لعملهم ولدعوتهم بعد اتفاقهم على أن الأصول هي ما التزم بها المسلمون أيام النبوة وما بعدها.

الثاني: نحن نعلم أن المسلمين مع اتفـاقهم على تلك الأصـول بشكل مجمل اختلفـوا في تفسيرهـا وتفاصيلها وفيما تفرّع عنها منذ الصدر الأوّل فنشأت عنها المـذاهب الكـلامية والفقهية والأخـلاقية فتفـرقت أتباعهـا، وهذا مما لاينكره من عـرف نشـأة المـذاهب و تـاريخ الفـرق في الإسـلام. والمـراد بهم أولئك الذين اعتـرفـوا بتلك الأصـول عقيدة وشريعة ونهجوا على منهاجها والذين يتمسّكون

في كل ما التزموا به بدليل مقنع لهم مستمد من كتاب أو سنّة سواء أصابوا فيما استندوا إليه أو أخطأوا ولانريد بالمذاهب هنا تلك الفرق المنعزلة عن جماعة المسلمين المنحرفة عن أصول الإسلام، كالذين لايرون الالتزام بالشرايع والأحكام فليست عندهم صلاة ولاصوم ولاحج ولاعبادة سوى أوراد و أذكار وأعمال ابتدعوها من دون الاستناد إلى كتاب أو سنة، فهؤلاء وان غدّوا في فرق المسلمين وتُسَمّوا باسم الإسلام فهم خارجون عن نطاق هذا البحث، ولابد لرجال التنسيق والتقريب ولجميع المصلحين دعوتهم إلى الإسلام من جديد واتخاذ مواقف حكيمة أمامهم لئلا تشتدّ ضلالتهم ولاتنقطع صلتهم بالمسلمين بتاتاً.

فالقائمون بأمر التنسيق وكذلك دعاة التقريب يجب أن يعترفوا.

أولاً: بهذه الحقيقة أي بأن هناك مذاهب إسلامية مستمدة من الكتاب والسنّة ملتزمة باصول الإسلام.

وثانياً: بأن تلك المذاهب لا تختلف في تلك الأصول بل تختلف في نطاق تلك الأصول تفريعاً وتفسيراً وتفصيلاً فلا مجال للحكم بخروج أتباعها عن الإسلام.

وثالثاً: إذا وجد إبهام في بعض ما التزموا به من عقيدة أو شريعة وأنه يصادم تلك الأصول أو لايصادمها، فلابد أن يرجعوا إلى أئمة المذاهب والمختصين بذلك في كل مذهب لرفع الإبهام ولتجلية الأمر، دون الاتكال على ما شاع عن كل مذهب بين ابناء المذاهب الأخرى أو جاء في كتب الملل والنحل ودون الاعتماد على ما شاع بين العوام من اتباع المذاهب.

الثالث: كثيرا ما تختلط الأمور و تتداخل الفروع بالأصول فيتخذ المسائل

الفـرعية مكـان الأصول القطعية ويعامل معها معاملة تلك الأصول، وذلك باتخاذ كل مـذهب مـا التزم به نفس الأصول القطعية ويجعلها ميزانا للإيمان والكفر و أن من اعتقـد بجميع مـا التـزم هـو بـه كمـذهب فهـو مـؤمن وإلاّ فلا، وهذه النقطة الحسـاسة الخاطئة أساءت الظنون بين أتباع المذاهب فنشأ عنها رفض المذاهب بعضهـا بعضـا وفصلهـا عن الإسـلام فتـلاه تبادل التكفير والتفسيق ونسبة البدعة والتنابز بالألقاب بين أتباع المذاهب.

ومن أجل الحذر من خلط الأصول بالفروع يجب على أئمة المذاهب:

أولاً: تبيين مـا عنـدهم من أصـول الإسـلام ومن أصـول المذهب لأتباعهم وللآخرين.

وثانيـاً الاعتـراف والاعـلان بأن المعيار لكون الرجل مسلماً هو قبول أصول الإسـلام دون أصول المذهب وأنّ أصول كل مذهب ميزان لعدّ الرجل من أتباع تلك المـذهب لا لكونه مسلماً، وهذا ما يوجد عند علماء المذهب الإمامي حيث يصـرّحـون بأن ثلاثة من الأصول الخمسة عندهم: وهي التوحيد والنبوة والمعاد من أصـول الإسـلام وأن كل من التـزم بهـا فهـو مسلم، وأصلان ـ وهما الإمامة والعدل ـ من أصول المذهب فقط لايدور معهما الإسلام والكفر.

كمـا يجب على رجـال التنسيق والتقريب أيضـا فصل الأصـول عن الفـروع وتبيينهـا للنـاس ولعلمـاء المـذاهب بالـذات وإقنـاعهم بأن الخلاف في الفروع والتفاصيل في نطاق الأصول القطعية سواء كان في صعيد العقيدة أو الشريعة، أو في السلـوك الأخلاقي ليس بمثابة الخلاف في تلك الأصول أو رفضها، وإنّ هذا الخـلاف لايخـرج المسلم عن إسلامه ولايُلحقه بالكفار ما دام لايخرج عن نطاق تلك الأصول.

كما يجب على هؤلاء الرجال إقناع المسلمين عامة والعلماء خاصة بأن الذين اختلفوا في شيء من العقيدة والشريعة إنّما اختلفوا بعد اقتناعهم بأن ما لديهم حق وبعد ما قامت عندهم دليل مقنع من كتاب أو سنّة أو عقل أو إجماع أو غيرها مما استمد قوامه من الكتاب والسنة لدى علماء المذاهب، وكذلك إقناع الجميع بأن كل قائل من هؤلاء المذاهب إنّما يسعى للوصول إلى الحق وأنه مخلص في قوله وإن اخطأ في رأيه، وكذلك إقناع الجميع بأنهم إنّما اختلفوا في وجهة الصواب بعد اتفاقهم على أصلٍ إسلامي هو الصواب عند الجميع.

فنقول مثلا إنّ الذين اختلفوا في خلق الأفعال أنها من الله أو من العباد اتفقوا على تنزيه الله تعالى فالقائل بأن الأفعال من الله أراد تنزيه الله عن العجز بتبسيط قدرته بكل شيء حتى الأعمال من دون أن يسند الظلم والقبيح إليه تعالى، والفريق الآخر أراد تنزيه الله عن الظلم والقبيح بأن يجبر عباده على الأعمال ثم يؤاخذهم بها، ولاينكر بسط قدرة الله على أعمال العباد ويعترف بأن العبد ومايصدر عنه كلها تحت قدرة الله فالفريقان يؤكدان على تنزيه الله عمّا لايليق بساحته من العجز والظلم.

مثال آخر: المسلمون متفقون على اتصاف الله بالصفات العليا وأنّ له الأسماء الحسنى لكنهم اختلفوا بعد ذلك في أن الصفات عين الذات أو زائدة عليها، فالفريق الأول يريد تنزيه الله عن التعدد والتركيب ومشابهته بخلقه ، والفريق الثاني أراد تنزيهه عن التعطيل وسلب الصفات عنه.

وهكذا الأمر في جميع مسائل التوحيد فالخلاف فيها في تمييز جهة التنزيه وليس في أصله، وكذلك سائر المسائل في العقيدة، وأما الخلاف في الشريعة فالأمر فيه أوسع وأسهل ولكل وجهة هو موليها.

وفي الختام أوّجه توصياتي إلى أئمة المذاهب، ثم اقتراحي لرجال التنسيق والتقريب. أمّا إلى ائمة المذاهب وكذلك حكّام المسلمين.

أولاً: الاهتمام بالمشتركات والأصول المسلمة المتفق عليها وإعطائها الأولوية في الدعوة وتقديمها على ما يختص بمذهبهم وجعل هذا في الدرجة الثانية من الأهمية.

ثانيا: كما سبق ـ إبانة الفرق بين الأصول والفروع وتبيينها لأتباع مذهبهم وتفهيمهم بأن الأصول هي المعيار للإسلام دون الفروع وأن تلك الأصول معترف بها عند جميع المذاهب.

ثالثاً: تحصيل المعلومات عن الأصول المذهبية لسائر المذاهب عن طريق مطمئن، ثم تعليمها لطلبة العلم عندهم حتى لا يشتبه الأمر عليهم وليلتزموا تبيانها في ما يدرسون أو يحاضرون وفيما يكتبون عن الآخرين.

رابعاً: الاجتناب عن المجادلات المذهبية وتبادل الردود والنقوض وإساءة الادب فيما بين مذهب و مذهب.

خامساً: أن لا يصرّ ولا يؤكد علماء مذهب على نشر مذهبهم بين أتباع المذاهب الأخرى ولا على إثارة الطائفية بين أبنائها، فان ذلك مثار العداء والتخاصم بل الحرب والتقاتل.

وأمّا اقتراحي لرجال التنسيق والتقريب:

أولا: التأكيد على تأسيس مركز للدعوة الإسلامية تحت إشراف لجنة من علماء المذهب المعترف بها تدعو المسلمين وغيرهم إلى الإسلام بشتى الوسائل الإعلامية تركيزا على تلك الأصول المقبولة عند الجميع من دون التدخل في شؤون المذاهب ولا الدعاية لواحد منها أو على واحد منها ـ ويكون هذا المركز

مرجعا لدفع الشبهات والاتهامات الموجهة إلى تلك المذاهب.

وثانيا: تشكيل لجان من علماء المذاهب لدراسة تلك الأصول وللبحث حول النقاط التي نشأ عنها الخلاف و تنوعت عنها المذاهب ولاسيّما على صعيد العقيدة والتوحيد ثم عرضها على لجنة التنسيق لتنشرها بين أئمة المذاهب ومراكز الدعوة الإسلامية ليعرف مدى نطاق الخلاف على ضوء تلك الأصول.

والمجمع العالمي للتقريب مستعد لتشكيل هذه اللجان في هذا البلد الإسلامي وللاشتراك فيها في أي بلد إسلامي آخر.

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين.

الإمام البروجردي والتقريب

بين المذاهب الإسلامية

بسم الله الرّحمن الرّحيم

ليس «التقريب» وسيلة لتحقيق هدف.. بل إنه هو الهدف. لأنّه لابد من وجود «الأمة الواحدة» لكي تتحقق «عبودية رب العالمين» على ظهر الارض: (**إنّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**).

لانريد ان نقف عند هذه المسألة الهامة، بل أشرنا إليها لنمّهد لحديثنا عن بعض نشاطات التقريب لدىٰ أستاذنا الفقيد آية الله العظمى الإمام البروجردي[1] لنقدم بذلك من تاريخنا الحديث مثالا على مساعي علمائنا في حقل التقريب، ولنبعد ماقد يتبادر إلى الاذهان من أن التقريب وسيلة لتحقيق هدف سياسي مرحلي.

الإمام البروجردي ـ علم ـ من أعلام الفقه، وأستاذ كان يحضر درسه جمع كثير من

---

١ - هو الحاج آقا حسين الطباطبائي ابن السيد علي الطباطبائي ولد في مدينة بروجرد سنة ١٢٩٢ هـ ق، ودرس في مسقط رأسه مقدمات العلوم ثم رحل إلى اصفهان وأكمل دروسه في مرحلة تسمّى بـ(السطح) في قبال الدروس النهائية المسماة بـ(الخارج) ثم انتقل إلى النجف الأشرف وتتلمذ ثماني سنوات على الآخوند ملاّ كاظم الخراساني وغيره وعاد إلى بروجرد ثم رحل إلى قم وأصبح مرجعاً كبيراً للتقليد وتوفي سنة ١٣٨٠ هـ ق. له مؤلفات كثيرة في الرجال والفقه والأصول.

المجتهدين، والمهم أنه كان صاحب طريقة خاصة في الاستنباط والاستدلال لها علاقة هامّة بالتقريب.

من ذلك أنه كان يعتقد بأن الرجوع إلىٰ فتاوىٰ علماء أهل السنة يسهّل السبيل لفهم روايات أهل البيت(ع)، لأن هذه الروايات صدرت غالبا تعليقا على الفتاوىٰ الرسمية الرائجة آنذاك. وكان السائل يأتي الإمام فيذكر الفتوىٰ الرائجة من علماء أهل السنة ويسأله عن رأيه فيها، والإمام يجيب.

وكان يرىٰ أن الرجوع إلىٰ فتاوىٰ علماء السنة على مرّ التاريخ هو مقدمة الاجتهاد عند الشيعة.

والمهم أنه كان يؤكد مراراً أن هذه الطريقة هي سنّة علماء السلف من فقهاء الشيعة الإمامية، فالقدماء كانوا يهتمون بمقارنة فتاوىٰ أهل السنّة والشيعة، وخلّفوا لنا في هذا المجال كتبا هامّة سمّيت بالخلاف. واهتم الإمام البروجردي بهذه الكتب، وحرص على التعليق على كتاب الخلاف للشيخ الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠ هـ) وظلّت هذه السُنة الحسنة بعده رائجة في الحوزة العلمية، متمثلة بدراسات الفقه المقارن.

والظاهرة الثانية في مدرسته الفقهية، أنه كان يفصل بين الظاهرة الأموية وظاهرة أهل السنّة في التاريخ، أن سعي الأمويين لتحريف أحكام الإسلام دفع ببعض العلماء لأن يعتقد بأن الأحكام الموجودة لدىٰ أهل السنّة قد حُرفت عمدا من قبل علماء السلطة، ولكنه كان لا ينظر إلىٰ فقه أهل السنّة بهذا المنظار المتشائم، بل كان يجهد لاستبيان علّة الإختلاف في الفتوىٰ على سبيل المثال حين يتناول مسألة الصلاة في أول وقتها، يطرح رأي أهل السنّة القائل بعدم جواز التأخير بدون عذر، وأن التأخير بدون عذر ذنب (وهو أحد القولين المشهورين لدىٰ الشيعة الإمامية)، حتى أن بعض أهل السنّة يرىٰ أن تأخير الصلاة عن أول وقتها يستدعي أداءها قضاء. وأمام هذه الاراء كان السيد الأستاذ يقول: أن فتوىٰ أهل السنّة مستنبطة من سيرة رسول الله(ص)،

إذ كان يؤدي الصلاة دائما في اول وقتها. لكن الرسول(ص) فعل ذلك لأنه كان يؤم المسلمين في جماعتهم. والتزام النبي بالصلاة في أول وقتها باعتبار إمامته في الصلاة، ومن هنا جاز في مدرسة أهل البيت تأخير الصلاة عن أول وقتها، مع أن التأكيد حتى عند أئمة أهل البيت على أدائها في أول وقتها، وكانت سنّة مستمرة عندهم ولاتزال قائمة في مدرستهم. لكن التأخير لا يوجب القضاء.

بهذا الإسلوب كان يتعامل السيد الأستاذ مع مسائل الخلاف، ويحاول أن يجد المبرر الموضوعي لها.

إضافة إلى أسلوبه الفقهي التقريبي، كانت للسيد البروجردي مساع عملية التقريب أتذكر قوله يوما في أحد دروسه: «أمر التقريب ـ والحمد لله ـ في تقدم، وأشكر الله أن كان لي سهم فيه».

وفهمنا بعد ذلك أن استبشار السيد في تقدم أمر التقريب كان نتيجة رسائل وصلته من شيوخ الأزهر الشريف في هذا المجال وأجابته عليها.

كتب إليه المرحوم الشيخ محمود شلتوت مرة يقول:

«أثمّن جهودكم، وأسال الله القادر العليم أن يحقق آمالكم الإسلامية... وبُشراكم فإن خطواتكم على طريق التقريب كانت مدعاة للصلاح والسير نحو الله».

كما كتب إليه المرحوم الشيخ عبد المجيد سليم رسالة في مرضه وأجابه السيد عليها.

كان السيد الأستاذ يعقد الأمل الكبير على «دار التقريب» في القاهرة، ويرعى أمينها الشيخ محمد تقي القمي.

وحين كنت أراجع الإمام البروجردي في بيته إكمالا لمشروع «جامع الشيعة» رأيت الشيخ القمي مرارا في بيته منتظرا لقاءه.

ومن الظواهر الهامة في نشاط السيد البروجردي على الصعيد العلمي تغيير مسير

الحوار بين أهل السنّة والشيعة، نحو ما يمكن أن يتفقوا عليه، وإبعاد الحوار عن المسار الذي لا يمكن أن يتفقوا عليه..

على سبيل المثال ما رأيت السيّد الأستاذ يطرح مسألة «الخلافة» على الإطلاق جلساته العامة والخاصة، في الدروس وفي خارج الدروس. بل سمعته جلساته الخاصة يقول: «مسألة الخلافة لا جدوىٰ فيها اليوم لحال المسلمين، ولا داعي إثارتها وإثارة النزاع حولها. ما الفائدة للمسلمين اليوم أن نطرح مسألة من هو الخليفة الأول؟ إنما المفيد لحال المسلمين اليوم هو أن نعرف المصادر التي يجب أن نأخذ منها أحكام ديننا».

من هنا كان السيد يؤكد على حديث الثقلين: **«إني تارك فيكم الثقلين، ما ان تمسّكتم بهما لن تضلوا أبداً: كتاب الله وعترتي. وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»**[1].

ولا يكاد يمر شهر على دروسه دون أن يذكر في مناسبة هذا الحديث. وكان هذا أسلوب السيد المرحوم عبد الحسين شرف الدين أيضا. فقد كان يؤكد في حواره مع شيخ الازهر الفقيد الشيخ سليم البشري أن دليلنا على أخذ السنة من طريق أهل البيت هو حديث الثقلين.

وسمعت أن السيد البروجردي أهدىٰ شيخ الأزهر الراحل عبد المجيد سليم كتاب «المبسوط» للشيخ الطوسي، وكان لهذا الكتاب أثر كبير على الشيخ عبد المجيد، وروي عنه في أواخر حياته قوله:

«سواء حين كنت مفتيا لمصر، أو حين أصبحت بعد ذلك عضوا في لجنة إفتاء

١- جمع أحد علماء قم كل أسانيد هذا الحديث مشيراً إلىٰ اختلاف جاء في متنه في كتاب نشرته «دار التقريب بين المذاهب الإسلامية» في القاهرة وأعاد طبعه «المجمع العلمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية»، وقدمت للموضوع مقدمة وافية نشرت في مجلة «رسالة التقريب» العدد ٥.

الأزهر، متى ما تصديت لمعالجة مسألة للإفتاء كنت أراجع كتاب المبسوط». وكان هذا الشيخ المبجّل من مؤسسي «دار التقريب بين المذاهب الإسلامية» وعضواجماعة التقريب.

وكان السيد الأستاذ يتحدث عن شيوخ الازهر ويتحدث عن الشيخ محمد عبده وغيرهم من علماء أهل السنّة بتقدير وإجلال، كما أنه كان يراجع دائما كتاب «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» لابن رشد الأندلسي باعتباره من أحسن الكتب في الفقه المقارن. وطالما رأيت الكتاب مفتوحاً أمامه على منضدته. وتعرف طلابه على هذا الكتاب عن طريقه[1].

وهذه هي خصائص المدرسة الإسلامية الأصيلة في التعامل العلمي بين العلماء، والحوار بين المذاهب. والمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية يستهدف أن يواصل جهود السلف الصالح من العلماء في إحلال التفاهم وإبعاد التناحر والتباغض، فتلك ضرورة لابد منها لعودة «الأمة الواحدة» وما ذلك على الله سبحانه وتعالى بعزيز.

١- لنا مقال حول هذا الكتاب بعنوان «ابن رشد، الفقيه المالكي والفقه المقارن» ألقيناه في ندوة ابن رشد في الكويت ونشر في «رسالة التقريب» العدد٨. وفي مقدمة كتاب «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» الذي قام مركز الدراسات العلمية التابع لمجمع التقريب بتحقيقه ونشره مع تعليقات قيمة في تعريف مذهب أهل البيت.

من مشاهد التقريب بين المذاهب الإسلامية في التاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

أريد في هذا العرض السريع أن أبيّن حقيقة هامّة هي أن التقريب ليس ظاهرة مرتبطة بعصرنا، ولا هي وليدة ظروف سياسية خاصة كما يحلو أن لبعض ان يسميها، ولا هي بعيدة المنال كما يسعى بعض إلىٰ تصويرها. بل هي حركة انطلقت من روح الإسلام وأهدافه وتشريعاته، وتبلورت عبر مالا حصر له من المشاهد والمواقف على يد المستوعبين لأهداف الرسالة، والساعين إلىٰ حملها على مستوىٰ متطلبات زمانهم ومستقبلهم.

سيرة الائمة

نبدأ من عصر الإختلاف على الخلافة. لقد كان أمير المؤمنين علي(ع) يرىٰ أنه أحق الناس بخلافة رسول الله(ص)، وأتباعه من الصحابة والتابعين في عصره كانوا يرون ذلك أيضا، ولذلك أدلتهم المعروفة التي تتمسك بها مدرسة أهل البيت إلىٰ يومنا هذا. ولكنه لم يستلم زمام أمور الخلافة إلا بعد سنوات حين بايعه الناس من

المهاجرين والانصار والتابعين. لم يكن الذين بايعوه جميعا من شيعته، بل كانت الأكثرية الساحقة ترى فيه خليفة رابعا للمسلمين، ومع ذلك كان الإمام يحتج على خصومه بهذه البيعة. فيقول في كتاب له إلى معاوية: «**انه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان**». ثم إن العلاقة بين الإمام ومبايعيه الذين يرون أنه الخليفة الرابع.. كانت علاقة حميمة. أوكل الإمام إليهم المسؤوليات القيادية العسكرية والإدارية، وهؤلاء شاركوا في حروب الإمام بالجمل والنهروان وصفين.

لم يتعامل الإمام مع هؤلاء تعامل ساخط غاضب بسبب تنحيته عن الخلافة بعد الرسول، بل عاملهم بما يستحقونه من احترام باعتبارهم مسلمين، وباعتبارهم من صحابة رسول الله(ص)، ولم يتخذ من شخص منهم موقفا سلبيا قبل أن يُجابه ذلك الشخص علياً بصورة معلنة.

وبعد أمير المؤمنين علي بايع نفس هؤلاء الصحابة والتابعين ولده الإمام الحسن عليه السلام، غير إن الظروف المتوالية ثبّطت عزيمة المبايعين، وسرت بين أكثرهم حالة الإحساس بالتعب والرخوة، مما أدىٰ إلىٰ هدنته مع معاوية.

والحسين(ع) حين ثار في عصره، إنّما ثار ليواجه ظلم الظالمين من الحكام المنحرفين عن مسيرة الإسلام في عصر الخلفاء، وشاركه في هذه الثورة قلبا ولسانا وسيفا المهاجرون والانصار والتابعون، واستشهد بعضهم معه في كربلاء.

ومرّ القرن الأول دون أن تظهر فيه خلافات فقهية وعقائدية تذكر، بل كانت المجابهات سياسية، وكان أئمة آل البيت يسعون فيه إلىٰ تثبيت مفهوم الحكومة الصالحة التي قررتها شريعة خاتم الانبياء(ص).

وفي القرن الثاني ظهرت بالتدريج المذاهب الفقهية. وأول شخصية فقهية برزت خارج إطار مدرسة أهل البيت هو أبو حنيفة (٨٠ ـ ١٥٠هـ) وكان معاصرا للإمام

الصادق (٨٠ ـ ١٤٨ هـ)، وتلاه مالك بن أنس (٩٣ ـ ١٧٩هـ). كان أبو حنيفة إمام أهل العراق ومدرسته تقوم على القياس والاجتهاد، ومالك إمام المدينة ومدرسته تعتمد الرواية والحديث، والإثنان كانا على علاقة وطيدة بالإمام الصادق، كلاهما تتلمذا عليه وأفادا منه، نجد اثر ذلك فيما قاله الإثنان عن الإمام، وما نقلاه من روايات عن مدرسة أهل البيت[1].

هذه العلاقة الوطيدة لها مدلولها الكبير، لأننا نعلم أن الإمام الصادق(ع) كان يختلف مع هذين الإمامين من أئمة أهل السنة في امور، غير أن الإمام لم يكن يركز على هذا الإختلاف ليتحول إلى قطيعة بينه وبين من لا يرى رأيه، بل كان يرتبط ارتباطا تعاونيا ـ كما تقتضيه رسالة الإسلام مع غيره من علماء عصره بما يشترك فيه معهم.

وتذكر لنا كتب المسانيد روايات كثيرة عن العلاقة الوثيقة بين الإمام الصادق وأبي حنيفة ومالك، وما نقل خلاف ذلك فهو نادر وشاذ ومحدود بظروف خاصة،ضعيف ومجعول.

هذا السلوك الرسالي من الإمام الصادق هو الذي جعل أربعة آلاف طالب يلتفون حول الإمام الصادق ينهلون من علومه فيهم كثير من أهل السنة[2]. وقبل أكثر من ثلاثين سنة شرعت في جمع ماروي من أحاديث أهل البيت(ع) في كتب أهل السنة، فبلغت ما يقرب من أثني عشر ألف حديث، يسعى بعض العلماء والفضلاء الآن في قم الى إكمالها. وهذا يدل على العلاقة الحسنة بين علماء أهل السنة وائمة أهل البيت(ع)،

١- في الموطأ لمالك نحواً من أربعين رواية عن طريق أهل البيت، بعضها تستند مباشرة إلى الإمام الصادق.

٢- يذكر ابن عقدة في رجاله أسماءهم (والكتاب مفقود). وعددت من ذكرهم الشيخ الطوسي الفهرست فكانوا ٣٢٢٣ شخصا.

ومدىٰ ماكان بين الفريقين من ارتباط ومراودة، وإذا انقطعت هذه المراودة زمنا، فانما يعود ذلك إلىٰ خوف من جهاز الخلافة الحاكمة.

سيرة أتباع الأئمة

وإذا تقدمنا مع الزمن إلىٰ القرن الثالث والرابع سنجد سيرة علماء مدرسة أهل البيت تنهج نفس طريق الأئمة في الموقف التقريبي.

الشيخ المفيد رضوان الله عليه الذي اقامت مدينة «قم» قبل سنوات الذكرىٰ الالفية لوفاته كان له أساتذة وتلاميذ كثيرون من أهل السنة، وعلي بن عيسى الرماني (٢٩٦ ـ ٣٨٤هـ) من علماء المعتزلة، هو الذي سماه بالمفيد في قصة يطول شرحها تبين نموذجا رائعا من الحوار الرصين والموقف المبدئي العلمي بين أهل السنة والشيعة.

وتلميذاه السيد مرتضى علم الهدىٰ (٣٥٤ ـ ٤٣٦ هـ) وأخوه السيد الرضي (٣٥٩ ـ ٤٠٦ هـ) كانت لهما علاقات واسعة مع علماء أهل السنة، وأساتذتهما من علماء السنة بقدر أساتذتهما الشيعة. وحضر دروسهما ومجالسهما السنة والشيعة معا من العلماء والأدباء والشعراء.

والسيد الرضي في كتابه التفسيري القيم «حقائق التأويل» يروي غالبا عن علماء أهل السنة، ومتى ما ذكرهم يترحم ويترضى عليهم. والكتاب وحده لا يبين مذهب كاتبه هل هو سني أم شيعي، وحصل هذا الترديد بالفعل لبعض أصحاب التراجم. ومع أن تشيعه ثابت من خلال كتاب «خصائص الأئمة» و«نهج البلاغة» وكتبه الأخرىٰ غير ا أن سلوكه كان منسجما مع سيرة أئمة أهل البيت في التعامل مع من يختلفون معه بعض الآراء.

ولعل أعظم علماء الشيعة هو الشيخ الطوسي[1] (٣٨٥ ـ ٤٦٠) تلميذ الشيخ المفيد وتلميذ علم الهدىٰ فوّض إليه الخليفة العباسي كرسي علم الكلام وهو أكبر كرسي علمي يومئذ. وكان أكثر من يحضر درسه من أهل السنة. وهذا وحده يدلنا على أن الرجل كان في دروسه وأحاديثه متزنا لا يتحدث بما يسيء إلىٰ أصحاب المذاهب الأخرىٰ نعم كان يتعرّض لآراء الآخرين وينقدها، ونرىٰ مثل هذا النقد لآراء أبي حنيفة وغيره من الائمة في كتاب «المبسوط»، غير أنه ما كان يطعن في أحد ابداً، ولم يسفه أحدا أبدا، بل كان يحاورهم محاورة فقيه لفقيه على أساس الدليل والبرهان.

ويظهر اتجاهه المتزن هذا بكل وضوح في تفسيره «التبيان». ويروي آراء الآخرين وينقدها بكل رصانة واتزان، دونما توجيه أية إهانة لأحد. من ذلك ما جاء في مقدمة تفسيره إذ يقول:

وحكى البلخي في كتاب التفسير فقال: «قال قوم ـ ليس ممن يعتبرون ولكنهم من الأمة على حال ـ أن الأئمة المنصوص عليهم ـ بزعمهم ـ مفوض إليهم نسخ القرآن وتدبيره، وتجاوز بعضهم حتى خرج من الدين بقوله: إن النسخ قد يجوز على وجه البداء، وهو أن يأمر الله عز وجل عندهم بالشيء ولا يبدو له، ثم يبدو له فيغيره، ولا يريد في وقت أمره أن يغيره هو ويبدله وينسخه، لأنه عندهم لا يعلم الشيء حتى يكون؛ إلاّ ما يقدره فيعلمه علم تقدير، وتعجرفوا فزعموا أن مانزل بالمدينة ناسخ لما نزل بمكة».

ويلاحظ أن البلخي كان قاسيا في كلامه، لكن الشيخ الطوسي يجيبه بهدوء علمي

١ـ احتفلت جامعة مشهد بذكراه الألفية سنة ١٩٧٠ في مؤتمر علمي كبير كنت أنا المسؤول عن أمانته العامة.

تام فيقول:

«وأظن أنه عنى بهذا أصحابنا الإمامية، لأنه ليس في الأمّة من يقول بالنص على الائمة(ع) سواهم. فإن كان عناهم فجميع ما حكاه عنهم باطل وكذب عليهم. لأنهم لا يجيزون النسخ على أحد من الائمة(ع)، ولا أحد منهم يقول بحدوث العلم، وإنما يحكى عن بعض من تقدم من شيوخ المعتزلة ـ كالنظام والجاحظ وغيرهما ـ وذلك باطل، وكذلك لا يقولون: إن المتأخر ينسخ المتقدم إلا بالشرط الذي يقوله جميع من أجاز النسخ، وهو ان يكون بينهما تضاد وتناف لا يمكن الجمع بينهما، وأما على خلاف ذلك فلا يقوله محصل منهم»[1].

وفي الفقه ترك لنا الشيخ الطوسي أسفارا قيّمة، منها كتاب «الخلاف»، وفيه نقل آراء كل الفقهاء من الصحابة والتابعين وأئمة المذاهب حتى عصره. ويعلق على هذه الآراء بقوله تارة: هذا موافق لمذهبنا، وتارة: هذا مخالف لمذهبنا.. كل ذلك بالدليل والبرهان من دون الهجو من القول.

كما كتب «المبسوط» ليكون دورة كاملة في الفقه الاستدلالي التفريعي. وهو أول كتاب من نوعه لدىٰ الشيعة. فقد كانت كتب الفقه الشيعية قبل هذا الكتاب من نوع الفقه المنصوص، أو الفقه المجرّد، حيث تدرج مضامين آيات الاحكام والأحاديث على شكل كتاب فقه يضم أصول المسائل الفقهية. أما المبسوط فقد سلك فيه المؤلف مسلكا اجتهاديا فرّع فيه المسائل وبيّن رأيه فيما هو كائن من أمور وما سيكون. وكان مثل هذا اللون من كتب الفقه رائجا عند أهل السنة، وخاصة في إطار مذهب أبي حنيفة الذي فسح المجال للقياس واتسعت على أساسه مدرسته الفقهية. والشيخ

---

١ - التبيان ١/١٣ ـ ١٤.

الطوسي سلك نفس هذا السبيل معتمدا على اجتهاده في تأليف المبسوط.

فيذكر في بدايته أن الشيعة لم يجرأوا حتى عصره على الإفتاء بغير ماورد في نص الرواية. ويستوحشون من إصدار حكم بلفظ غير اللفظ المنصوص. ثم يذكر أنه أراد أن يكسر هذا الحاجز وان يبيّن كل الأحكام التي بيّنها أهل السنة عن طريق القياس، استنادا إلىٰ أصول مذهب أهل البيت دون أدنى اعتماد على القياس.

والشيخ أمين الإسلام الطبرسي (توفي ٥٤٨ هـ) عَلَم من أعلام التقريب في مدرسة أهل البيت(ع). وكتابه «مجمع البيان» آية توجهه التقريبي، ينقل فيه مختلف الروايات، ثم يقول تارة: هذا القول مروي عن أئمتنا أيضا. وأحيانا يرجح قول غير الائمة على القول المنسوب للائمة لانطباقه أكثر على ظاهر القرآن، لا ردّا لكلام الإمام بل ترديدا في صحة نسبته للإمام.

وللشيخ محمود شلتوت وهو من مؤسسي دار التقريب مقدمة رائعة على الطبعة المصرية لكتاب مجمع البيان يقول فيها:

«وأريد ان أقول أن صاحب كتاب «مجمع البيان» قد استطاع إلىٰ حد بعيد أن يغلب إخلاصه للفكرة العلمية على عاطفته المذهبية، فهو وإن كان يهتم ببيان وجهة نظر الشيعة فيما ينفردون به من الأحكام والنظريات الخلافية اهتماما يبدو منه أحيانا اثر العاطفة المذهبية؛ فإننا لا نراه مسرفا في مجاراة هذه العاطفة، ولا حاملا على مخالفيه ومخالفي مذهبه، والواقع أنه ينبغي لنا أن ننظر إلىٰ هذا المسلك فيما يتصل بأصول المذاهب ومسائلها الجوهرية نظرة هادئة متسامحة ترمي إلىٰ التماس المعذرة، وتقدير ما يوجبه حق المخالف في أن يدافع عما آمن به، وركن اليه، فليس من الإنصاف أن نكلّف عالما مؤلفاً بحاثة دراكة، أن يقف من مذهبه وفكرته التي آمن بها موقف الفتور، كأنها لا تهمه، ولا تسيطر على عقله وقلبه، وكل ما نطلبه ممن تجرد للبحث

والتأليف وعرض آراء المذاهب وأصحاب الأفكار أن يكون منصفا مهذب اللفظ، أمينا على التراث الإسلامي، حريصا على إخوة الإيمان والعلم، فإذا جادل ففي ظل تلك القاعدة المذهبية التي تمثل روح الاجتهاد المنصف البصير: «مذهبي صواب يحتمل الخطأ، ومذهب غيري خطأ يحتمل الصواب».

على أننا نجد الإمام الطبرسي في بعض المواضع يمر على ما هو من روايات مذهبه، ويرجح أو يرتضي سواه.

ومع ذلك إنه يقول في تفسير قوله تعالى: «**إهدنا الصراط المستقيم**».

«وقيل في معنى الصراط المستقيم وجوه:

أحدهما: إنّه كتاب الله ـ وهو المروي عن النبي(ص)،وعن علي (ع) وابن مسعود.

وثانيها: أنه الإسلام وهو المروي عن جابر وابن عباس.

وثالثها: انه دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره ـ عن محمد بن الحنفية.

والرابع: انه النبي(ص) والأئمة القائمون مقامه ـ وهو المروي في أخبارنا.

والأولى حمل الآية على العموم حتى يدخل جميع ذلك فيه، لان الصراط المستقيم هو الدين الذي أمر الله به من التوحيد والعدل، وولاية من أوجب الله طاعته».

فظاهر أن الرواية الأخيرة هي اقرب الروايات تناسباً مع مذهب الشيعة في «الأئمة» وهي المروية في أخبارهم، ولكن المؤلف مع هذا لا يعطيها منزلة الأولية في الذكر، ولا الأولوية في الترجيح، بل يعرضها عرضا روائيا مع غيرها، ثم يحمل الآية على ما حملها عليه من العموم، وما أبرعه إذ يقول: «وولاية من أوجب الله طاعته»! إن الشيعي والسني كليهما لا ينبوان عن هذه العبارة، فكل مؤمن يعتقد أن هناك من أوجب الله طاعته، وفي مقدمتهم الرسول وأولوا الامر، ووجه البراعة في ذلك أنه لم يعرض

للفصل في مسألة «الولاية» و«الإمامة» هنا، لأن المقام لا يقتضي هذا الأمر، ولكنه مع ذلك أتى بعبارة يرتضيها الجميع، ولا ينبوا عنها أي فكر»[١].

والشيخ الطبرسي بعد تأليفه «مجمع البيان» يقف على تفسير الكشاف للزمخشري (ت٥٣٨هـ)، ويرىٰ فيه لطائف لم يحتوها مجمع البيان، فيجمع تلك اللطائف كتاب «الكافي الشافي» (وهو مفقود)، ثم يعمد بطلب من ولده إلىٰ الجمع بين كتابي الكافي والمجمع في كتاب «جوامع الجامع».

والطبرسي في الفقه له عمل تقريبي عظيم. فقد هذّب كتاب الخلاف للشيخ الطوسي وسمّاه «المؤتلف من المختلف بين أئمة السلف». والعنوان يحكي ما كان يتحلى به المؤلف من روح سامية واتجاه وحدوي تقريبي، وهو في ذلك ينهج نفس طريق الشيخ الطوسي.

ويتوأصل هذا التوجه التقريبي عبر القرون فيلقانا في القرن السابع المحقق الحلي، والعلامة الحلي. وأقف عند العلامة الحلي فهو من أكبر العلماء في تاريخ الإسلام. وأذكر كتابيه: «المنتهى» و«التذكرة». وفي الكتابين يعرض المسائل استنادا إلىٰ المصادر الفقهية في العالم الإسلامي. يطرح المسألة ويذكر دليلها من علماء أهل السنة، ثم يذكر دليلها من روايات الشيعة. ويعترض أحيانا على الدليل بأسلوب علمي هادىء رصين. ويذكر أن العلامة الحلي كان بين أساتذته وتلاميذه علماء من أهل السنة.

وفي العصر الحديث أيضاً حمل راية البعث الإسلامي رجل تقريبي هو السيد جمال الدين الاسد آبادي المعروف بالأفغاني.

هذا الرجل رغم نشأته الشيعية ودراساته الشيعية يسلك ما يوهم أنه «كان حنفيا

---

١ - مجلة «رسالة الإسلام» السنة العاشرة، العدد الثاني، ص٢٣٢ ـ ٢٣٤.

حنيفا ومجتهدا» كما يقول عنه تلميذه الإمام محمد عبده.

دعا المسلمين سنة وشيعة إلىٰ الحركة واليقظة والوحدة ونبذ التفرقة، فكانت دعوته بداية عصر جديد دخل فيه العالم الإسلامي بعد سباته الطويل.

أخلص إلىٰ القول أن التقريب كان نهج كل المخلصين لدينهم وأمتهم، وما شهده التاريخ في العهود الإسلامية الغابرة والعصر الحديث من اختلاف وتفرّق وتمزّق إنما كان بسبب مصالح الحكم والسياسة، وبسبب انحراف الحاكمين عن النهج الإسلامي.

إن عصرالصحوة الإسلامية يحمل بطبيعته بشائر وحدة الأمّة بجميع مذاهبهاإطار رسالي متطلع إلىٰ مستقبل إسلامي أفضل لأمتنا، وما ذلك على الله بعزيز.

بيـن المــؤتلف
والمختلــف

بسم الله الرحمن الرحيم

واجهت خلال تجاربي الطويلة في حقل التقريب أن هناك من العلماء والمثقّفين ومن عامة المتعلمين من يعيش هموم وحدة المسلمين ويعمل دائما على توحيد كلمتهم. ومثل هؤلاء ـ رغم اطلاعهم على وجود الاختلافات ـ لا يفكّرون إلاالمشتركات الفكرية والعقائدية والفقهية بين المسلمين.. بل ويعملون على البحث في كل مذهب في ما يقرّب هذه المذاهب ويوحّد اتجاهاتها...

وهناك من يرىٰ الأمور من زاوية خاصة لاترى إلاّ الاختلاف، فهو مولع بتضخيم هذه الاختلافات وبالرد على الجانب الآخر. ولا يحس براحة إلاّ حينما يشن هجوما شديداً على خصمه «المسلم»! ويرد عليه. يحس بشحنة من البغضاء في صدره لا يهدأ إلاّ عندما يفرغ هذه الشحنة.

أتلك وهذه من طبائع الأفراد، أم هما نتيجة تربية فكرية ونفسية خاصة؟! هذا مالا أريد أن أتعرض له. ولكن أريد أن أوجّه دعوة إلىٰ كل المخلصين القادرين على أن

يكيّفوا أنفسهم وفق ما تقتضيه مصلحة الإسلام والمسلمين ومصلحة التقريب بين المذاهب الإسلامية، وتلخص هذه الدعوة في عدم إثارة موضوع عدالة الصحابة وموضوع عصمة أهل البيت في الحوار التقريبي بين أهل السنّة والشيعة.

تجاربي تدلّ على عدم جدوىٰ طرح هاتين المسألتين لأنهما تستندان إلىٰ خلفية تاريخية طويلة. وإثارتهما تثير ظلالاً من شكوك واتهامات نحن في غنى عنها.

عدالة الصحابة أصل قطعي ومسلم به عند أهل السنة لما يروونه من أحاديث بهذا الشأن، والتشكيك بعدالة كل الصحابة يوحي بأن المشكك يعادي الصحابة والعياذ بالله. ولقد حاول بعضهم أن يلصق هذه التهمة بالشيعة، والشيعة منها براء طبعا، لأنهم لا يشككون إلاّ في المنافقين، وقد ذمهم القرآن الكريم.

وعصمة الائمة الإثني عشر أصل قطعي ومسلم به عند الشيعة الإمامية والتشكيك به يوحي أيضاً بأن المشكك ناصبي والعياذ بالله يعادي أئمة أهل البيت. وحاول بعضهم أن يلصق هذه التهمة بأهل السنّة، وأهل السنّة براء من ذلك.

طرح هاتين المسألتين ـ إذن ليس فيه فائدة، بل ينطوي على إضرار ايضاً. وأقترح طريقاً آخر للحوار يؤدي إلىٰ الوحدة والتقريب. والطريق يتلخص بما يلي:

المسلمون مجمعون على حجية القرآن وصيانته من التحريف، وهو أصل لا يقبل التشكيك. أما بالنسبة للسنة فمن الأولى أن لا نبحث في مصدرها وطريق الوصول إليها، بل نبحث في الروايات المشتركة الواصلة عن طرق كلا الفريقين، ونجعلها ملاك عملنا. وهذا ما نفعله في مركز الدراسات العلمية التابع للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية. يجد الباحث عندئذ أن ثمانين بالمائة من روايات الفريقين التفسير والفقه والعقائد مشتركة. أما في المسائل الأخلاقية فتبلغ نسبة المشتركات مائة بالمائة.

والفيض الكاشاني عمل على تحرير كتاب «إحياء العلوم» للغزالي في كتابه «المحجة البيضاء» ونقل إزاء كل الروايات المنقولة عن طرق أهل السنة روايات مشابهة عن أئمة أهل البيت.

على أي حال، الروايات المشتركة في اللفظ والمضمون كثيرة جدا بين أهل السنة والشيعة. وهذه الروايات المشتركة إضافة إلىٰ القرآن الكريم تستطيع أن تكون ملاك عملنا. وأما غير المشتركة فنعرضها على القرآن فما وافق القرآن اخذنا به وما خالفه اعرضنا عنه. وهذا ما أمر به الإمام الصادق(ع) أتباعه في ما يصله عنه من الأحاديث، كما انه يمكننا ان نعرضها على الروايات المشتركة فتكون هذه هي الأخرىٰ بعد القرآن مرجعاً لنا جميعا في غير المشتركات وفيما اختلفت الأمة. ولنفترض ان الإختلاف بقي مع ذلك قائماً في بعض الروايات، ولم نستطع التوصل إلىٰ اتفاق بشأنها، فهذا لا ضير فيه. يعمل كل فريق بروايته، والاختلاف يبقى قائما حتى داخل إطار المذهب الواحد ولا يضر وحدة المسلمين.

وهنا أقول لكل أهل السنّة أن الشيعة ـ خلافا لما يشيعه المغرضون ـ يحترمون الصحابة ويجلونهم ويتلون أذكار أئمتهم التي تدعو للصحابة وترضى عنهم وتذكرهم بكل إعزاز وإكرام. من ذلك قول الإمام زين العابدين علي بن الحسين(ع):

اللهم وأصحاب محمد خاصة الذين أحسنوا الصحابة، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره، وكانفوه[1] وأسرعوا إلىٰ وفادته، وسابقوا إلىٰ دعوته، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالاته، وفارقوا الازواج والأولاد في إظهار

١- أعانوه.

كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته، وانتصروا به، ومن كانوا منطوين على محبته يرجون تجارة لن تبور[١] في مودته، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا في ظل قرابته.

فلا تنس لهم اللهم ما تركوا لك وفيك، وارضهم من رضوانك وبما حاشوا[٢] الخلق عليك وكانوا مع رسولك دعاة لك وإليك واشكرهم على هجرهم فيك ديار قومهم، وخروجهم من سعة المعاش إلىٰ ضيقه، ومن كثَّرت في إعزاز دينك من مظلومهم.

اللهم وأوصل إلىٰ التابعين لهم بإحسان، الذين (يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان) خير جزآئك الذين قصدوا سمتهم[٣] وتحروا[٤] وجهتهم، ومضوا على شاكلتهم[٥] لم يثنهم ريب في بصيرتهم، ولم يختلجهم[٦] شك قفو[٧] آثارهم، والائتمام[٨] بهداية منارهم، مكانفين وموازرين[٩] لهم، يدينون بدينهم ويهتدون بهديهم، يتفقون عليهم، ولا يتهمونهم فيما ادوا اليهم.

١- تبور: تكسد وتخسر.

٢- حاشوا: جمعوا.

٣- سمتهم: طريقتهم الحسنة.

٤- تحروا: توخوا وتصدوا.

٥- شاكلتهم: منهاجهم.

٦- يختلجهم: يجتذبهم.

٧- قفو: أتباع.

٨- الائتمام: الاقتداء.

٩- موازرين: مساعدين.

اللهم وصل على التابعين من يومنا هذا إلىٰ يوم الدين، وعلى أزواجهم، وعلى ذرياتهم، وعلى من أطاعك منهم، صلاة تعصمهم بها من معصيتك، وتفسح لهم في رياض جنتك، وتمنعهم بها من كيد الشيطان، وتعينهم بها على ما استعانوك عليه من بر، وتقيهم طوارق[١] الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير، وتبعثهم بها على اعتقاد حسن الرجاء لك، والطمع فيما عندك وترك التهمة فيما تحويه أيدي العباد، لتردهم إلىٰ الرغبة إليك والرهبة منك، وتزهدهم في سعة العاجل وتحبب إليهم العمل للآجل، والاستعداد لما بعد الموت وتهون عليهم كل كرب يحل بهم يوم خروج الأنفس من أبدانها وتعافيهم مما تقع به الفتنة من محذوراتها، وكبة النار[٢] وطول الخلود فيها، وتصيرهم إلىٰ أمن من مقيل[٣] المتقين»[٤].

وأقول للشيعة ما قلته مرارا:

أن أهل السنة لا يقلون حباً لأهل بيت رسول الله(ص) من الشيعة، حتى البقية الباقية من الخوارج عدلت عن رأيها في أمير المؤمنين علي(ع). طرق الصوفية تنسب نفسها جميعا إلىٰ علي. في السودان وجدت سبع طرق صوفية تعتقد كلها أن الفيض الالهي يصلها عن طريق علي. المرحوم التفتازاني شيخ مشايخ الطرق الصوفية في مصر يقول: إن قول النبي(ص): «أنا مدينة العلم وعلي بابها» يعني علم الطريقة الذي وصلنا عن علي وأهل بيته.

١- طوارق: ما يأتي على غفلة.

٢- كبة النار: شدتها وصدمتها.

٣- المقيل: موضع الاستراحة.

٤- الصحيفة السجادية/٢٦ ـ ٢٩، الدعاء الرابع، بيروت ط النعمان.

القاهرة اليوم لا تقل تشيّعاً عن طهران. فيها من المراقد المقدّسة لأهل البيت وفيها من الملتفين حول هذه المراقد ما يثير الدهشة، المصريون يحتفلون بمولد الإمام الحسين وبمولد السيدة زينب احتفالات شعبية عظيمة. ومن هنا فمن شكك منهم في عصمة الأئمة فلا يعني ذلك عدم ولائهم لآل بيت رسول الله(ص).

ليفهم بعضنا بعضا بمعزل عن الحساسيات التاريخية، ولنعمل لتركيز مساحات الاتفاق. فهو واجب شرعي يقتضيه أمر الله سبحانه بالوحدة والاعتصام بحبله ونبذ التفرق والاختلاف. والسلام على جميع اخواننا المؤمنين.

القسم الثالث:

الحج والتقريب

١ - الخطاب الهام في الحج والتقريب.

٢ - الحج والتقريب بين المذاهب الإسلامية .

٣ - الحج والتقريب بين المذاهب في الأحاديث.

الخطاب الهام الذي ألقاه

الأمين العام للمجمع العالمي
للتقريب بين المذاهب الإسلامية

في الندوة الأولى لمجمع التقريب بمكة المكرّمة

ذو الحجة ١٤١١ هـ الموافق ١٩٩١م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا ونبيّنا محمد وعلى آله الطاهرين المعصومين وصحبه المنتجبين.

رب اشرح لي صدري ويسّرلي أمري وأحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي.

ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنّا سيآتنا وتوفّنا مع الأبرار

إخواني الأعزاء حضرات السادة العلماء السلام عليكم ورحمة الله

إنه لمن توفيق الله ومنّه أن تنعقد الندوة الأولى لمجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية في بلد الوحدة والتوحيد، في مكة المكرمة وفي جوار بيت الله الحرام. ليس من باب الصدفة أن تحتل الكعبة مركز القلب في شعار مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية - كما ترون - وأن تنعقد الندوة الأولى لهذا المجمع في جوار البيت العتيق.. إنه تقدير إلهي نستبشر به خيراً لمستقبل دعوتنا التقريبية

الإلهية المقدّسة.

نعم الكعبة بيت التوحيد وبيت الوحدة.. وهي بيت «الله» وبيت «الناس» معاً.

«إنّ أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا»(آل عمران-٩٦)، **«وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً»**(البقرة-١٢٥).

الكعبة رمز وحدة المسلمين، والأمة الإسلامية الواحدة هي بأجمعها أهل قبلة واحدة هي الكعبة، وربع سكان المعمورة يتجهون نحو الكعبة المشرّفة. ثم إن هذه الندوة المباركة تنعقد في أيام الحجّ بعد ندوة الحجّ وبعد أذان البراءة من المشركين مباشرة، وارتباط وحدة المسلمين بالحج ارتباط وثيق، ومن المؤكد أن الوحدة من الأهداف الهامة لفريضة الحج.

وأن الحج مؤتمر عام للتقارب والتفاهم بين المسلمين.

قضية اختلاف المسلمين ووحدتهم قصة ذات شجون، لها في التاريخ الإسلامي ذكريات ممزوجة بالحلاوة والمرارة. ولامجال هنا للتعرّض لها ولا داعي لذكرها إلاّ عبرةً وموعظة للمسلمين ومن الأمور التي لايشك فيها مسلم هي أنّ الأمة الإسلامية أمّة واحدة، وأن الوحدة هي من أركان الإسلام الهامّة:

«إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون»(الانبياء-٩٢).

وما أجمل ما قاله الإمام كاشف الغطاء داعية التقريب المعروف:

«بني الإسلام على كلمتين: كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة».

المسلمون لايصلون إلى تحقيق أهداف الإسلام السامية إلا بالوحدة، وعزة المسلمين رهينةٌ بوحدتهم، وليس بعد اختلافهم وتنازعهم إلاّ ضعف الشوكة وذهاب الريح وحلول الوهن بهم.

تاريخ الإسلام شهد مساعي وجهودا توحيدية ووحدوية نهض بها رجال

مصلحون كبار ومؤسسات وجمعيات على مر التاريخ، ومن المؤكد أن الثورة الإسلامية المباركة العظيمة في إيران تعتبر أكبر خطوة على هذا الطريق اللاحب الطويل.

الثورة الإسلامية رفعت منذ لحظات انطلاقها الأولى شعار وحدة المسلمين في كلّ مكان ودعت جميع المسلمين بشتّى مذاهبهم وألوانهم وقومياتهم إلى التمسك بالإسلام المحمدّي الأصيل، وهذه الدعوة إلى الإسلام هي التي اتّخذت اسم (صدور الثورة) على لسان مفجرها الإمام الراحل الخميني رضوان الله تعالى عليه، وأحاديث الإمام الراحل في هذا المجال كثيرة لامجال لاستعراضها. وسيتلى عليكم بعضها كما تقرؤن على الجدران حولكم هنا في القاعة بعضها الآخر.

وسار الخَلَف على طريق السَلَف، اذ اهتم الإمام الخامنئي قائد الثورة الإسلامية حفظه الله بهذه القضية أشد الاهتمام وواصل طريق مؤسس الجمهورية الإسلامية، ولذلك أشار سماحته فيما أشار إليه في نداء الحج الأخير من مسائل مهمة ـ كما سمعنا جميعا ـ إلى تشكيل المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

هذا المجمع المبارك أُعلن تشكيله قبل حوالي السنة بتوجيه من سماحة قائد الثورة الإسلامية وولي أمر المسلمين، وهاهو يقطع خطواته الأولى على طريق تحقيق مهامه المرسومة.

لا أريد أن أفصّل الحديث في كل أبعاد هذا المجمع بل أكتفي بذكر ما يلي:

١ ـ الأقسام الإدارية لمجمع التقريب.

٢ ـ أهداف مجمع التقريب

٣ ـ المشاريع المنجزة والتي هي في طريق الإنجاز.

١ ـ الأقسام الادارية

أما بشأن الأقسام الإدارية للمجمع فهي بناء على النظام الداخليّ للمجمع تتكّون من:

المجلس الأعلى ، والمجمع العام، والأمين العام والمجموعات العلمية، والمساعدين في الحقول المختلفة.

فالمجلس الأعلى يتكوّن من كبار المفكّرين الاسلاميين، ويختارهم قائد الثورة الإسلامية، وقد تم بالفعل اختيار أربع وعشرين عالما ومفكّرا من أرجاء العالم الإسلامي ومن مختلف المذاهب الإسلامية لعضوية هذا المجلس.

وقد عَقد المجلس الأعلى حتّى الآن اجتماعات باشتراك بعض أعضائه في الداخل والخارج، وسيكون للمجلس اجتماع بجميع اعضائه انشاء الله في الأشهر القادمة، وقد يكون في أسبوع الوحدة أي أيّام ميلاد رسول الإسلام صلى الله عليه و آله وسلّم.

وأمّا المجمع العام فينتخب أعضاؤه ـ حسب النظام الداخلي ـ من قبل المجلس الأعلى ويكون هذا الانتخاب من بين العلماء والمفكّرين من كل أرجاء العالم، ولا محدودية لعدد أعضائه.

أما المجموعات العلمية فتتكون من باحثين ومحقّقين في المذاهب الفقهية والكلامية والطرق العرفانية وفي سائر الفروع العلمية. وقد تشكّلت المجموعة الفقهية وبدأت أعمالها.

والمساعدون في مجمع التقريب هم:

مساعد الشؤون المالية والإدارية.

ومساعد شؤون التحقيق.

ومساعد شؤون الدعوة والإعلام.

ومساعد الشؤون الدولية.

ومساعد الأمور القطريّة.

وقد تمّ بالفعل تعيين بعضهم.

٢ ـ أهداف مجمع التقريب

هـذا المجمع يتّخـذ من تأليف قلوب أتباع المذاهب الإسلامية والتقريب بين وجهـات نظرهم هدفا أساسيا لأعماله. والمراد من المذاهب الإسلامية، المذاهب التي تؤمن بالأصول العقائدية والعملية للإسلام وتلتزم بها عمليا. بحيث يمكن أن تدخل في إطار الأمة الإسلامية. ويُعدّ اتباعها مسلمين.

ولمزيـد من التـوضيح، لابد أن نستعرض باختصار الطرق المتصورة للتقريب كي نفهم الطـريقة الحكيمة التي يتبنـاهـا مجمع التقريب بين المـذاهب الإسـلامية للوصول إلى أهدافها المقدسة.

أولا: التقريب له أبعاده المختلفة: الثقافية والسياسية، والاقتصادية، والمذهبية.

ومعلوم أن التقريب بين المسلمين في كل أبعاده هذه حسن ومطلوب غير أن هدفنـا الـراهن ينحصـر بـالتقريب المـذهبي وسـائـر الأبعـاد تابعة لهـذا البُعد من التقريب.

والتقريب المذهبي أيضا بدوره له أبعاده التي نتبناها بأجمعها وهي:

التقريب في العقيدة

والتقريب في الفقه والشريعة

والتقريب في السلوك الأخلاقي والطريقة العرفانية عند أرباب الطرق والمتصوّفة وللتقريب المذهبي سبل وطرق مختلفة بعضها مقبول وعملي وبعضها مرفوض لايمكن الوصول إليه أبدا والسبل المرفوضة هي:

١ ـ التخلّي عن كلّ المذاهب وتركها والرجوع إلى ما يسمّى بمذهب السّلف وهذا ما تدّعيه السلفية.

٢ ـ الإكتفاء بالمشتركات ورفض كل مسائل الإختلاف، وهذا ما يميل إليه بعض المثقّفين الجُدُد.

٣ ـ إبتكار مذهب جديد وترك كلّ المذاهب الموجودة.

٤ ـ إدغام المذاهب والمساومة عليها وذلك بحذف شيء وأخذ شيء من كل مذهب بحيث تكون الحصيلة صَفْقة مُرضية لأتباع كل المذاهب.

٥ ـ تبنّي مذهب معيّن من بين المذاهب الموجودة وإلغاء سائر المذاهب الأُخرى، وهذه شبهة يطرحها الجاهلون أو المُغرضون لتشويه فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية.

وإبعاد المسلمين عن الالتفات إليها وعن الاهتمام بهذه الفكرة المباركة الميمونة والممارسة على إساءة الظن بها.

هذه كلّها أحلام كاذبة وآراء باطلة نحن نُعلن بصراحة رفضنا لكلّ هذه الصور ـ ونعتبر الإعلان عنها مُثيراً للفتن والنزاعات (وسيزيد في الطنبور نقرة أخرى) وهي ليست بعملية أساساً.

أما السبيل المقبول الوحيد الذي نتبنّاه فهو التأكيد على المشتركات باعتبارها الأصول الأساسية للاسلام وملاك الأخوّة الإسلامية ومعيار وحدة

الأمة.

هـذا مع الاحتفـاظ بالمـذاهب والاحتـرام المتبـادل بينها. وهذا السبيل الذي يتبنـاه المجمع في عملـه التقريبي هو نفسه الذي نهجه المصلحون قبلنا في العالم الإسلامي.

والإمـام الـراحل رضوان اله تعالى عليه وخَلَفه الصالح الإمام الخامنئي حفظه اللـه أكّـدا مـرارا على هـذا المفهـوم لدعـوة التقريب، وأكّـدا أن الإختـلاف في المسـائل الفـرعية والجانبية في إطـار الـدليل والبرهـان أمر مقبول لاضير فيه. ولا مخلص منـه فإنّ لكل ذي رأي رأيه **(ولا يزالـون مختلفين، إلاّ من رحم ربك ولذلك خلقهم)**(هود١١٨ـ١١٩) أي للرحمة أو للإختلاف على الخلاف.[1]

هـذا اللـون من التقريب يحتـاج إلى شرح وبسط لامجال له في هذا الحديث الموجز فنكتفي بالإشارة إلى أهمّ أركانه وأصوله وشروطه:

١ ـ تشخيص المشتـركـات بين المـذاهب المتفق عليهـا في حقـول العقيـدة والفقـه والسلـوك الأخـلاقي والعرفـان العملي. وهذا عمل تخصصيّ يحتاج إلى لجنة علمية من علمـاء المـذاهب الخبـراء لإنجـازه، وقـد تم جـزء منه في مؤتمر الوحدة الإسلامية الذي إنعقد بطهران في العام الماضي(١٤١٠هـق).

٢ ـ المسائل الخلافية لكل مذهب يجب أن تبيّن على يد علماء ذلك المذهب وبـالعـودة إلى المصـادر المعتبـرة عنـدهم ولايجـوز الاستنـاد إلى الإشـاعـات والأقـوال غيـر المستنـدة، أو مـا يُروجّـه أعداء المذهب، أو الاستناد إلى أقوال وأفعـال الجهّـال من أتبـاع كل مذهب، مما يرفضه علماء ذلك المذهب والخُبراء

---

(١) من كلام للإمام كاشف الغطاء رضوان الله عليه.

بحقيقة المذهب وأسراره.

٣ ـ اتخاذ منطوق أقوال أرباب المذاهب ملاكا للحكم عليه، لامستلزمات تلك الأقوال مما يرفضها أصحاب ذلك المذهب، وعلى سبيل المثال: لو قال أئمة مذهب معين: إن الله يرى في الآخرة، لايجب أن تحمل هذه العبارة ما يستلزمها، وهو أنّ الله جسم إذا أنكره هؤلاء الأئمة وقد انكروه بصراحة، وذلك مرفوض طبعا لدى كل أصحاب المذاهب ويعد هذا من جملة الأصول الأساسية للتوحيد وهذه ـ أي اتخاذ منطوق الأقوال دون مستلزماتها ـ مسألة تحتاج إلى مزيد من البحث والتبيين ولها أمثلة كثيرة في سائر المذاهب لامجال لنا للتعرض لها.

٤ ـ عدم جعل المسائل الخلافية الفرعية في نفس درجة أهمّية المسائل الأصولية، مما يؤدّي إلى سيطرة الفروع على الأصول، أو ضياع الأصول في زحمة الاختلافات الفرعية.

٥ ـ النظر إلى المسائل الخلافية من منظار التقريب والسعي لإيجاد طرق وفاق بينها والابتعاد عن إثارة اختلافات جديدة، إذ إنّ كثيرا من مسائل الخلاف ناتجة عن عدم تشخيص محل النزاع وناشئة أحيانا من التعصب الطائفي غير القائم على الدليل والبرهان.

٦ ـ يجب الالتزام في المناقشة والبحث بالدليل والبرهان كما يجب مراعاة جانب الإنصاف وآداب الجدال بالتي هي أحسن، ويجب الإيمان بأن الحقيقة أسمى من النزعات الطائفية الضيّقة.

٧ ـ عدم المسارعة في الحكم على أهل القبلة وكل من التزم بالأصول الإسلامية المتفق عليها بالكفر والشرك والاجتناب جدّا عن تشكيل محكمة لقسمة الجنة والنار بين المسلمين، فإن الله هو الحاكم العدل **«وإن ربك ليحكم بينهم**

يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون»(النحل-١٢٤).

٨ - السعي لفتح باب الاجتهاد في كل المذاهب الإسلامية وفي كل أبعاد الأصول والفروع، في إطار الدليل العلمي والبحث الحرّ العميق. وإلى التفقّه في الدين من جديد كما قال تعالى: **«فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقّهوا في الدين»**(التوبة-١٢٢) وهذا من الأصول الاساسية المنصوص عليها في منهج المجمع العالمي للتقريب.

وفي اعتقادنا أن المحاور السابقة تستطيع أن تضع الخط الفاصل بين الإختلاف العلمي المتين المعقول وبين النزاع والتفرقة المحظورين في القرآن الكريم. عندئذ نستطيع أن نفهم أن الإختلاف في الرأي بالمفهوم المذكور لاينطوي على أي ضرر بل قد يحمل المنافع والفوائد، وليس بشرّ بل هو خير، كما روي عن النبي صلى الله عليه و آله وسلم: «اختلاف امتي رحمة»، ومن خلال هذه الاختلافات العلمية قد اتّسع نطاق البحث العلمي بين المفكرين في الماضي وانتعشت الحياة العلمية بين المسلمين، وانكشفت أسرار هذا الدين القويم. كما اتّسعت من خلالها الثقافة الإسلامية بجميع أبعادها. ونحن نأمل أن ينهج علماء الإسلام الخبراء والمفكرّون العظام من كل المذاهب هذا السبيل البنّاء، فهو ينطوي على الخير الكثير لكل المذاهب على السواء. وبه أمرنا ربنا تعالى في كتابه الحكيم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

«وبشّر عبادِ الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب»(الزمر:١٧-١٨).

٣ ـ الاعمال المَنجَزة:

وبشأن الأعمال المُنجَزة لمجمع التقريب أو التي هي قيدالإنجاز حتّى الآن فكما يلي:

١ ـ تدوين النظام الداخلي للمجمع، ورسم أهدافه، ومنهجه وتدوين النظام الداخلي لكلية فقه المذاهب الإسلامية، وللمجالس المختلفة للمجمع، ولمركز البحوث الفقهية.

٢ ـ إعداد شعار المجمع ويتضمّن صورة بيت الله الحرام فوق رسم للكرة الأرضية كما يتضمّن كتابا مفتوحا أمام الناظرين يمكن أن نتصوره القرآن، وحول الكعبة مكتوب **(واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرّقوا)**(آل عمران ـ ١٠٣).

٣ ـ تشكيل مجمع للبحوث الفقهية لتدريب الباحثين في فقه المذاهب الإسلامية على ضوء الدليل.

٤ ـ تشكيل مجلس الشؤون الدولية لدراسة المسائل المختلفة المرتبطة بالعالم الإسلامي.

٥ ـ تشكيل مجلس داخلي للارتباط بأهل السنّة داخل إيران.

٦ ـ إعداد المقدّمات اللازمة لإصدار مجلة باسم (رسالة التقريب) باللغة العربية وستكون بعون الله منبراً لنشر آراء المفكرين الكبار من عامة المذاهب والذين اعتنقوا فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية.(١)

٧ ـ إعادة طباعة مجلة «رسالة الإسلام» وهي نشرة دار التقريب في القاهرة وتضم دراسات جيدة لعلماء المسلمين والسلف الصالح من الجيل السابق من

(١) منذ كتابة هذه المقالة إلى الآن صدر من المجلة ٢٣ عدداً، والحمد لله.

مختلف المذاهب بشأن مسألة التقريب وبكثير من المسائل الهامّة الّتي ينتفع بها الجيل الحاضر كما تضم تجربة حيّة لابد من اتخاذها كبدء لسلوكنا وبرنامج لعملنا.

٨ ـ تأسيس بنك معلومات لتجميع المعلومات اللازمة بالمذاهب الإسلامية وأتباعها وكتبها وكل ما يرتبط بها.

٩ ـ إجراء مقابلات عديدة مع المجلاّت والصّحف باللّغات المختلفة بشأن مجمع التقريب وأهدافه.

١٠ ـ التمهيد لتأسيس كلية فقه المذاهب الإسلامية الدولية لأتباع كل مذهب إسلامي له فقه مدوّن.

تلك عشرة كاملة نسأل اللّه تحقيق الآمال والتوفيق لإنجاز الأعمال.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين والسّلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحج

والتقريب بين المذاهب الإسلامية

محاضرة القيت

في ندوة الحج الرابعة المنعقدة بمكة المكرمة

ذو الحجة ١٤١٤هـ ق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وخير الخلائق أجمعين، رسول الوحدة وقائد الأمّة ورائد البشريّة سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين.

إخواني الأعزّاء السادة العلماء، السلام عليكم ورحمة الله. لقد لبّيتم دعوة ربكم إلى حج بيت الله الحرام، أول بيت وُضع للناس ببكة مباركا، لتشهدوا منافع لكم، ولتقوموا بواجبكم أمام الله و أمام الناس، فقد جعل الله الكعبة قياما للناس، و مأوى أفئدتهم، وجعل هذا البلد آمنا لمن دخله، سواء العاكف فيه والباد. وجعل الحج اعتصاما بحبل الله و دستورا لوحدة المسلمين كما قال تعالى: **«وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون»** (الأنبياء:٩٢) أو **«وأنا ربكم فاتّقون»** (المؤمنون: ٥٢) كما اعتبر مناسك الحج من شعائر الله فقال: **«إن الصفا والمروة من شعائر الله»** (البقرة :١٥٨) وقال: **«والبدن جعلناها لكم من شعائر الله»**(الحج:٣٦).

أيها الإخوة لما كان الحج رمزاً للوحدة، وجُعِلت الكعبة قياما للناس وقبلة للأنام «فالمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية» إتخذ من الكعبة مَعْلماً لنفسه ومن الحج مِنبرا ومَغْفِلا لدعوته، عسى أن يجمع الله شمل الأمة ويؤلّف بين قلوبهم، ويقرّب بين مذاهبهم، ويوحّد كلمتهم وتقوّى صفوفهم أمام الأعداء **«يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص»**(الصف:٤) ولتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى وفاءً وتصديقاً بقوله تعالى: **«ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا»**(النساء:١٤١) وبقوله عليه السلام: **الإسلام يعلو ولايعلى عليه.**

أيها السادة: الكلام طويل حول هذا المجمع، وأهدافه، وأعماله، وما أنجزه طوال الأعوام الثلاثة التي عاشها وماهو بصدد إنجازه بمشيئة الله في المستقبل القريب أو البعيد. والحديث ذو شجون، والفرصة لاتسنح لشرحها وحسبي أن أقول بوجه موجز: إن المجمع أقام لحد الآن ثلاثة مؤتمرات عالمية في طهران، مقرّه الأصلي، كما عقد ثلاث ندوات دولية أيام الحج بمكة المكرمة، وهاهي الندوة الرابعة للحج والتقريب نقيمها في جوار البيت الحرام بمشاركة هذا الجمع الغفير من العلماء والمفكّرين من أبناء الاسلام، ومن شتّى الأقطار.

ولقد تمّت من قبل هذا المجمع أعمال وجهود، وجرت بين القائمين به وبين إخوانهم في أطراف المعمورة إتصالات وبحوث ومحاورات حول مهمّة الوحدة والتقريب، وقد اتّخذت قرارات هامة سواء في تلك المؤتمرات أو في ندوات شارك فيها المجمع تلبية لنداء الإخوان في سائر البلاد. دعما لخطّته الموحّدة وإرساءً لقواعدها فجاءت آثارها نافعة، وثمارها بحمد الله طيبة.

ولعل من أهم ما أنجزه المجمع وخير ما قام به تقديم مجلتين باللغة العربية

إلى العالم الإسلامي:

إحديهما مجلة «رسالة الاسلام» التي كانت(دار التقريب بين المذاهب الإسلامية) تُنشرها بالقاهرة، تجديداً لطبعها كاملة في خمسة عشرة مجلداً، تحوي ستيّن عددا وهي كل ماصدر من هذه المجلة.

والثانية مجلة رسالة التقريب الفصلية، والتي صدر منها لحد الآن ثلاثة أعداد والعدد الرابع في طريق النشر. وهاتان المجلتان تحملان في طِيّاتهما أبحاثا قيّمة وآراء جيّدة لجماعة من أعلام المفكّرين في العالم الإسلامي قديما وحديثا، وهم من مختلف المذاهب الإسلامية، همّهم همّ واحد فكتبوا هادفين علاج مشكلة اختلاف المذاهب ومهتمّين بإزالة ما رسخ في القلوب ـ مع الأسف الشديد ـ طيلة الأيام الماضية من العداوة والبغضاء، وبنسيان ما جرى بين المسلمين من المشاجرات والحروب والفتن حول العقيدة أو الشريعة» فقد شتّت شملهم، واختلفت بها كلمتهم ففشلوا أمام الأعداء، خلافا وعصيانا لقول ربهم: «وأطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم» (الأنفال:٤٦).

وكان كل واحد من هؤلاء المفكّرين عالج المشكلة بطريقة حكيمة رآها صالحة ووافية بهذه المهمّة، وذلك كله مع صدق النية وإخلاص الطويّة، فهم قد أدوّا واجبهم، وبقي علينا وعليكم أيها السادة أن نحذو حذوهم ونقتدي بهداهم وننظر إلى مهمة التقريب والوحدة الإسلامية كفريضة حتميّة إلهيّة، فنتّخذ من هؤلاء العظماء أسوة لنا ما دمنا أحياء، ثم نوصي بها الأبناء ليسيروا عليها بعدنا إلى أبد الآباد.

وتكفيني هنا الإشارة إلى أسباب ثلاثة للتقريب بين المذاهب كأساس وعماد لغيرها من الطرق والأسباب.

الأول ـ أن نُعلن على رؤوس الأشهاد بأن هذا المجمع كأخته (دار التقريب) حسب ما توحي إليه عناوينهما ليس بصدد إدغام المذاهب، ولا حصرها في واحد، ولا أن يقوم بالدعاية للمذاهب السنية أو للمذاهب الشيعية ـ كما يُحبّ خصوم الوحدة وحُماة الفُرقة أن يتّهمنا به ـ فنحن لانريد شيئا من هذا أو ذاك، بل منتهى أمانينا هو التقريب بين المذاهب. وذلك بالسعي البليغ وتوجيه الهمّة إلى أن يعرف أتباع المذاهب وأربابها بعضهم البعض ويفهموا جميعاً المذاهب كما هي محقّقة في واقع الأمر، لا كما قيل عنها وهماً وافتراء. ثم إزالة الشكوك حولها، ودفع التهم عنها، ثم تطهير النفوس من تلك الأحقاد والخصومات التي فرضها الجهل بحقيقة المذاهب على النفوس، وغذّتها السياسات المهيمنة على الأقطار الإسلامية، ومن ورائها وعّاظ السلاطين دعماً لتلك السياسات وطمعاً في شيء من حطام الدنيا من مال وجاه ومنصب ومقام.

هذا ما نُعلنه، ونُناشد أئمة المذاهب وأعلامها أن يشرحوا مذاهبهم للآخرين، ثم لايسمعوا ولايقبلوا عن سائر المذاهب شيئا إلاّ ما يجري على لسان خبرائها المخلصين وعلمائها البارزين وما يجري بأقلامهم.

الثاني ـ سنصل من خلال البحث والتنقيب عن المذاهب إلي نتيجة صريحة قطعية: هي أن لاخلاف بين المذاهب المعروفة في الإسلام ـ ولله الحمد ـ في المبادىء والأصول التي لايكون المسلم مسلماً إلاّ بالالتزام بها عقيدة وشريعة. فكلّهم متّفقون على تلك الأصول. وإنما الخلاف في المسائل الجانبية والفرعية ناجمٌ عن اختلاف وجهات النظر في اجتهاد المجتهدين فكل واحد منهم اعتمد على دليل غير ما اعتمد عليه الآخر أو فهم من آية أو رواية فهماً خاطئاً أو صائباً غير ما فهمه الآخر.

ومثل هـذا الخـلاف يوجدبكثير ما بين أبناء مذهب واحد فما ظنّك بمذاهب شتّى بل لامفـر عن الخـلاف فيمـا لم يثبت فيـه نص صريح مقبـول عند الجميع، مادام الاجتهاد جائزا لمن له الأهلية.

الثـالث ـ الاهتمام البالغ والسعي الدؤوب لفتح باب الاجتهاد بمصراعيه عند جميع المـذاهب الإسـلامية على أسـاس المقـارنة بين الآراء، وبين الحجج التي تمسّكـوا بهـا على ضـوء الكتـاب والسنة والأسس القطعية المتسـالم عليهـا عند الجميع.

ونحن نعتقـد اعتقـادا جازمـا بـأن ممـارسة هـذه الأسبـاب الثلاثة لو لم ترفع الخـلاف في بعض المسائل بتاتا فسوف تُخفِفّ من ضوضاء النزاع، وتُوصِلنا إلى طور من الاحترام المتقابل بين أئمة المذاهب، ثم بين الأتباع بإذن الله. فإذا انتهت جهـودنـا إلى مثل هـذا التفـاهم والاحترام المتقابل فنهاية المطاف هي إستئناس الأخـوة الإسـلامية وظهـور الثقة المتبـادلة بيننـا، ثم التعـاون الجماعي في سبيل الإســلام والمسلمين، لكي يستعيـدوا مـا سُلِب منهم من طاقـات مـاديّة وثقـافيّة وسيـاسيّة فينـالـوا مجـدهم المنشـود بإذن الله تعالى. وهذا ما نتمناه ونستبشر به أليس الصبح بقريب؟

وهنـا أنتهـز هذه الفرصة السـعيدة لأُبشّركم بصفتي أميناً عاماً للمجمع العالمي للتقريب بين المـذاهب الإسـلامية بأن هذا المجمع سيبادر في القريب العاجل إن شاء الله بإنشاء جامعة المذاهب الإسلامية للقيام بهذا الواجب[1]

وختامـا أقدّم الشكر إليكم أيها السادة لحضوركم في هذه الندوة الكريمة على هذه الأرض المباركة. والسلام عليكم ورحمة الله.

---

(١) هـذه الجامعة بدأت أعماله قبل ست سنوات في ثلاثة كليات: كلية فقه المذاهب الإسلامية، كلية علم الكلام والعرفان، كلية علوم القرآن والحديث – والحمد لله.

الحـــج

والتقريب بين المذاهب الإسلامية

في الأحاديث

وهو تلخيص مقال «الحج في السنّة»

خطاب ألقاه الأمين العام

في ندوة الحج الثالثة المنعقدة بمكة المكرّمة

ذو الحجة ١٤١٣هـ‌ق

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحج والعمرة في اللغة يعنيان القصد والذهاب إلى مكان معين للزيارة، غير أن العرب أطلقت اللفظين - حتى قبل الإسلام - على نوعين من العبادة والزيارة لبيت الكعبة، والقرآن استعمل اللفظين كراراً بهذا المعنى الشائع كقوله تعالى: **«وأتموا الحج والعمرة لله»** (البقرة:١٩٦) من هنا فإن المعنى الشائع لهذين اللفظين ليس «حقيقة شرعية» ولا هو اصطلاح شرعي إسلامي كما تصوّر البعض ذلك. وسورة من القرآن تحمل اسم (الحج).

ويطلق أحيانا على الحج اسم «الحج الأكبر» وعلى العمرة اسم «الحج الاصغر» أخذا من قوله تعالى **«وأذانٌ من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الاكبر»** (التوبة:٣) مع أن هذا اليوم موضع اختلاف بين أن يكون يوم عرفة أو يوم النحر.

وقد توافرت الروايات عن طريق الفريقين أن الحج من دعائم الإسلام وأنه

واحـد من الأسس الخمسة التي بُني عليهـا الإسـلام: وهي الشهادتـان، والصلاة، والـزكـاة، والصـوم والحج وفي روايات الشيعة ذكر اسم «ولاية أهل البيت» مكان الشهـادتين في آخر الأسس الخمسة. إحدى الروايات النبوّية تصف كل واحد من أركـان الدين بـوصف معيّن فتصف الصـوم بأنه جُنّة من النار والزكاة بأنها مطهرةً للأمـوال، والجهـاد بأنه عِزّ الإسلام، وتصف الحجّ بأنه الشريعة، دلالةً على أهميّة هذه العبادة حتى كأنها الشريعة بأجمعها.

أهمية فريضة الحج في الإسـلام تبلغ درجة بحيث أن تركهـا في لسـان القرآن كفر: **«ومن كفر فإن الله غنّي عن العالمين»**(آل عمران:٩٧) ويذكر القرآن الحج بشكل منفصل إلى جانب مـواقيت سائـر الأعمـال والعبادات ويقول: **«يسألونك عن الأهلّة قل هي مواقيت للناس والحج»**(البقرة:١٨٩).

ويمكن دراسة الحج على صعيد القرآن والسنّة والفقه وفي عمل المسلمين إلاّ أن البحث في هذا المقال يركّز على صعيد السنّة.

ماهي السنّة؟

السنّة في اللغة الطريقة والأسلوب وفي عرف المسلمين سنة رسـول الله ويُعبّر عنهـا وعن القرآن باعتبارهما مصدرين أساسيين للشريعة: «الكتاب والسنّة» وبهذا ورد على لسـان الرسـول الأعظم وشاع في عصره، إلاّ أن حديث الثقلين في أكثر مصـادر أهل السنة والشيعة ورد بعبـارة «كتـاب اللّـه وعترتي» وفي بعض مصادر أهل السنة «كتـاب اللـه وسنتي» وإلى هـذا اللفظ الأخيـر استنـدوا في كتاباتهم ويكـرّرون: «الكتـاب والسنة» بينما تمسّك الشيعة بعبارة «كتاب الله وعترتي» التي بلغت حد التواتر في كثرة رواتها كما جاءت في مصادر كثيرة حتى قيل إنّه منقول

عن أربعة وثلاثين صحابيًا وصحابيّة (جامع الأحاديث ج ١ ص ٢٢ فما بعدها).

غير أن تعبير «الكتاب والسنة» شائع على لسان علماء الفريقين من غير تفاوت كمصدرين أساسيين للشريعة. وفي كتاب الكافي للكليني(م٣٢٩) «باب الردّ إلى الكتاب والسنة» و«باب الأخذ بالسنّة وشواهد الكتاب» وثمة روايات عن الصادقين: **«ما من شيء إلاّ وفيه كتاب أو سنة»** جميع الفرق الإسلامية تؤمن بأن الكتاب والسنة مصدران أساسيّان للفقه وإن اختلفت في أصول الفقه الأخرى كما اختلفت في مصاديق السنّة.

والسنّة باعتبارها طريقة الرسول وسيرته العملية تشمل كل حياة الرسول بعد النبوة، وقد قُسّمت فيما بعد إلى القول والفعل والتقرير كما هو المعروف، وقد اهتمّ المسلمون عامة بالسنة، وبين أيدينا اليوم كنوز قيّمة ومجاميع واسعة في سنة الرسول والتي هي حصيلة الجهد العلمي لعلماء المذاهب الإسلامية كلّها وقد وُضعت لها علوم ومعايير في جرحها وتعديلها وشروط العمل بها.

كلمة «السنّة» كان أولاً يطلق على سنّة رسول الله ثمّ اتسعت فيما بعد حتى شملت عند أهل السنة قول الصحابة لملازمتهم للرسول وعند الشيعة وأتباع مدرسة أهل البيت أقوال وأفعال الأئمة من آل البيت استنادا إلى حديث الثقلين وإلى أدلة أخرى.

فالسنّة تطلق فعلا على الأحاديث والروايات المروية عن الرسول أو الصحابة أو الأئمة من آل البيت، ونحن نقصد بالسنّة في بحثنا هذا المعنى العام ونستهدف تقديم صور عن أعمال الحج ومناسكه في روايات المسلمين جميعاً بما فيه آثار أهل السنّة والشيعة الإمامية والزيدية والإسماعيلية مع الإشارة إلى عدد ما يوجد من الأحاديث عند كل فريق في خصوص مناسك الحج، قصداً إلى نوع من

التقريب بهذه المقارنة.

جولة في أحاديث الحج:

الرجوع إلى جميع المصادر الحديثية الموثّقة عند أرباب المذاهب الإسلامية ليس بالأمر اليسير فلابدّ من الاقتصار على أهم الكتب المعتبرة عندهم، فمن كتب أهل السنة نرجع إلى الصحاح الستة اضافة إلى السنن الكبرى للبيهقي وسنن الدارمي وطبقات إبن سعد وموطّأ مالك وتاريخ الطبري وسيرة ابن هشام.

ومن كتب الإمامية الكتب الأربعة ووسائل الشيعة وبحار الأنوار والوافي للفيض الكاشاني، ومن كتب الزيدية (مسند الإمام زيد بن علي) ومن الإسماعيلية (دعائم الإسلام) للقاضي النعمان وقد راجعنا عند الضرورة إلى كتب أخرى.

والموضوعات العامّة للحج في هذه الكتب تنقسم أوّلا إلى موضوعات غير فقهيّة كالتي وردت بشأن الكعبة ومكة ودحو الأرض وبناء الكعبة وما يرتبط بالحجر الأسود وبإبراهيم وإسماعيل، ويحكي عن علاقة الحجّ بهما، وهذا النوع قلّما يوجد في كتب السنن الخاصة بالأحكام مثل وسائل الشيعة عندنا وكتب السنن عند أهل السنة.

ثانياً ما يرتبط بمقدّمات الحج كآداب السفر وآداب زيارة النبي أو الائمة وبعض المواضع المقدسة في المدينة.

ثالثاً: أحكام الحج ومناسكه وهي التي سنركّز عليها (معرضين عن القسمين الأولين لعدم دخلهما بصميم الموضوع).

رابعاً روايات تفسير آيات الحج وهي موزّعة على موضوعات مناسك الحج وليست شيئا مستقلا عنها.

والتي ترتبط بمناسك الحج في كتب أهل السنة أكثرها تتضمّن أقوال وأعمال الرسول في حجّة الوداع، وقليل منها يرتبط بعمرة الحُديبية وعمرة القضاء وفتح مكة، أو بشكل عام يرتبط باعمال الحج دون ذكر الزمان والمكان.

أما كتب الإمامية ففي بعضها مثل الكافي والوافي وبحار الانوار باب بعنوان «حج رسول الله» شارحاً حجة الوداع إلاّ أن أكثرها تتضمّن أقوال وفتاوى أئمة آل البيت وآرائهم الخاصة في موارد الإختلاف؛ مثل عمرة التمتّع وطواف النساء ونحوها.

فهذه هي النقاط المشتركة بين كتب الحديث بشأن الحج على نطاق المذاهب الإسلامية، وإليكم تفصيل ما يرتبط بأحاديث كل مذهب ونبدأ بأحاديث أهل السنّة الذين هم جمهور المسلمين.

روايات الحج في كتب أهل السنّة ورواتها:

أحاديث الحج والعمرة حسب النظر التقريبي في كتب الجمهور، نُقلت عن ما يقارب من خمسة ومائة صحابي، وتتضمن غالبا مشاهدات الرواة ومسموعاتهم في حجة الوداع وقد أوردنا عدد حديث كل واحد في أصل هذا المقال «الحج في السنّة» وبين هؤلاء أربعة ممن اشتركوا بالتأكيد في حجّة الوداع فرووا ما شاهدوه فيها و رووا أحكام الحج بشكل عام وهم:

الأوّل ـ عبد الله بن عباس روى ما يقارب من ٤٥ حديثاً.

الثاني ـ عائشة ام المؤمنين روت ما يقارب من ٤٢ حديثاً.

الثالث ـ عبد الله بن عمر روى ما يقارب من ٣٢ حديثاً.

الرابع ـ جابر بن عبدالله الأنصاري روى ما يقارب من ٢٢ حديثاً.

هـذه النتيجة التي توصلنـا إليهـا بعـد الفحص وجدناهـا بعد ذلك عند الإمام الشـافعي اذ يقـول: «لهـؤلاء الأربعة ميـزة في حجة الـوداع» إضـافة على هـؤلاء الأربعة رُوي عن أنس بن مالك خادم الرسول ما يقارب من أربعة عشرة حديثا.

وعن عليّ عليه السلام (في كتب أهل السنة) نفس هذا العدد إضافة عما رُوي عنه في كتب الإمامية وغيرهم من فرق الشيعة.

ومع أنّنـا فَهَـرسنـا روايـات الحج في كتب أهل السنة المشـار إليهـا سابقـا ـ ومعلـوم أن فيهـا مكـررات ـ راجعنـا كتاب (التّاج الجامع للأصول من أحاديث الرسول) الذي ادغم مكررات خمسة من الصحاح السّتة، ثمّ أضفنا إليها ما وجدناه في غيـر هذا الكتاب ومع ذلك لانّدّعي أن إحصائنا يطابق الواقع تماما لكنه يقرب منه حتما.

أمـا هـؤلاء الأربعة فابن عباس ابن عم النبي كان شابا لم يبلغ الحلم في حجة الـوداع ومع أن القسم الأعظم من رواياتـه في حجّة الـوداع مستند إلى مشاهداته ومسمـوعاتـه رأسا، إلاّ أن قسما آخر منها رواه عن فضل بن عباس وعبيد الله بن عباس شقيقيه الأكبر وعن آخرين.

وأمـا عائشة زوجة النبي صحبت الرسول في هذا السفر وروت حكاية حيضها في بـداية السفر وكيفية عمرتها مع أخيها عبدالرحمن وأمور أخرى، لكن رواياتها في كيفية إحـرام الرسول فيها اختلافات حَيّرت المحدّثين، ونحن نطمئن أن فيها تحريف يرتبط بمسألة عمرة التمتع.

أمـا عبـدالله بن عمـر فكـان في حجة الـوداع شابّـا واستنـد في رواياته إلى مشاهـداتـه كثيـرا لكن موقفه عن عمرة التمتع غير واضح لنا. وأما جابر فكان أيضا شابـا يـوم ذاك، وكان له اتصال بآل البيت واستمر ولائه لهم إلى آخر أيام حياته،

وهي سنة ٧٨هـ ويختص جابر بأنه تابع كل أعمال النبي في حجة الوداع ونقله عنه تماما الإمام محمد بن عليّ الباقر حيث اتصل به في أيام شبابه ـ وجابر شيخ كبير ـ وسئله عن حجة الوداع، ورواها عنه ابنه الإمام الصادق عليهما السلام وقد وردت في كتب الحديث بطرق عديدة إلى الإمام الصادق تعرّضنا لها في أصل المقال وقد اعتمدنا وركّزنا على حديثه وقسنا بينها وبين حديث معاوية ابن عمّار المرويّة عَن الصادق أيضاً في الكافي للكليني في شرح حجة الوداع، وذكرنا مواقع الإختلاف بين الحديثين وبحثنا عن وحدتهما أو تعددهما بما لامجال هنا للبحث عنه.

هذا ملخّص الكلام عن أحاديث الحج في كتب أهل السنّة، وعرفنا أن حديث حجة الوداع المرويّ عن طريق إمامين من أهل البيت عليهم السلام يقع في الصدر، وأنه محور مسائل الحجّ عند أهل السنة، ولعل ما نُقل عن الإمام أبي حنيفة أنه قال: «لولا جعفر بن محمد ما عرف الناس مناسك حجهم» مستند إلى هذه الحقيقة. وهذا الحديث، أي حجة الوداع ـ وقد أوردنا أسانيده تفصيلا في أصل المقال ـ رواه أصحاب الصحاح والسنن تماما أو مقطعا، سوى الإمام البخاري حيث سكت عنه رأسا، والإمام النسائي قطّعه إلى أجزاء كثيرة بحسب أبواب كتاب الحجّ، والإمام أحمد بن حنبل اكتفى بنقل صدر منه.

ومن الجدير بالذكر أن أستاذنا آية الله البروجردي أهدى هذا الحديث نقلا عن سنن الترمذي إلى الملك سعود الذي زار إيران في حياته وأرسل إلى الأستاذ هدايا لم يقبلها سوى قطعة من ستار الكعبة، وكأنه رحمه الله أراد أن يُفهم الملك أن أهم حديث في الحجّ عندهم مرويّ عن إمامين من آل البيت ويمكن أن يُوَحّد صفوف المسلمين في الحج ويرفع الخلاف بينهم حتى في مسألة عمرة

التمتع التي صرح هذا الحديث بوجوبها لغير أهل الحرم من دون تخيير بينها وبين إفراد الحج كما أصرّ عليه الخليفة الثاني، وعلى الرغم من مخالفة بعض الصحابة له صار رأيه شائعا بين مذاهب السنة سوى مذهب أحمد، كما نصّ عليه العالم السلفي المشهور الشيخ ناصر الدين الألباني في رسالته حول حجة الوداع مُخطِئاً رأي الخليفة ومن تبعه، مشيرا إلى سبب خطأه في اجتهاده، وهذه المسألة إحدى الفوارق المهمّة بين الإمامية ومذاهب أهل السنة في مجال الحج.

روايات الشيعة الإمامية في الحج وسائر فرق الشيعة

أما روايات الزيدية المرويّة في مسند زيد بن عليّ المعبّر عنه أحيانا (بالمجموع الفقهي) فلا تتجاوز (٧٠) رواية وهذا الكتاب سنده ينتهي إلى أبي خالد الوسطي من أصحاب زيد، والحديث حول اعتبار هذا الكتاب طويل فصّلناه في أصل المقال.

أما روايات الشيعة الإسماعيلية المنتسبين إلى إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام المجموعة في كتاب (دعائم الإسلام) للقاضي النعمان المعروف بأبي حنيفة الشيعي المتوفي عام ٣٦٣ ـ وكان هذا الرجل عماد فقه الإسماعيلية ـ وكلها مروية عن الإمام الصادق ومَن قبله من أئمة آل البيت، ولنا كلام حول هذه الروايات وهل أنها مأخوذة من روايات الشيعة الإمامية أو غير مأخوذة عنها. وعلى كلّ حال فكتاب الحجّ من (دعائم الإسلام) ورد فيه ٣٩٤ حديثا ليس بينها وبين روايات الإمامية أيّ تفاوت حتّى في مسألة عمرة التمتّع، وفيه مقاطع من حديث حجة الوداع مطابقا لما رووه الإمامية.

وأما الشيعة الإمامية فنحن أخذنا كتاب الكافي معيارا لحديثهم في الحج وفيه

١٤٨٥ حديثـا ـ ولـو انضمّ إليها غيرها تبلغ حوالي ألفين حديث ـ وأكثرها مروية عن الإمـام الصادق بما فيه حديث حجة رسول الله المذكور في باب خاص وهذا الحديث رواه معـاوية بن عمّـار من أصحـاب الإمـام الصـادق الذي روى عنه في الكـافي ١٥ حديثـاً في مجـال الحج، وقد عملنا مقارنة بينه وبين حديث جابر كما عرضنـا شيئـا من تـرجمة حيـاة جابـر ومـا قيل في طول عمره وموضعه في كتب الفريقين، كمـا تعـرّضنـا لحديث جابر في مصادر الشيعة تأييداً لاتحاده مع حديث معاوية بن عمار. والحمد لله رب العالمين. والسلام عليكم ورحمة الله.

القسم الرابع :
السلام في الإسلام

١ - الإسلام هو السلام .

٢ - الإسلام والأقوام والملل .

الإسلام هو السلام

بحث مقدّم إلىٰ ملتقى السلام لرجال الأديان

المنعقد بالسودان،

مع كلمة الأمين العام للمجمع في المؤتمر

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمـــة الأستاذ محمـد واعـظ زاده الخراسـاني
رئيس الوفد الايراني في إفتتاح المؤتمر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى عباد الله الصالحين.

أيها الإخوة والأخوات حضرات السادة الكرام، رجال الأديان، السلام عليكم ورحمة الله:

أرحب بكم باسمي وباسم وفد الجمهورية الإسلامية كما أرحب بالسودان الحبيب رئيسا وحكومة وشعبا وشيوخاً وقادة وأشكر القائمين على عقد هذا المؤتمر العظيم.

أرجو تمام النجاح والتوفيق الكامل لمؤتمركم هذا في تبيين سلام عالمي عادل وشامل للإنسانية، على السواء.

الإنسان ـ كما يقولون ـ من الأنس خلق للاستئناف والوحدة والألفة لا للاستيحاش والعداوة والفرقة، خلق لأن يكون خليفة الله في الأرض ولينجز ويحقق إرادة الله هذا العالم وإرادة الله كلها خير وبركة وسلام، خلق لينشر رياح المحبة، تباشير الرحمة بين أبناء نوعه على بسيط الارض.

الإسلام يقول ان الناس سواسية كأسنان المشط خلقوا من أب وأم ولا فضل لأحد على أحد إلاّ بالتقوى:

قال تعالى: **يا أيّها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا** ـ أي لا لتتناكروا ـ **إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم.**

الإسلام دين السلم والسلام ـ وهو جوهر كل دين الهي ـ هذا الدين يدعو أبنائه بل كل الإلهيين إلىٰ توحيد الله تبارك وتعالى والى توحيد الصفوف ليقفوا صفاً واحداً كالبنيان المرصوص أمام غلواء المستكبرين ودفاعا عن المستضعفين.

ونبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلّم كان دائما إلىٰ جانب المستضعفين وضد المستكبرين وقد اشترك قبل النبوة في حلف وحفل إنعقد للدفاع عن المظلومين ثم كان يقول بعد النبوة لو دعيت إلىٰ مثلها لاجبت.

أنبياء الله والقادة الروحيون كلهم كانوا سلما للمظلومين والمحرومين حربا على الظالمين والمترفين.

والثورة الإسلامية في إيران كما تعرفون ـ كانت انفجاراً ضد الظلم والعدوان والطغيان، والإمام الخميني ـ رحمه الله مفجر الثورة كان إمام المستضعفين ولا يزال خطه مستمراً وخلفه الصالح الإمام الخامنئي حفظه الله قائم بنفس المسؤولية.

وانطلاقاً من ذلك، الوفد الايراني يقترح على الملتقى أن يبحث عن مفهوم سلام عادل وشامل ينتهي إلىٰ نجاة الشعوب المستضعفة سياسيا واقتصاديا وثقافيا وإلى

استخلاصهم عن الأغلال التي فرضتها عليهم يد الاستعمار والاستكبار ووضعتها على عواتقهم، ومن أغلال الجهل والفقر والحرمان. نسأل الله تعالى تحقيق الآمال والسلام عليكم.

الإسلام هو السلام

الإسلام هو إسم الدين الذي جاء به محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام وأتباعه هم المسلمون.. وباقي الاديان ليس لها إسم خاص بل أن أساميها متخذة من إسم أصحابها الذين جاءوا بها مثل المسيحية واليهودية أو الكليمية والبوذية والكونفوشية والزرادشتية.. أما الإسلام فلم يتخذ لنفسه ابداً إسم «المحمدية» إذ أن هذا الدين قد تسمّى بما يُعرّف هويته وهو «الإسلام».

الإسلام بالمفهوم اللغوي هو السلام والسلامة. وهو التعري من الآفات الظاهرة والباطنة، السلام، والسلم، والسُّلَّم: الصلح، والسلام ضد الحرب والسُّلَّم ما يتوصّل به الى المكان العالي حيث تُرجى السلامة..[1]

مادة السلام تكررت في القرآن مائة وسبعا وثلاثين مرة بألفاظ ومعان مختلفة تعود كلّها إلىٰ السلامة.

وردت كلمة الإسلام بمعنى حقيقة الإسلام وهو حقيقة دين الله:

(إنّ الدين عند الله الإسلام)«آل عمران ١٩».

١- المفردات، للراغب، بتلخيص.

(ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه)«آل عمران ٨٥».

(ورضيت لكم الإسلام دينا)«المائدة ٣».

حقيقة الإسلام هي التسليم لله سبحانه وللدعوة الإسلامية وهكذا الانصياع تحت لواء الدولة الإسلامية.

الإسلام على قسمين:

الأول ـ ظاهري وهو دون الايمان. والثاني باطني وهو فوق الايمان.

الإسلام الظاهري، هو الاعتراف باللسان حصل معه الاعتقاد أم لم يحصل وبه يعتبر الرجل مسلماً وتشمله أحكام الإسلام، قال الله تعالى: (قالت الأعراب آمنّا، قل لم تؤمنوا، ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم) «الحجرات ١٤».

والإسلام الباطني: هو الاعتقاد بالقلب والوفاء بالفعل والاستسلام لله، في جميع ما قضى وقدّر كما ذكر الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام بقوله تعالى: (إذ قال له ربّه أسلم، قال: أسلمت لربّ العالمين) «البقرة ١٢١».

الإسلام بمعنى التسليم المطلق وردكرارا في القرآن الكريم عند حديثه عن الأنبياء والمؤمنين الصادقين، التسليم لله ينطوي على السلام والسلامة للناس. ولا يصدر من المسلم الحقيقي إلاّ الخير والسلامة لأبناء نوعه، لأن الله تعالى مبدء الخير والسلام والمسلم الحقيقي يتجلى بقلب سليم ينفعه في الآخرة يوم لا ينفع شيء سواه (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم)«الشعراء ٨٩».

وإبراهيم عليه السلام كان يحمل هذا القلب السليم: (إذ جاء ربّه بقلب سليم)«الصافات ٨٤».

ولعل هذا هو سبب تسمية الجنّة بـ «دار السلام» لأنها دار أصحاب القلب السليم

ودار السلامة:

(لهم دار السلام عند ربهم)«الأنعام ٢٢٧».

(والله يدعو إلىٰ دار السلام)«يونس ٢٥».

ويقال للمؤمنين يوم القيامة: **(أدخلوها بسلام ذلك يوم الخلود)**«ق ٣٤».

(أدخلوها بسلام آمنين)«الحجر ٣٦».

ومعلوم أنّ السلامة الحقيقية ليست الاّ في الجنّة إذ فيها بقاء بلا فناء وغنى بلا فقر وعزّ بلا ذلّ وصحة بلا سقم.

القرآن يهدي الناس أيضاً إلىٰ طريق السلام:

(يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام)«المائدة ١٦».

وليلة القدر وهي أعظم ليلة في السنة كلها سلام حتى مطلع الفجر:

(سلام هي حتى مطلع الفجر)«القدر ٥».

السلام والصلح

السلام بمعنى الصلح مستلّ من مفهوم السلام لأن الصلح يشتمل على السلامة وإنهاء الحرب والعدوان والقرآن يدعو الجميع إلىٰ هذا السلام:

(أدخلوا في السلم كافة)«البقرة ٢٠٨».

ولو أنّ العدو مال في اثناء الحرب إلىٰ السلم وأعلن السلام يقبل منه ـ طبعا إذا كان سلاما عادلا ـ وليس لأحد عليه سبيل كما أنّ الذي ألقى السلام ليس للمسلمين ان

يقولوا له لست مؤمنا:

(وإن جنحوا للسلم فاجنح لها)«الانفال ٦١».

(وإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً)«النساء ٩٠».

(ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً)«النساء ٩٤».

لفظ السلام ورد في القرآن أكثر من لفظ (الصلح) لأن الصلح يُوحي بمعنى العداوة والعدوان وفي مثله جاء في القرآن وهذا بخلاف (السلام) مثل:

(وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو اعراضاً فلا جناح عليهما أن يُصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأُحضرت الأنفس الشح)«النساء ١٢٨».

السلام هو تحية الإسلام وشعاره دائما وفي جميع الأحوال

السلام ـ وهو تحية الإسلام وشعاره ـ ينطلق من مفهوم الإسلام... إذ حين يلتقي ويفترق مسلمان يُحيي أحدهما الآخر بتحية السلام ليعلن أن الالتقاء والافتراق كانا عن صُلح وسلامة وصفاء قلب، ويُعد هذا في نفس الوقت شعارا إسلاميا.

والقرآن يحدّثنا أن النبي عليه الصلاة والسلام يُسلّم على المؤمنين:

(وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم)«الأنعام ٥٤».

كما ان الله وملائكته والمؤمنون يصلّون ويسلّمون بالمثل على النبي:

(إن الله وملائكته يصلّون على النبي يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليما)«الاحزاب ٥٦».

ويحدثنا القرآن أيضاً أن تحية السلام تبادلها النبي إبراهيم عليه السلام والملائكة:

(ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام)«هود ٦٩».

والقرآن يسلّم على جميع رسل الله ويقرنه بحمد الله تعالى حيث قال:

(وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين)«الصافات ١٨١ و ١٨٢».

(قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى)«النمل ٥٩».

كما أن القرآن يسلّم أيضاً على أنبياء الله واحدا واحدا:

(سلام على نوح في العالمين) «الصافات ٧٩».

(سلام على إبراهيم) «الصافات ١٠٩».

(سلام على موسى وهارون) «الصافات ١٢٠».

(سلام على آل ياسين) «الصافات ١٣٠».

وأيضا زكريا وعيسى عند ولادتهما وعد موتهما وعند بعثهما تتنزل عليهما تحيات السلام:

(وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً)«مريم ٣٦».

(والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أُبعث حياً)«مريم ١٥».

وحين افترق إبراهيم عمن يدعوه ابا له وهو آزر سلّم عليه اكراما له رغم اختلافه معه في العقيدة:

(قال سلام عليك سأستغفر لك ربي)«مريم ٤٧».

المؤمنون أيضاً يتحلون بالادب والخلق الكريم تجاه الجاهلين واللاغين، فيُسلّمون عليهم:

(وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لانبتغي الجاهلين)«القصص ٥٥».

(وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً)«الفرقان٦٣».

(فأصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون)«الزخرف ٨٩».

ثم إن تحية المؤمنين بالسلام ليست في هذه الدنيا فحسب بل هي تحيتهم في الجنّة أيضا:

(ونادى أصحاب الجنّة أن سلام عليكم)«الأعراف ٤٦».

(وتحيتهم فيها سلام)«يونس ١٠» و«ابراهيم٣٣».

والملائكة أيضاً يحيّون أهل الجنة بالسلام حين دخولهم عليهم ترحيبا لهم:

(يقولون سلام عليكم ادخلو الجنة بما كنتم تعملون)«النحل ٣٤».

(الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) «الرعد ٢٣و٢٤».

(وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) «الزمر ٧٣».

وقيل: إنّ عبارة ادخلوا بسلام تعني ادخلوها سلام عليكم. ولعل تسمية الجنة بـ(دار السلام) أيضاً تعني أن أهلها يسلمون بعضهم على بعض.

فوق كل ذلك من اسماء الله تعالى واوصافه: السلام. قال عزّ من قائل وهو يصف نفسه بالصفات العليا واسماء الحسنى:

(هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبّار المتكبّر سبحان الله عمّا يشركون) «الحشر ٢٣».

في هذه الآية والتي قبلها جملة من صفات الجمال والجلال ومن جملتها (السلام المؤمن) أي أنه تعالى مبدأ السلام والأمن ـ والمؤمن من الأمن وجاء في جملة تفسيره هنا: «معطي» الأمن فإليه يعود السلام والأمن أو معناه إنه تعالى ملهم السلام والامن

والإيمان.

وبهذا يلتقي مفهوم الإسلام والسلام عند الله المتعال فلا تسليم إلاّ لله ولا سلام الاّ منه.

السلام في الإسلام مقرون بالعدل والحق

السلام في الإسلام لا ينفك عن العدل والحق، وهذا هو في الواقع السلام الحقيقي. ولا يمكن لسلام أن يتحقق دون حق وعدل. فلو أنّ معايير الحق انتهكت وسيوف الظلم نزلت فالسلام الحقيقي هو الدفاع عن المظلوم ومقارعة الظالم وإعلان محاربة الظالم في مثل هذه الحالة هو السلام عينه. وبعبارة أخرى فالحرب المشروعة والدفاع المشروع هو الطريق المؤدي إلىٰ السلام وإلاّكان عدواناً. فمثل هذه الحرب المشروعة تصبح ضرورية أحيانا في مواقع الضرورة والحرج.

وفي القرآن مواقع كثيرة يدافع فيها عن المستضعفين تجاه المستكبرين، بل حتى يأمر المؤمنين أن يقاتلوا في سبيل المستضعفين:

(ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربّنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) ﴿النساء ٧٥﴾.

نعم إن القرآن ابتداءً لم يأذن للمؤمنين بالقتال، حتى إذن لهم لأول مرة أن يدافعوا عن أنفسهم وعن كل معابد الله: وعن المساجد، والصوامع، والبيع والصلوات، وكل الأماكن التي يُذكر فيها اسم الله تعالى فقال:

(أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظُلموا وأنّ الله على نصرهم لقدير، الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض

لهُدّمت صوامعُ وبيع وصلوات ومساجدُ يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إنّ الله لقوي عزيز) «الحج ٣٩ و ٤٠».

والقرآن يعد القتال دفعاً للفساد ولولاه لعم الفساد في الأرض حيث قال:

(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين) «البقرة/ ٢٥١».

فالجهاد والدفاع في سبيل الله وفي سبيل المستضعفين إذا من فضل الله على عباده، ومن هناكان ذكر القتال والجهاد في القرآن دائماً مقرونا بسبيل الله، إذن فسبيل الله هو سبيل السلام نفسه، وفي الإسلام، لا مكانة للقتال في غير سبيل الله، بل هو قتال سبيل الطاغوت والشيطان مهماكان، قال تعالى:

(الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان) «النساء ٧٦».

إستنتاج

إسم ديننا هو «الإسلام»..

وحقيقة الإسلام هو التسليم لله تعالى، والسلام مع الناس: سلام عادل مقرون بالعدل والحق..

شعار الإسلام وتحيته «السلام»... والجنة «دار السلام» وهي مأوى أصحاب القلب السليم..

وفي الجنة أيضا، المؤمنون يحيي بعضهم بعضا، وهكذا الملائكة يحيون المؤمنين بتحية «السلام».

ونحن نسلم على جميع المرسلين خلال قراءة القرآن والدعاء وعند إلقاء الخطبة في صلاة الجمعة وصلاة العيد وفي جميع المحاضرات، وأنّ الصلاة في السلام تختتم بالسلام... كما أن ليلة القدر هي سلام حتى مطلع الفجر.

وفوق كل ذلك الله ربنا هو السلام..

وانطلاقا من هذه الحقائق نتلوا في عقيب صلواتنا:

«اللهم أنت السلام ومنك السلام، ولك السلام وإليك يعود السلام، سبحان ربنا رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين»[1]

والسلام عليكم ورحمة الله

١- مفاتيح الجنان للمحدّث الشيخ الكبير العباس القمّي.

الإسلام والأقوام والملل

بحث مقدّم إلى

مؤتمر دور المسلمين في النهضة الروحية لروسيا

المنعقد في مسكو

٢١ – ٢٠ صفر عام ١٤٢٠ هـ ق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة والسلام على رسول الوحدة ورسول الإنسانية سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وعلى جميع الأنبياء والصالحين.

أيها الحفل الكريم، أيها العلماء والسادة، الإخوة والأخوات السلام عليكم ورحمة الله و بركاته. نرحب بكم ونحييكم بأطيب التحيات ونسأل الله لكم كلّ بر وخير، ولمؤتمركم هذا كل فلاح و نجاح. ونشكر القائمين عليه من الشيوخ والأئمة عامة، وشيخ الإسلام سماحة المفتي الشيخ راويل عين الدين أمين المؤتمر خاصة وبعد:

بحثي المتواضع وعنوانه «الإسلام والأقوام والملل» ينبع من آية قرآنية، وهي قوله تعالى في «سورة الحجرات آية١٣: **«يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير»**.

جاءت في القرآن الكريم خطابات عامة، بعضها موجّه إلى جميع الناس من مؤمن وغير مؤمن، وبعضها خاصّ بالمؤمنين. يقول علماء علوم القرآن: من علائم السوّر المكية والمدنية أن الخطاب في المكيات جاء بلفظ **«يا أيها الناس»** وفي المدنيات بلفظ **«يا أيها الذين آمنوا»** لأن المخاطبين في مكة في بدء الدعوة لم يكونوا مؤمنين لكي يخاطبوا بـ **«يا أيها الذين آمنوا»** وأما في المدنية فكان المؤمنون كثيرون فخوطبوا بذلك، وكان محتوى الخطابات في مكة يغلب عليه الدعوة إلى الإيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر، وبأصول العقيدة والشريعة وبالسلوك الأخلاقي، أما المحتوى في السوّر المدنية فكان هو تفصيل الشريعة في صعيد العبادات والمعاملات والأحكام والمواريث وغيرها.

هذه هي الصبغة الغالبة على السور المكية والمدنية. وقد استثنوا من ذلك سبع آيات مدنية جاء الخطاب فيها بـ **«يا أيها الناس»** لنكتة بيّنوها في كلّ منها. وهذه الآية التي تلوناها عليكم من جملة تلك السبع، أنزلها الله في سورة مدنية تتحدث عن أدب المعاشرة مع النبي ومع المؤمنين بل وغير المؤمنين، ومنها قوله تعالى في آيتين قبل هذه الآية: **«يا أيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيراً منهنّ ولاتلمزوا أنفسكم ولاتنابزوا بالألقاب...»**.

ففي هذا السياق العام جاءت هذه الآية التي نحن الآن نتحدث عنها إيماءً إلى أن السلوك مع الناس جميعاً ينبغي أن يكون سلوكا إنسانيا نابعاً من القيم الإنسانية والأخلاقية، والناس في ذلك سواسية.

ومن هذا المنطلق نقول: القرآن لم يغفل عن القوميات شعوبا وقبائل وأعطاها حقها اللائق بها، ووَضَعها موضعها في السُلّم الأجتماعي، من دون

إفراط ولاتفريط، فاعترف بها كشعوب وكقبائل وجعل لهذه المشكلة الإجتماعية قانونا قبل أن يهتم الناس في عصرنا بوضع دستور لها في منظمة الأمم المتحدة.

ولبّ هـذا القانـون الحفـاظ على حقّ القبـائل والشعـوب كإنسـان وكنـاس، وأعلن بـأن لكل منهم حقّ البقـاء وحقّ الحيـاة، وحقّ الاحتفـاظ بإسم وعنـوان خـاص بهم يتعـارفـون بهـا فيمـا بينهم، ويعتـرفـون بمـا عند كل واحد منهم من الأنسـاب والأحسـاب، ومن الكـرامة والعـزّة، من دون أن يتّخذوا من ذلك سبيلاً للتفاخر والتنابذ بالألقاب، ثم التنازع والتقاتل فيما بينهم بالسلاح.

وهذا ما وقع مع الأسف بين الأقوام قديما وحديثا وفي هذا العصر بالذات.

وفي هـذا المجـال قـال بعض المفسّرين في تفسيـر الآية أي جعلهم شعوبـا وقبـائل ليتعـارفـوا لا ليتنـاكـروا. فالنـاس مكلّفـون بالتعـارف مع بعضهم البعض وبالإعتـراف بالجميل وبالمعروف أينما كان سواء رسخ في قومهم ولدى قبيلتهم أو في غيرهم من القبائل والأقوام والملل والنحل.

وإلى ذلك يشيـر قوله تعالى في ختام الآية: **«إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير»**. أي الفضل للتقـوى، وللعمل الصالح وللخُلُق الحسن الجميل. فلابـد أن يهتم النـاس بـذلك في تعـارفهم ولايهتموا بما فيهم من السوء والعمل السيء ولايُظنّـون ظن السـوء بـالآخرين. ثم أكّد على أنّ الاعتبار في الفضيلة بما هي عنـد الله فضيلة لا بمـا عند الناس، فيربط القرآن العلاقات الاجتماعية بالقيم الإلهية.

وقـد جـاء في السنّة الشريفة عن النبي صلى الله عليـه و آله: **«لافضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عـربي ولا للأبيض على الأسـود ولا للأسـود على الأبيض** ـ وفي بعضهـا **على الأحمـر** ـ وقـولـه: **الناس سواسية كأسنان**

المشط. وقال علي عليه السلام فيما نسب إليه:

الناس من جهة التمثال سيّان أبـــوهـم آدم والأمّ حـــواء

ثم في سياق هذه الآية وما شابهها مثل خطابهم بـ «يا بني آدم» نكتة أخرى مهمة جدّا وهي الإعلان مؤكّداً بوجود علقة الرحم بين الناس، وبأنهم جميعاً أبناء أب وأم وذرّية زوج واحد، فبينهم رباط الأُخوّة والبُنوّة، فلماذا هذا التفاخر والتنابذ الذميم بينهم.

السيرة المثالية للمسلمين :

اتّباعا لهذا التعليم الرّباني قد جرى المسلمون في تعايشهم مع الأقوام والملل على العموم، وفي سلوكهم مع الناس من كل عنصر وقوم، وفي كل قطر في الشرق الإسلامي وغربه، فاعترفوا بوجود الشعوب واحتفظوا بحقوقهم الإنسانية، فلم ينكروا شعبا، ولم يقاطعوا قوما، ولا ملة حين فتحوا البلاد، ولم يزيلوا أمة عن خصائصها القوميّة، سوى ما خالف القرآن من الأخلاق الذميمة والأعمال السيّئة، فعاملوهم معاملة إنسانية سواء الذين اعتنقوا الإسلام، فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، أو الذين لم يدخلوا الإسلام من أهل الكتاب والمشركين، فإن لكل فئة من أولئك وهؤلاء حكماً عادلا في الإسلام. مع تفاوت بيّن بين أهل الكتاب والمشركين. احتفاظا بما لأهل الكتاب من حق استسلامهم لوحي السماء وتلبيتهم لدعوة الأنبياء.

حتّى أن المسلمين حفظوا بالتأكيد الأنساب والأحساب، فاستقرّت عادتهم عند تسمية الناس على الانتساب إلى القبائل والبلاد وإلى الآباء والأجداد. فهناك آلاف من تلك الأنساب حفظتها لنا كتب الأنساب كأنساب السّمعاني وغيره، بل

هناك مؤلّفات كثيرة بلغت إلي ما يزيد عن ستمائة مؤلف في شجرات القبائل، وفي طليعتهم مشجرات السادة الشرفاء من آل النبي والصحابة والأئمة. أليس ذلك شاهدا على أنه لم يوجد في وقت من الأوقات في الجو الإسلامي اهتمام وسعي إلى سلب القوميات، وبإزالة الشعوب عن ساحة الوجود، أو إصرار على استبدال أعراقهم بغيرها، وعلى إماتة هويّتهم كما نراه اليوم - مع الأسف - في أقطار من العالم.

تعاملهم مع اللغات والألسنة :

وإلى جانب الاحتفاظ بالقوميّات كوسائل للتعارف، حفظوا الألسنة واللغات فلم نسمع في القرون الأولى أحدا من أرباب السلطة يمنع قوما من الأقوام عن التحدّث بلغتهم، فلو كانت لنا معاشر المسلمين إحصائيات دقيقة عن الأقوام الذين اعتنقوا الإسلام، وعن اللغات التي يتكلمون بها، لبلغت آلافاً من القوميات واللغات، وقد استمرت فيما بينهم عبر العصور.

نعم غلبت اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم على جملة من الأقوام القريبة من الجزيرة العربية لهجرة قبائل من العرب إلى أراضيهم، من دون جبر وضيق. ومع ذلك فهؤلاء الأقوام لم ينسوا لغاتهم فيتحادثون لحدّ الآن بلغاتهم كلغات شعبية ويكتبون ويؤلفون ويخطبون باللغة العربية الفصحا، وفي كثير من الأقطار الإسلامية اختلطت اللغات المحلّية باللغة العربية، فحدثت من هذا الاختلاط لغة ثالثة ليست هي عربية ولا قومية، كما أن كثيرا من اللغات تأثرت بالقرآن الكريم من دون قصد من أحد للتدخّل في تلك اللغات، ومنتهى الأمر أن جملة من الألفاظ والمصطلحات القرآنية والشرعية، وجملة أخرى من أداة النسب

والربط في العربية وجدت طريقها إلى تلك اللغات، فنشطت وتبلورت وازدهرت بمفاهيم إسلامية، وبقيم إنسانية، وتبدّلت صورتها وصبغتها إلى صورة ربّانية، وسيماء إلهيّة، فزادها الإسلام خيراً و بركة من دون أن ينقصها بشيء، كما أنّ اللغة العربية أيضا اكتسبت غنى بتسرّي كلمات من تلك اللغات إليها.

ومن هذا المنطلق اتّفقت اللغات الإسلامية في كثير من المصطلحات والمفاهيم والقيم. وفي الأمثال والقصص والمحاورات، وحدثت بين الأمم والأقوام البعيدة بعضها عن بعض تحت ظلّ الإسلام، وعلى ضوء القرآن روابط أخوية وأدبية وعلاقات دينية، وشدّت أواصرهم خيوط الكرامة والإيمان، وبذلك نمت الثقافة الإسلامية الموحّدة وانتشرت في شرق العالم الإسلامي وغربه. فهناك أدب إسلامي واحد بلغات مختلفة، ولاسيّما في صعيد الشعر والقصص والأمثال. فهذا عطاء الإسلام للأقوام وللشعوب المسلمة، فماهو عطاءه لغير المسلمين؟

موقف الإسلام من غير المسلمين:

أوصى علي عليه السلام عامله مالك الأشتر في كتاب قيّم طويل أرسله إليه أو كتبه له حين أرسله عاملا إلى مصر: أوصاه بالعدل بين الناس جميعاً وقال **«فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في النوع»** ولما رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه جماعة من السود أمامه خاضعين قال لهم: **ارفعوا رؤوسكم فقد طلع الصبح.**

إن الاسلام مع احتفاظه بكرامة الناس، فرّق بين أهل الكتاب من اليهود والنصارى والصائبين والمجوس وبين غيرهم من الأقوام المشركة في بعض

الأحكـام، كمـا ثبت في الفقـه، فلم يقبل من المشـركين ولاسيّمـا المشـركين من العـرب سـوى الإسـلام والانصـراف عن الشـرك، بـداهة أنّ الشـرك ليس ديناً بل انحـرافـا عن الدين الحنيف، وأمـا أهل الكتـاب فلم يجبـرهم على رفض دينهم وعصمهم في ذمته بشروط، فظلّوا في حماية الإسلام في كل البلاد آمنين، أحرارا في منـاسكهم، وفي أحـوالهم الشخصية، وفي غيـرهـا من الحقـوق المدنيّة. ولم يكتف الإسـلام بهـذاالمقدار بل أعلن أن أهل الكتـاب موحّـدون في أصلهم وخـاطبهم بقـولـه: **«قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبـد إلاّ اللّـه ولانشـرك بـه شيئا ولايتّخذ بعضنا بعضا أربابا من دون اللّه...** آل‌عمران:٦٤.

إضـافة إلى ذلك فقـد اعتـرف القـرآن بمعابـدهم وبمنـاسكهم حيث قـال: **«ولـولادفع اللـه النـاس بعضهم ببعض لهدّمت صـوامع وبيع وصلـوات ومسـاجـد يذكـر فيهـا اسم اللـه كثيراً ولينصرنّ الله من ينصره إنّ الله لقويّ عزيـز، الذين إن مكّنـاهم في الأرض أقـامـوا الصلـوة وآتـوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور»**سورةالحج:٤٠و٤١.

وقال **«ولقد كتبنا في الزبور أنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون»**.

وكم قصّ القـرآن علينا قصص الأنبياء من بني اسرائيل وغيرهم، وهناك عدة سـوّر بـاسم الأنبيـاء منهم كسورة يوسف التي هي أحسن القصص بشأن يوسف عليـه السـلام وسـورة إبـراهيم وبني إسرائيل. وآل عمران ويونس وهود ومريم ونوح وحجر ولقمان بل والبقرة فإنّها جاءت في سياق قصّة من بني اسرائيل. وفي هـذه السـورة بالـذّات جاءت أكثر من مائة آية بشأن بني إسرائيل، وكذلك سورة السبأ باسم قوم سبأ. وقد جاءت في القرآن سورة الأنبياء وسورة القصص حاوية

لكثير من قصصهم. أليست هذه اعتراف من القرآن بشأن الأقوام والملل ولاسيّما أهل الكتاب؟

الأمة الواحدة الإسلامية:

وإلى جانب ذاك التماشي والتعايش السلميّ والسلوك الإنساني مع الأمم والنحل وأهل الكتاب، فقد أكّد الإسلام بأنّ المسلمين أمّة واحدة يجب عليهم أن يحتفظوا بتماسكهم وبقوّتهم وباستعدادهم للوقوف أمام أعدائهم وللدفاع عن أنفسهم. وهذه المهمة بالذات، هي التي يهتمّ بها «المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية» الذي أسسه قائد الجمهورية الإسلامية الإمام الخامنئي متع الله المسلمين بطول بقائه، تعقيبا لما اهتمّ به الإمام الكبير مؤسس الجمهورية الإسلامية ومفجّر ثورتها الإمام الخميني رضي الله عنه حيث بدأ دعوته المباركة بنداء الوحدة الإسلامية كما تعرفون.

ونحن في هذا المجمع ندعو المسلمين إلى توحيد صفوفهم والتمسك بدينهم وندعو العلماء والقادة بالاجتماع حول مائدة الكتاب والسنّة، فيركّزوا على المشتركات، وهي أكثر من خمس وثمانين بالمائة، سواء في صعيد السُنّة، أو في حقل الشريعة والعقيدة. وأمّا الكتاب الكريم فهم متفقون عليه بحمد الله تماما. وأمّا فيما اختلفوا فيه من المذاهب فليعترفوا جميعا بمذاهبهم، ويجعلوها مدارس فقهيةوكلامية، ويتبادلوا الآراء بينهم فيأخذوا بأحسنها عملا بقوله تعالى: **«فبشّر عبادِ الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب»** وصدق الله العظيم وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وسلام على المرسلين. والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته.